



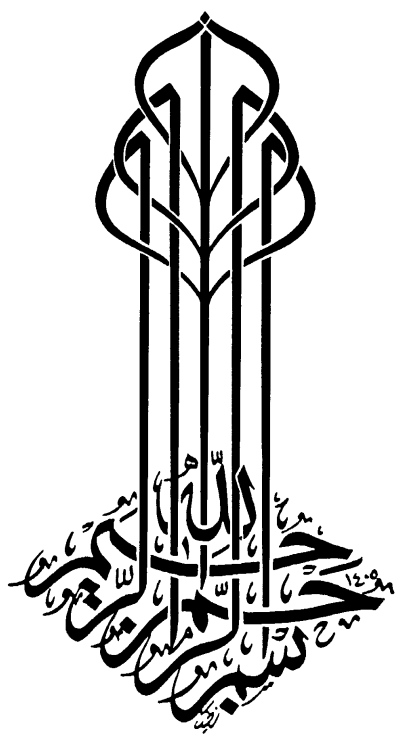
أبحاث المؤتمر الدولي



محمد صلى الله عليه وسلم

برعاية خادم الحرمين الشريفين
الملك / عبد الله بن عبدالعزيز - حفظه الله -

المجلد الثامن





الدفاع عن النبي ﷺ
بالبراهين الشرعية والعقلية
« والتدليل بذلك على صدق نبوته ورسالته »

إعداد
د. محمد كندو



المقدِّمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا بنبيه محمد ﷺ، وشرَّفنا برسالته الخاتمة العامة،
وشريعته الكاملة التامة، ووفَّقنا لاتباعه الذي جعله علماً على محبِّته ومغفرته
وسبباً لرحمته وهدايته، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال سبحانه: ﴿وَرَحِمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾
(الأعراف: ١٥٦)، وقال ﷻ: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

أما بعد: فإن الدِّفاع عن نبي الرحمة محمد ﷺ مسؤولية كبيرة من
مسؤوليات الأمة الإسلامية؛ لأن الله تعالى بفضله ومِنِّته أخرجهم به من
الظلمات إلى النور، وألَّف به بين قلوبهم فأصبحوا إخواناً، وجعلهم به أمة
وسطاً؛ ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً.

وقد أدرك أعداء الإسلام في قديم الزمان وحديثه أن عظمة هذه الأمة
بعظمة نبيها محمد ﷺ، وأن عِزَّة هذه الأمة في تمسُّكها بمِلَّة نبيها محمد ﷺ.

الغراء، وتحكيمها لشريعته السمحاء؛ ولهذا لم يزل الأعداء، ولا يزالون يكيدون كيداً، ويمكرون مكرًا للنبي ﷺ وللإسلام وللأمة الإسلامية بكل طريق وبكل وسيلة، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

ولقد أحسنت الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها أيها إحسان بتنظيمها لهذا المؤتمر الدولي الذي موضوعه (نبي الرحمة محمد ﷺ) والذي تضم محاوره: (وسائل الدفاع عن النبي ﷺ بين الغلو والجفاء) ومن هذه الوسائل: (الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين الشرعية، والعقلية، والتدليل بذلك على صدق نبوته ورسالته).

وإنه لشرف عظيم لي أن كنت أحد المرشحين للمشاركة في هذا المؤتمر الدولي الكبير، والكتابة في هذا الموضوع الهام، وإني لأرى ذلك قربة أحسب على الله تعالى أن يتقبلها، وأن يجزي عنها القائمين على المؤتمر خير جزاء؛ لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»^(١).

(١) صحيح مسلم، برقم (٦٨٠٤).



ولا شك أن الدفاع عن النبي ﷺ مطلب مشروع وغاية مُنيَفة؛ لما يترتب عليه من المصالح العظيمة في الدين والدنيا، ولما يترتب على ترك الدفاع عنه ﷺ من المفساد الكبير في الدين والدنيا.

وقد أقام الله ﷻ للدفاع عن نبيه ورسوله محمد ﷺ براهين ظاهرة، ودلائل واضحة في الشرع والعقل، وهي كذلك براهين وافرة ودلائل كاثرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، ولا يُمكنُ لباحث - مهما أُوتِيَ من مُكنةٍ ومُهلةٍ - أن يُحيط بِجَمَلِها فضلاً عن تفاصيلها.

وإني - بعون الله وتوفيقه - باذل جهدي في إعداد هذا البحث المتواضع وتحريره، وذاكر فيه من البراهين الشرعية، والعقلية ما يشفي العليل، ويروي الغليل، وينمي الخليل في الدفاع عن نبي الرحمة، ورسول الهدى محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وذلك في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

• أما التمهيد فضمته خمس مُقدِّمات في شأن النبوة والرسالة كما يلي:

١ - بيان ضرورة النبوة وحاجة الناس إليها، وأن الحياة في هذه الأرض لا تصلح بدون رسالات الأنبياء.

٢ - بيان أن الله تعالى فرض على عباده الإيمان بجميع الأنبياء والرسل،

وأن الكفر بواحد منهم كُفْرٌ بهم جميعاً.

٣- بيان أن الله تعالى أقام براهين وبيّنات على صدق أنبيائه ورسله؛ لدفع التُّهَم والجفاء عنهم، ولرفع الشك والريب تجاههم.

٤- بيان أن التكذيب والأذى والسُّخْرية ابتلاءات ابْتُلِيَ بها الأنبياء والرُّسل؛ لحِكْمَةِ يعلمها الله ﷻ.

٥- بيان أن الله تعالى وَعَدَ أنبياءه ورسله بالدِّفاع عنهم، والنصر لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وَفَّقَ سُنَّتَهُ المَاضِيَةَ، وقدرته الغالبة، وحِكمته البالغة.

• أما المبحثان:

• فأولهما: في الدِّفاع عن النبي ﷺ بالبراهين الشرعية.

وقد ذكرتُ في هذا المبحث (١٢) اثني عشر برهاناً شرعياً من الكتاب، والسنة، والإجماع كما يلي:

- ١- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان ثناء الله تعالى عليه، وَرَفَعِهِ له ذكره
- ٢- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان نفي الله تعالى عنه التُّهَم والافتراءات.
- ٣- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان تحريم الله تعالى إيذاءه بقول، أو فعل.
- ٤- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى تعزيره، وتوقيره على أمته.
- ٥- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى محبَّته، وجَعَلَ ذلك من

لوازم الإيمان به.

- ٦- الدفاع عن النبي ﷺ برهان فرض الله تعالى على أمته النصيحة له.
- ٧- الدفاع عن النبي ﷺ برهان فرض الله تعالى الصلاة والتسليم عليه.
- ٨- الدفاع عن النبي ﷺ برهان فرض الله تعالى الجهاد في سبيل الله، ومنه الدفاع عن النبي ﷺ.
- ٩- الدفاع عن النبي ﷺ برهان تحدي مُعارضيه، وعجزهم على مرّ العصور.
- ١٠- الدفاع عن النبي ﷺ برهان عصمة الله له من الناس، وكفايته من أذاهم.
- ١١- الدفاع عن النبي ﷺ برهان دفاعه عن نفسه، وانتدابه من يدافع عنه من أصحابه الكرام ﷺ أجمعين.
- ١٢- الدفاع عن النبي ﷺ برهان إجماع الأمة الإسلامية على الدفاع عنه سلفاً وخلفاً، وإلى أن يأتي أمر الله ﷻ.

• والمبحث الثاني: في الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين العقلية.

وذكرت في هذا المبحث (٦) ستة براهين عقلية، كما يلي:

- ١- الدفاع عن النبي ﷺ برهان تعظيم الله تعالى، ونصر دينه.

٢- الدِّفاع عن النبي ﷺ برهان لازم الإيمان به، واعتقاد نبوته ورسالته.

٣- الدِّفاع عن النبي ﷺ برهان ما له من الحقوق الواجبة على أُمته.

٤- الدِّفاع عن النبي ﷺ برهان الانتصار للحق وردِّ الباطل والظلم

والبغي والعدوان.

٥- الدِّفاع عن النبي ﷺ برهان الدِّفاع عن القيم العُلَيَّا، والمبادئ

السَّامِيَّة.

٦- الدِّفاع عن النبي ﷺ برهان أنه دفاع عن أمة بأجمعها الأمة

الإِسْلَامِيَّة.

وأما الخاتمة فخلَّصْتُ فيها إلى التدليل بالبراهين الشرعيَّة والعقليَّة في

الدِّفاع عن النبي ﷺ على صِحَّة وصدق نبوته ورسالته.

هذا، والله تعالى المُستعان على حصول التمام وبلوغ المرام.



النمھید

وفیه خمس مقدمات فی شأن النبوة والرسالة:

- بیان ضرورة النبوة وحاجة الناس إليها، وأن الحياة في هذه الأرض لا تصلح بدون رسالات الأنبياء.
- بیان أن الله تعالى فرض على عباده الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وأن الكفر بواحد منهم كفرٌ بهم جميعاً.
- بیان أن الله تعالى أقام براهين وبيّنات على صدق أنبيائه ورسله؛ لدفع التُّهم والجفاء عنهم، ولرفع الشك والريب تجاههم.
- بیان أن التكذيب والأذى والسُّخْرية ابتلاءات ابتلي بها الأنبياء والرُّسل؛ لحكمة يعلمها الله ﷻ.
- بیان أن الله تعالى وعد أنبياءه ورسله بالدِّفاع عنهم، والنصر لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفق سُنَّته الماضية، وقدرته الغالبة، وحكمته البالغة.

المُقدمة الأولى

بيان ضرورة النبوة، وحاجة الناس إليها،

وأن الحياة في هذه الأرض لا تصلح بدون رسالات الأنبياء

النُّبُوَّة: سفارة بين الله تعالى وبين عباده؛ لتعريفهم ما به صلاحهم وسعادتهم، وكما لهم في العاجل والآجل.

والأنبياء: هم الرجال المصطفون لهذه السفارة الإلهية، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ (الحج: ٧٥)، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، فهم يَتَلَقَّوْنَ عن الله تعالى رسالاته ويبلغونها إلى أقوامهم بوَعْيٍ تامٍّ، وبأمانة كاملة وببلاغ مبين، وهذا يقتضي أنهم أعلم الخلق، وأكملهم، وأكرمهم على الله ﷻ^(١).

ومن هنا تعلم ضرورة رسالات الأنبياء للعباد، وأنه لا بد لهم منها، وأن حاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء؛ لأنها جاءت بما لا وسيلة إلى معرفة تفاصيله إلا من طريق الأنبياء، وبما لا سبيل إلى الصلاح والسعادة والكمال في الدنيا والآخرة إلا بالأخذ به إيماناً وعملاً، فهي إذاً روح العالم ونوره ونظامه، لا

(١) انظر: النبوات، لابن تيمية، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض / ص ٢٨١، ٣٥٢.

يزيغ عنها أحد إلا عاش في الدنيا حائرًا تائها ضاربًا في بيداء طامسة من الخيالات والضلالات والأهواء، وكان في الآخرة خاسئًا خاسرًا خالداً في العذاب الأليم^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٢-٥٣)، وقال تعالى: ﴿فَلِإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۝﴾ (طه: ١٢٣-١٢٦).

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٩/ ٩٣، وزاد المعاد، لابن قيم الجوزية، تحقيق



المُقَدِّمَةُ الثَّانِيَّةُ

**بيان أن الله تعالى أقام براهين وبيّنات على صدق أنبيائه ورسله
للدفع التُّهم والجَفَاء عنهم، ولرفع الشكّ والريب تجاههم**

ولمّا كان الأنبياء يُبَلِّغُونَ عن الله تعالى رسالاته، وَيُعَرِّفُونَ الناس ما لهم وما عليهم في الدنيا والآخرة كانوا بذلك حُجَّةً بين الله تعالى وبين عباده، قال ﷻ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥).

وقد أقام الله ﷻ على صدقهم وعلى صحة رسالاتهم آيات بينات وبراهين واضحات، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ﴾ (الحديد: ٢٥).

وذلك أنه يمتنع أن يبعث الله تعالى رسولا يأمر الناس بتصديقه، ولا يكون هناك ما يَعْرِفُونَ به صدقه؛ ولهذا قال رسول الله محمد ﷺ: «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١)، وصحيح مسلم، برقم (٣٨٥).

فآيات الأنبياء لا بد أن تكون مُحْتَصَّةً بهم، ومستلزمة لصدقهم، ولا بد أن تكون خارقة للعادة، بمعنى أنها ليست مُعتادة للآدميين، ولا مقدورة لهم، ومن ثمَّ سُمِّيَتْ معجزات أو دلائل النبوة^(١).

ومُعجزات الأنبياء ودلائل نبواتهم كثيرة ومتنوعة بحسب اختلاف أزمانهم وأماكنهم وأحوال أُممهم، كما هي مبسّطة في مظانّها من الكتب.

(١) انظر: النبوات، لابن تيمية / ص ٣٠، ٣١٠.

المقدمة الثالثة

**بيان أن الله تعالى فرض على عباده الإيمان بجميع الأنبياء والرسل
وأن الكفر بواحد منهم كفر بهم جميعاً**

لما كانت رسالات الأنبياء ضرورة للعباد لا بد لهم منها - كما تقدّم -، كان الإيمان بهم واجباً على العباد؛ لأن الأخذ برسالاتهم لا يتّم إلا بالإيمان بهم، وإنما وجب الإيمان بهم جميعاً دون تفريق بين أحد منهم؛ لأنهم جاؤوا كلهم بحق وبكلمة واحدة، كما قال الله تعالى - مخاطباً نبيه محمداً ﷺ -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦).

وقال سبحانه: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦). ولهذا كان الكفر بواحد من الأنبياء كفراً بهم جميعاً، ويستوي عند الله ﷻ من أنكر الأنبياء جميعهم ومن أنكر واحداً منهم بعينه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ يَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾
(النساء: ١٥٠-١٥١).

قال الإمام القرطبي - في تفسير هذه الآية -: «نصّ سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كُفْرٌ، وإنما كان كُفْرًا؛ لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل، فإن جحدوا الرسل ردّوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم، فكانوا مُتَمَنِّعِينَ من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كُفْرًا؛ لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين الله ورسله»^(١).

وقد مدح الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ والمؤمنين الذين تابعوه؛ لإيمانهم بجميع الأنبياء، وعدم تفريقهم بينهم، فقال سبحانه: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ووعده الله ﷻ الذين آمنوا بالأنبياء، ولم يُفَرِّقُوا بينهم بالمغفرة، والأجر الكريم، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ جُزْءًا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٥٢).

المقدمة الرابعة

**بيان أن التكذيب والأذى والسخرية ابتلاءات ابتلي بها الأنبياء والرسل
لحكمة يعلمها الله ﷻ**

قد اقتضت حكمة الله ﷻ أن تكون الحياة الدنيوية ابتلاء للعباد، ابتلاء لهم بقضاء الله وقدره، كما قال تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وابتلاء لهم بشرع الله وأمره ونهيه، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

ومن هنا كان الأنبياء والرسل مُبْتَلَيْنَ بمن بُعِثُوا إليهم من الناس، وكان الناس مُبْتَلَيْنَ بالأنبياء والرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٢٠).

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ عن الإمام محمد بن إسحاق قال: «يقول الله: لو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسُلِي فلا يُجَالَفُونَ

لفعلتُ، ولكنني قد أردتُ أن أبتليَ العباد بهم، وأبتليهم بهم»^(١).

وفي الحديث عن النبي محمد ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ؛ لِأَبْتَلِيَّكَ، وَأَبْتَلِيَّ بِكَ»^(٢).

فالأنبياء والرسل قد تعرَّضوا لكثير من الابتلاء بالتكذيب، والأذى، والسبِّ، والسخرية حتى بالقتل أحياناً.

قال الله ﷻ - لنبيه محمد ﷺ - : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنْتَهُمُ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٤).

وقال ﷻ : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (التأويل: ٥٢-٥٣).

وقال تعالى - لبني إسرائيل - : ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧).

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق عبد الرزاق المهدي: ٥٨٨ / ٤.

(٢) صحيح مسلم، برقم (٧٢٠٧). (٧). (٨).



إلى غير هذا مما أخبر الله تعالى به من ابتلاءات الأنبياء والرسل، وهم في ذلك كله صابرون قائمون بما أمرهم الله به من البلاغ المبين، كما قال الله سبحانه: ﴿سُئِلَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۖ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٨-٣٩).

المقدمة الخامسة

بيان أن الله تعالى وعد أنبياءه ورسله الدِّفاع عنهم والنصر لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفق سُنَّتِهِ الماضية وقدرته الغالبة وحكمته البالغة

وإذا كانت الحكمة الربَّانيَّة قد اقتضت ابتلاء الأنبياء والرسل فإن الله ﷻ قد وعدهم الدِّفاع عنهم، والنصر لهم في الدنيا وفي الآخرة هم وأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (المجادلة: ٢٠-٢١).

وهذا النصر والغلب الموعود للأنبياء والرسل وأتباعهم قاطع وحازم، أما يوم يقوم الأشهاد - وهو يوم القيامة - فلا شك أن النصر والغلب فيه أعظم وأكبر وأجل وأدوم، وأمَّا في الحياة الدنيا فإن النصر والغلب فيها أعم وأشمل من أن يكون قاصرًا على صورة مُعَيَّنَةٍ مَعْهُدَةٍ للناس، بل الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله والمؤمنين بهم في الحياة الدنيا بصُورٍ شَتَّى^(١) منها:

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٥/ ٣٠٨٥-٣٠٨٦.

- ١ - التثبيت وربط القلوب والغلب على أهواء النفوس وشهواتها.
- ٢ - كفايتهم وحفظهم من شر الأشرار، وكيد الأعداء.
- ٣ - الانتصار لهم من أعدائهم بعد ظلمهم لهم، ونيلهم منهم بإنزال أنواع العقوبات عليهم في الحياة الدنيا.
- ٤ - تسليطهم على أعدائهم، وتغليبهم عليهم بالقوة في الحياة الدنيا.
- ٥ - إظهار دينهم، وإعلاء دعوتهم في الأرض على رغم أنوف المنكرين لذلك.
- ٦ - تكثير سواد أتباعهم، والتمكين لهم في الأرض وجعلهم خلفاء من بعدهم يهدون بهديهم ويمضون رسالاتهم.
- ٧ - تخليد ذكرهم في الحياة الدنيا، وجعله لهم لسان صدق في الآخرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- ٨ - الدفاع عنهم بحُكمه القُدري والشرعي وتقيضه من يدافع عنهم في كل زمان، وفي كل مكان بالبراهين الشرعية والعقلية وبالوسائل المادية والمعنوية. فهذه بعض من صُور النصر والغلب الذي وعد الله تعالى أنبياءه ورسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدر: ٣١)، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَائِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (إبراهيم: ٤٧).



المبحث الأول في الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين الشرعية

وفيه اثنا عشر برهاناً شرعياً، كل برهان في مطلب:

- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان ثناء الله تعالى عليه ، ورفع له ذكره
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان نفي الله تعالى عنه التُّهم والافتراءات.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان تحريم الله تعالى إيذاءه بقول ، أو فعل.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى تعزيره ، وتوقيره على أمته.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى محبته ، وجعل ذلك من لوازم الإيمان به.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى على أمته النصيحة له.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى الصلاة والتسليم عليه.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى الجهاد في سبيل الله.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان تحدي معارضيهِ ، وعجزهم على مرّ العصور.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان عصمة الله له من الناس ، وكفايته من أذاهم.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان دفاعه عن نفسه ، وانتدابه من يدافع عنه من أصحابه الكرام ﷺ أجمعين.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان إجماع الأمة الإسلامية على الدِّفاع عنه سلفاً وخلفاً ، وإلى أن يأتي أمر الله ﷻ.

المطلب الأول

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان ثناء الله تعالى عليه ورفع له ذكره

قد ورد في ثناء الله تعالى على نبيه ورسوله محمد ﷺ، ورفع الله تعالى له ذِكْرَهُ سُورَ وَأَيَات كثيرة في القرآن الكريم، ولست في هذا المَقَام أستقصي ذلك كله، ولا أحصيه عددًا، ولكنِّي ذاكِرٌ هنا أدلة خمسة تغني اللَّيْب:

الأول: قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

قال الإمام ابن جرير الطبري - في تفسير هذه الآية - : «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَعَلَى أَدَبٍ عَظِيمٍ، وذلك أدَبُ القرآن الذي أدَّبَه الله به، وهو الإسلام، وشرائعه»^(١).

وهذا المعنى مُطابق لما ثبت عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ عن خُلُقِ رسول الله ﷺ؟: فقالت: «إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٢).

وفي هذا دليل على استحقاقه ﷺ للثناء بما جبله عليه ربه ﷻ من مكارم الأخلاق، وكرائم الشِّيم حتَّى إِنَّ مَنْ نَظَرَ في أخلاقه وشيمه علم أنَّها خير

(١) تفسير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله التركي: ١٥٠/٢٣.

(٢) صحيح مسلم، برقم (١٧٣٩).

أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق^(١).

وفي الحديث أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٢).

الثاني: قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وفي هذه الآية الكريمة ثناء عظيم من الله تعالى على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وامْتِنَانٍ مِنْهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ عَامَّةً بِأَن أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يعرفون نسبه وصفته ومدخله ومخرجه، وليس من غيرهم فيتَّهِمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي النَّصِيحَةِ لَهُمْ، بَلْ يَعِزُّ عَلَيْهِ الشَّيْءُ الَّذِي يُعْنِيتُ أُمَّتَهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهَا، فَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا هُوَ يُسَرُّ وَمَصْلَحَةٌ، وَلَا يَنْهَى إِلَّا عَمَّا هُوَ عُسرٌ وَمَفْسَدَةٌ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ مَهْمُومٌ بِأَمْتِهِ حَرِيصٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ مِنَ الضَّلَالِ، وَعَلَى وَصُولِ النِّفْعِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْآخِرِيِّ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ^(٣).

وهذا الثناء العظيم من الله تعالى فيه تأكيد على ما تقدَّم من ثنائه على نبيه

(١) انظر: جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور بن حسن / ص ٢٨٩.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢ / ٣٨١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٣٤٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢ / ٩٦-٩٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٣ / ٤٦٦-٤٦٨.



ورسوله محمد ﷺ بأنه على خلق عظيم، وفيه كذلك دليل على عموم رسالته لجميع الناس، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وكما قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَزُكْرِيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١)، وفي ذلك كله دليل على أن خيره، ونفعه، ورأفته، ورحمته عامة، كما في الدليل التالي.

الثالث: قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ففي هذه الآية الكريمة ثناء باهر من الله ﷻ على نبيه ﷺ ورسوله محمد ﷺ بأنه تعالى أرسله؛ ليكون رحمة للعالمين، فهو ﷺ رحمة من الله عز وجل لجميع العالمين من الإنس والجنّ وسائر المخلوقات، وقد قرّر النبي ﷺ ذلك بقوله - في الحديث الصحيح -: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(١).

ولبيان تحقق هذا المعنى في نبيّ الرحمة عليه الصلاة والسلام قال الإمام ابن قيم الجوزية: «وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، أنه على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان:

(١) سنن الدارمي، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، برقم (١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٣٤٥).

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أمّا أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة، وأمّا أعداؤه فالمُحاربون له فالذين عَجَّلَ قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كُتِبَ عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر. وأمّا المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شراً بذلك العهد من المُحاربين له.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حَقُّ دمائهم وأموالهم وأهلهم، واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره. وأمّا الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتمعوا بها دنيا وأخرى. والكفار ردُّوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال: هذا دواء لهذا المرض فإذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض»^(١).

ولا شك أن لكونه ﷺ رحمة للعالمين حتى الحيوانات والجمادات مظاهر

كثيرة وصوراً عديدة ليس هذا موضع بيانها، والله تعالى أعلم.

الرابع: قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

وهذه الآية الكريمة فيها ثناء عظيم من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ، فإنه سبحانه ناداه فيها بوصف النبوة الدال على الاصطفاء والتكريم الخاص مؤكِّدًا هذا النداء بالنص على إرساله تعالى إياه، وجعله إياه شاهداً لله سبحانه بالوحدانية المطلقة، وشاهداً على أمته بإبلاغهم الرسالة وبما عملوه من خير وشر، فيبشِّرُ أهل الخير بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، ويُنذِرُ أهل الشر من الجزاء السيئ في الدنيا والآخرة، فهو لذلك داعية يدعو جميع الخلق إلى الله تعالى بإذن ربه له في الدعوة الذي جعله للناس سراجاً منيراً يهتدون به من الضلال والباطل والظلمات إلى الهدى والحق والنور.

وهذه الأوصاف العظيمة التي أثنى الله تعالى بها نبيه ورسوله محمداً ﷺ في القرآن الكريم قد جاء في الأثر الصحيح أنها هي أوصافه ﷺ في التوراة المنزلة على نبي الله ورسوله موسى ﷺ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: «لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ. قَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَتَأْتِيهَا

النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي
سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ
السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا^(١).

وهذه الرواية يُصدِّقها قول الله تعالى - في القرآن الكريم -: ﴿ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦).

الخامس: قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ
﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (الشرح: ١ - ٨).

تَصَمَّنَتْ هذه الآيات الكريبات ثناء الله تعالى على نبيه ورسوله محمد ﷺ
بثلاث خصال شريفات هي: شرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وهي وإن
كانت مصدرة بالاستفهام المقرون بالنفي فهو استفهام تقرير يُقصدُ به إثبات
المنفي على الطريقة المعروفة في اللغة^(٢).

(١) صحيح البخاري، برقم (٢١٢٥)، (٤٨٣٨).

(٢) انظر: أضواء البيان، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق صلاح الدين العلايلي: ٧٥ / ٦.



قال القاضي عياض اليَحْصِي: «هذا تقرير من الله جَلَّ اسمه لنبيه ﷺ على عظيم نِعَمِهِ لديه، وشريف منزلته عنده، وكرامته عليه بأن شَرَح قلبه للإيمان والهداية، ووسَّعه لوعى العلم وحَمَلَ الحكمة، ورَفَعَ عنه ثِقَلُ أمور الجاهليَّة عليه، وبَغَّضه لِسِيرِها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله، وحوطَّ عنه عُهْدَة أعباء الرسالة والنبوة؛ لتبليغه للناس ما نزل إليهم، وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رُتْبَتِهِ، ورفعَة ذِكْرِهِ وقرانه مع اسمه»^(١).

ويُدَلُّ قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ خاصَّة على أن الله جَلَّ شأنه خَصَّ نبیه ورسوله محمداً ﷺ بالثناء الحسن العالی الذي لم یصل إليه أحدٌ من العالمين، وقد ذهب أهل العلم في بيان ذلك مذاهب:

(١) فعن قتادة قال: «رَفَعَ الله ذِكْرَهُ في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا مُتَشَهِّد، ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»^(٢).

(٢) وقال بعض العلماء: رَفَعَ الله ذِكْرَهُ عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، وَيَرَفَعُ في الآخرة ذِكْرَهُ بما يعطيه من المقام المحمود وكرائم

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق حسين عبد الحميد: ١ / ٢٧.

(٢) تفسير الطبري: ٢٤ / ٤٩٤.

الدرجات^(١).

(٣) وقال آخرون: رَفَعَ الله ذِكْرَهُ في الأولين، ونَوَّه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمرُوا أُمَّهُمْ بالإيمان به، ثم شَهَرَ ذِكْرَهُ في أُمَّته فلا يذكر الله إلا ذكر معه^(٢).

(٤) وأشار بعض المفسرين إلى أن الله تعالى رَفَعَ ذِكْرَ نبيه محمد ﷺ بما نَزَلَ من القرآن ثناء عليه وكرامة، وبتوجيه الخطاب إليه في نصوص الوحي بمثل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أو بالتصريح باسمه في مقام الرسالة (محمد رسول الله). ورفع ذِكْرَهُ في فروع التشريع، كالأذان والإقامة والتشهد والخطب ونحوها. ورَفَعَ ذِكْرَهُ بإلهام الناس التحدث بفضائله، وبما جبله الله عليه من المحامد منذ نشأته إلى وفاته عليه أفضل الصلاة وأتم السلام^(٣). والحق أن جميع هذه المعاني المذكورة ثابتة وصحيحة، وأن ثناء الله تعالى على نبيه ورسوله محمد ﷺ، ورَفَعَهُ له ذِكْرُهُ لا يَصِلُ أحد إلى معرفة تفاصيله، ولا

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٠ / ١٠٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٦ / ٤٨٧.

(٣) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي: ٦ / ٧٩، وتفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور:



إلى الإحاطة بمعانيه إلا الله تعالى وحده الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً.

وقد تبين بما مضى ذكره من الأدلة وما يُثاقلها من القرآن الكريم أن ثناء الله تعالى على نبيه ورسوله محمد ﷺ ورَفَعَهُ له ذِكْرُهُ برهان شرعي قاطع للدفاع عن النبي محمد ﷺ، فإنَّ الله ﷻ قد دَلَّ وأبرز بشنائه عليه ورَفَعَهُ له ذِكْرَهُ أَنَّهُ تعالى محبٌ لذلك مُحِبٌّ لمن يُوافقه فيه، وأَنَّهُ تعالى كارهٌ لُصْدِّ ذلك، وكارهٍ لمن يُخالفه، فيأتي بضدِّ هذا الثناء، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الثاني

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان نفي الله تعالى عنه التُّهم والافتراءات

التُّهم والافتراءات من أساليب الحرب الكلامية التي يستخدمها بعض الناس؛ لتزييف الحقائق، وتزوير الأباطيل، كما هو معروف في كل زمان، وفي كل مكان.

وإذا كان الله ﷻ قد أثنى على نبيه ورسوله محمد ﷺ، ورفَع له ذِكْرَه؛ لكي يعرف الناس قَدْرَه ومنزلته عند الله تعالى؛ فيؤمنوا به، ويتبعوا ما جاءهم به من النبوة الخاتمة والرسالة الكاملة - كما سبق بيانه -، فإن أصحاب التُّهم والافتراءات على خطِّ مُعارض لذلك؛ لأنهم يريدون صَرْفَ الناس عن معرفة قَدْرِ هذا النبي الكريم المبعوث رحمة للعالمين، وعن الإيمان به، واتِّباع ما جاء به من عقيدة راسخة، وشرعية عادلة، ومنهج حياة كامل، وذلك بما يتَّهمونه به من المعاييب، وبما يفترونه عليه من الأكاذيب.

وهذه التُّهم والافتراءات ليست وليدة هذا العصر الذي نعيش فيه، وليست كذلك جديدة في حق هذا النبي الخاتم للنبيين - عليه الصلاة والسلام -، فقد ابتليَ بذلك من قَبْلَه من الأنبياء والرُّسل ﷺ، كما قال الله ﷻ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ



إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾،
وكما سبق بيانه في المقدمة الرابعة من هذا البحث.

وبما أنَّ التُّهَمَ والافتراءات تستولي أحيانا على العقول الضعيفة، فتَحْجُبُهَا
عن النور المبين وعن النظر الصحيح، وتغشاها بالظُّنون الكاذبة، والاعتقادات
الفسادة والأفكار الباغية، كان نفي هذه التُّهَمَ والافتراءات وردُّها على
أصحابها، وبيان سوء مَغَبَّتِهَا ضرورياً لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، ﴿وَلَيْسَ لَكَ
مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مِنْ حَىٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

وقد ورد في نفي الله تعالى التهم والافتراءات عن نبيِّه ورسوله محمد ﷺ
آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها:

أولاً - نفي تهم الذين كفروا من مُشركي العرب، وافتراءاتهم:

فقد كان مُشركو العرب أوَّل من واجههم النبي محمد ﷺ بدعوته؛ لأنَّهم
قومه وعشيرته الأقربون، وإن كانت دعوته - عليه الصلاة والسلام - للناس
كافة عربهم وعجمهم.

ولقد قابل كثير من العرب دعوته ﷺ بالردِّ والتكذيب، واتَّهموه
بالمعايب، وافتروا عليه الأكاذيب، فقالوا:

١ - إنَّ النبي ﷺ افتري الكذب في دعوى النبوة، وإنَّ ما جاء به من

الأخبار ما هي إلا أساطير الأولين.

وقد حكى الله تعالى ذلك، ونفاه في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿١﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣﴾ (الفرقان: ٤-٦).

والنَّفي هنا اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ يعني: أن قائل هذه المقالة قد جاؤوا بظلم وزور، أي: بشرك وكذب بنسبتهم كلام الله تعالى الذي جاء به نبيه ﷺ إلى الإفك والافتراء^(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾... الآية، أي: أنزل القرآن الله الذي أحاط علمه بها في السموات والأرض من الغيب والشهادة والسرّ والجهر، فيمتنع أن يَقُولَ عليه مخلوق هذا القرآن، ويزعم أن الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء، ومع ذلك فهو يُؤَيِّدُهُ وَيَنْصُرُهُ، بل لا بدّ أن يُظْهِرَ كَذِبَهُ، وينتقم منه^(٢)، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤ - ٤٦).

(١) انظر: تفسير البغوي، تحقيق محمد النمر وآخرين: ٣/ ٣٢٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي / ص ٦٧٤.



٢- وقالوا: إنه ﷺ مجنون، أو به جنّة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم: ٥١ - ٥٢).

وقال ﷺ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كِرْهُونٌ﴾ (المؤمنون: ٦٨ - ٧٠).

وقول الله تعالى هنا: ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كِرْهُونٌ﴾ يتضمّن الردّ عليهم في هذه المقالات، ومعناه: أنّ النبي ﷺ قد جاء بالأمر الثابت الذي هو صدق وعدل لا اختلاف فيه، ولا تناقض، فكيف يكون من جاء به به جنّة؟! وهلا يكون إلا في أعلى درج الكمال من العلم، والعقل، ومكارم الأخلاق!، ولكن الواقع والحقيقة التي منعتهم من الإيمان أنه ﷺ ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كِرْهُونٌ﴾، فكونه أتى بالحق، وكونهم كارهين للحق بالأصل هو الذي أوجب لهم التكذيب بالحق، واتّهام الرسول ﷺ بالجنون، وهم في حالهم هذا كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَايَتِ اللَّهِ تَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).^(١)

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن / ص ٦٤٧.

٣- وقالوا: إنه ﷺ ساحر، وما جاء به سحرٌ.

قال الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس: ٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف: ٧).

وقد بيّن الله تعالى أن هذا القول هو مُحْضُ عِنَادٍ، ومُكَابَرَة من الكفار، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام: ٧).

فأخبر الله تعالى رسوله ﷺ عن شِدَّةِ عناد الكافرين، وأنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جاءهم به، ولا لجهل منهم بذلك، وإنما ذلك ظلم وبغي لا حيلة لكم فيه، وأنه تعالى لو نَزَّلَ كِتَابًا من السماء في قِرْطَاسٍ، فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ وَتَيَقَّنُوهُ، لَمَا آمَنُوا به، بل لقالوا - ظلما وعُلُوًّا -: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ، فأَيُّ بَيِّنَة أعظم من هذه البَيِّنَة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يُمكن مَن له أدنى مُسْكَة من عقل دَفَعَهُ! ^(١).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن / ص ٢٦٧.



٤ - وقالوا أيضا: إِنَّهُ ﷺ كاهن، وإِنَّهُ شاعر.

وقد نفى الله تعالى ذلك كله، فقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ

بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتِصُ بِهِ رِبَّ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي

مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرْتِصِينَ﴾ (الطور: ٢٩ - ٣١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا

مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ تَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحاقة: ٤١ - ٤٣).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ؕ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ

﴿٣٣﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (يس: ٦٩ - ٧٠).

وبالجملة: فَإِنَّ الله تعالى قد بيّن بآياته الكريمات أَنَّ هذه الأقوال الصادرة

من الكفار - لسخافتها وكذبها وبهتتها منهم - كُلُّ أحد يعلم بطلانها، وبراءة

رسول الله ﷺ منها، فإنه قد عَلِمَ بالتواتر وبالضرورة أَنَّ محمداً رسول الله ﷺ

لم يكن بِمُتَّهَمٍ بشيء مما اتَّهَمُوهُ به وأفترَوْهُ عليه، لا في أوَّل عُمرِهِ ولا في آخره،

وقد نشأ بين أظهرهم من أوَّل مولده إلى أن بعثه الله نَحْوًا من أربعين سنة، وهم

يعرفون مَدخله ومُخرجه، وصدقه وبرّه وأمانته، ونزاهته من الكذب والفُجور،

وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يُسَمُّونَهُ في صِغَرِهِ إلى أن بُعثَ إِلَّا

الأمين؛ لِمَا يعلمون من صدقه وبرّه، فلَمَّا أكرمه الله تعالى بما أكرمه به من النبوة

نصبوا له العداوة، وَرَمَوْهُ بِهَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ بَرَاءَتَهُ مِنْهَا، وَحَارَوْا
مَاذَا يَقْذِفُونَهُ بِهِ، فَتَارَةً مِنْ إِفْكَهِمْ يَقُولُونَ: كَذَّابٌ. وَتَارَةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ. وَتَارَةً
يَقُولُونَ: سَاحِرٌ. وَتَارَةً يَقُولُونَ: كَاهِنٌ. وَتَارَةً يَقُولُونَ: شَاعِرٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾. (الإسراء: ٤٨)،
و(الفرقان: ٩)^(١).

ثانياً: نفى تهم الذين كفروا من أهل الكتاب وافتراءاتهم:
وأهل الكتاب من اليهود والنصارى شأنهم يَخْتَلِفُ عن الذين كفروا من
مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَيْسُوا أَهْلَ عِلْمٍ، وَلَيْسُوا عَلَى دِينٍ
سَمَويٍّ، بَلْ هُمْ أَهْلُ جَهْلٍ يَدِينُونَ بِالتَّقْلِيدِ لِلْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالْأَكْبَارِ.
أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَهَمُ فِي الْأَصْلِ عَلَى دِينٍ سَمَويٍّ، وَهَمُ أَهْلُ عِلْمٍ مِنَ
الْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ؛ لِهَذَا كَانَ اللَّاتِقُ بِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ النَّاسِ إِيمَانًا بِنَبِيِّ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِمَا ثَبَتَ مِنْ ذِكْرِهِ وَالبَشَارَةِ بِهِ فِي الْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ لَدَيْهِمْ مِنَ
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤ / ٥٨٣.



وقد أكد الله تعالى عليهم هذا الأمر، فقال سبحانه: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ﴾ (البقرة: ٤١). ومع هذا كله فإن كثيرًا من أهل الكتاب لم يقدرُوا الله تعالى حقَّ قدره، بل كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وقال تعالى أيضا: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٨).

ولقد أكثر الله سبحانه من الذم واللعن لأهل الكتاب في القرآن الكريم على سوء مَسْلِكِهِمْ مع النبي محمد الذي عرفوه كما يعرف أحدهم ابنه، وبين ﷻ أن الحامل لهم على هذا المسلك السيئ هو البغي والحسد. قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨) بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (البقرة: ٨٩ - ٩٠).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ

كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ (البقرة: ١٠٩).

وبهذا يُعَلَّمُ أَنَّ جَمِيعَ التُّهَمِ والافتراءات التي يُرَوِّجها أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأشباههم في القديم والحديث نابعة من هذه الآفات النفسية الخبيثة التي أَرَدَتْهُمْ، فأصبحوا خاسرين.

وإنَّ فيما تقدَّم بيانه من نفي الله تعالى التُّهَمِ والافتراءات عن نبيِّه ورسوله محمد ﷺ لُبْرهَانًا شرعيًّا للدفاع عن هذا النبيِّ الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمُّ السلام، وهو برهان جليٌّ مُرْشِدٌ لكل مؤمن للعناية بنفي التُّهَمِ والافتراءات عن نبيِّ الله ورسوله محمد ﷺ.

المطلب الثالث

الدفاع عن النبي ﷺ ببرهان تحريم إيذائه بقول أو فعل

إذا كان الله ﷻ قد نفى في كتابه العزيز التُّهْم والافتراءات عن نبيِّه ورسوله محمد ﷺ وبرّاه منها، فإنّه ﷻ قد سدَّ كلَّ طريق وكلَّ وسيلة تُؤدِّي إلى الوقوع في عِرْض النبي ﷺ، أو الطعن في بُنْوَتِهِ ورسالته، أو في شيء معلوم بالضرورة من ذاته أو دينه، وذلك بتحريم إيذائه - عليه الصلاة والسلام - بقول أو فعل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧).

فهذه الآية الكريمة دالة على أنّ إيذاء رسول الله ﷺ حرام لا يجوز بطريق لا بقول ولا بفعل، بل هي دالة على أنّ مُؤْذِي رسول الله ﷺ كافر في الدنيا، مُتَوَعَّد بالعذاب المُهِين في الآخرة، ودلالة الآية على هذه الأحكام معلومة بوجوه^(١):

أحدها: أن الله تعالى قرّن إيذاء رسوله ﷺ بإيذائه سبحانه، كما قرن

(١) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدين /

طاعته بطاعته في مواضع مُتعدّدة من القرآن الكريم، وذلك بيان لتلازم الأمرين، وأنَّ جهة حُرْمَةِ الله تعالى وحُرْمَةِ رسوله ﷺ جهة واحدة، فمن آذى رسول الله فقد آذى الله سبحانه، ومن أطاعه فقد أطاع الله؛ لأنَّ الأمة لا يَصِلُون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ﷺ ليس لأحد منهم طريق غيره ولا سَبَبٌ سواه، وقد أقامه الله تعالى مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يُفَرَّق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور.

الوجه الثاني: أن الله تعالى فَرَّقَ بَيْنَ إيذاء الله ورسوله، وبين إيذاء المؤمنين والمؤمنات، حيث قال تعالى - عقب الآية السابقة -: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨).

فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً مُّبِينًا، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة، وأعدَّ له العذاب المُهِين، ومعلوم أن آذى المؤمنين والمؤمنات قد يكون من كبائر الإثم، وليس فوق ذلك إلا الكفر.

الوجه الثالث: أن الآية نصّت على اللَّعْنِ في الدنيا والآخرة والعذاب المُهِين، واللَّعْنُ: هو الإبعاد عن الرحمة، ومن طَرَدَهُ الله عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرًا، فإنَّ المؤمن لا بدَّ أن يقرب إلى رحمة الله بعض الأوقات.



وهذا كما قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١).

وإذا تقرّر أن الذي يؤذي رسول ﷺ يكون كافراً مُتَوَعِّداً بالعذاب المهيّن، فينبغي أن يُعْلَمَ أنَّ الإيذاء المذكور في الآية ليس مخصوصاً بشيء مُعَيَّن. قال الحافظ ابن كثير: «والظاهر أنَّ الآية عامّة في كلّ من آذاه بشيء»^(١)، أي: بشيء ولو كان صغيراً.

وليس كذلك مخصوصاً بزم من مُعَيَّن، فإنَّ حُرْمَةَ رسول الله ﷺ باقية وعامّة في الزمان والمكان في حياته وبعد مماته فداه أبي وأمي ﷺ. وبهذا يَتَبَيَّنُ أن تحريم الله تعالى إيذاء نبيّه ورسوله محمد ﷺ برهان شرعيّ للدفاع عنه عليه الصلاة والسلام من كلّ أذية قوليّة أو فعليّة، كبيرة أو صغيرة، له ﷺ، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى، والعياذ بالله.

المطلب الرابع

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى تعزيزه وتوقيره على أمته

هذا المطلب تتويج لنفي الله تعالى التُّهَم والافتراءات عن النبي محمد ﷺ، ولتحرимه تعالى إيذاءه بقول أو فعل، فَإِنَّ النَّفْيَ والتَّحْرِيمَ أمران سلبیان غایتها الكفُّ والإِنْزِجَارُ، ولكن الله تعالى أراد بإرادته الشرعیَّة أن یُحَقِّقَ ذلك بأمر إيجابي عملي، وفرض على الناس التعزیز والتوقیر لنبیه ورسوله محمد ﷺ.

والدلیل قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٨-٩).

حيث نَوَّه الله تعالى بإرسال نبیه محمد شاهداً ومُبَشِّرًا ونذيرًا، ورَتَّبَ على ذلك قوله: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

قال العلامة السعدي: «فَذَكَرَ اللهُ في هذه الآية الحَقَّ المُشْتَرَكَ بين الله وبين رسوله - وهو الإيمان بهما -، والمُخْتَصَّ بالرسول - وهو التعزير والتوقير -، والمُخْتَصَّ بالله - وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها-» اهـ^(١).

فالتعزير والتوقير حق مفروض لرسول الله ﷺ على أمته كما كانت له المِنَّة

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٩٤٢.



العظيمة عليهم برسالته.

وقد بينَ إمام المُفسِّرين ابن جرير الطبري أنَّ التعزير: هو التقوية بالنصرة والمُعونة. وأنَّ التوقير: هو التعظيم، والإجلال، والتفخيم^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (التعزير: اسم جامع لنصره، وتأْييده، ومنعه من كلِّ ما يُؤْذيه. والتَّوقير: اسم جامع لكلِّ ما فيه سَكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأنَّ يُعَامَلَ من التشريف، والتكريم، والتعظيم بما يَصُونُه عن كلِّ ما يُخْرِجُه عن حدِّ الوَقَار) اهـ^(٢).

ومن فَهَمَ هذه المعاني المذكورة أدرك أنها لا تتحقَّق إلا بأُمور إيجابِيَّة ظاهرة عيانا يُمكنُ اعتبارها آداباً مرعيَّةً في حق رسول الله ﷺ، ومن تفاصيل ذلك ما أرشد الله تعالى المؤمنين إلى مراعاته تأدُّباً واحتراماً وتقديراً للنبي الله ورسوله محمد ﷺ مما يأتي بيانه:

أولاً - قول الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾

(النور: ٦٣).

وهذا يُحْتَمَلُ أنه تعالى نَهَى الأُمَّة أن يجعلوا دعاءهم للرسول ﷺ كدعاء

(١) انظر: تفسير الطبري ٢١ / ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢) الصارم المسلول / ص ٤٢٢.

بعضهم بعضًا، فلا يسمّوه - إذا خاطبوه - باسمه: يا محمد، يا أبا القاسم، يا ابن عبد الله، كما يسمّي بعضهم بعضًا، بل من شرفه وفضله وتميّزه عن غيره أن يدعّوه: يا نبي الله، يا رسول الله^(١).

ويُحْتَمَلُ أنه تعالى نهى الأمة أن يجعلوا دعاء الرسول إياهم كدعاء بعضهم بعضًا، فلا يُؤَخِّرُوا الإجابة - إذا دعاهم - بالاعتذارات التي يؤخّر بها بعضهم إجابة بعض، بل يبادرون إليه إذا دعاهم بسرعة الإجابة، ومعالجة الطاعة^(٢).

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢).

وهذا أيضًا أدب مع الرسول ﷺ في الخطاب، ونَهْيٌ للمؤمنين عن رفع أصواتهم بين يديه فوق صوته، وعن الجهر له بالكلام كما يجهر أحدهم لمخاطبه ممن عداه، بل يكون كلامهم معه ﷺ بسكينة ولين وغمض صوت؛ لأنّ الرفع والجهر قد يُفْضِي إلى حُبُوطِ عمل صاحبه وهو لا يشعر، وذلك لما قد يشتمل رفعُ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤ / ٥٧٨.

(٢) انظر: جلاء الأفهام، لابن القيم / ص ٥٥٠ - ٥٥١، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي /



الصوت والجهر بالقول على أذى للنبي ﷺ، واستخفاف به وإن لم يقصد صاحبه ذلك^(١).

ثالثاً - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤).

وهذا مَهْيٌ للمؤمنين عن التشبُّه بمن يُعرَّضون بالنبي ﷺ، وذلك أن اليهود كانوا يقولون: راعنا يا محمد، أي: أرعنا سمعك، واسمع منا، ويُعرَّضون بالكلمة، يريدون الرُّعونة - وهي خِفةُ العقل -، فهى الله تعالى المؤمنين عن التشبُّه بهم، وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها؛ لئلا يتوصَّلَ بها الكافر أو المنافق إلى سبِّه والاستهزاء به ﷺ^(٢).

وقيل: بل لما فيها من مُشاركة اللفظ؛ لأنها عند اليهود بمعنى: اسمع لا سمعت.

وقيل: بل لما فيها من قلة الأدب، وعدم توقير النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنها في لغة الأنصار بمعنى: أرعنا نرعك، فنهوا عن ذلك، إذ مضمونه أنهم لا

(١) انظر: الصارم المسلول / ص ٥٤-٥٦، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي / ص ٩٥٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١/٣٢٧.

يَرْعُونَهُ إِلَّا بِرَعَايَتِهِ لَهُمْ، وهو ﷺ واجب الرعاية بكلِّ حال^(١)، ولهذا قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنْظُرْنَا﴾ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور. ثم قال: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ولم يذكر المسموع؛ ليعمَّ ما أمروا باستماعه من القرآن والحكمة لفظاً ومعنى واستجابةً، ففيه الأدب والطاعة، ثم توعد الكافرين بالعذاب المؤلم^(٢)، نعوذ بالله من ذلك.

وكل هذه الإرشادات الواردة في حق النبي ﷺ من تمام تعزيره وتوقيره وتعظيمه، والقصد من ذلك كله أن تبقى له ﷺ منزلة عليا في نفوس أمته يَسْتَشْعِرُونَ بها توقير كلِّ توجيه صادر منه عليه الصلاة والسلام.

ولهذا كان تعزيره وتوقيره عليه الصلاة والسلام لازماً له بعد موته كما كان حال حياته، ومما يدلُّ على ذلك أن الله تعالى حرَّم على الأمة أن يُؤذوه بما هو مُباح أن يعامل به بعضهم بعضاً تمييزاً له، مثل نكاح أزواجه بعد موته، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٣)، كما أوجب الله تعالى على الأمة من أجله ﷺ احترام أزواجه، وجعلهنَّ أمَّهات في التحريم والاحترام، قال تعالى:

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض اليعصبى: ٢ / ٢١٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي / ٥٥.



الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين الشرعية والعقلية

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، وكذلك احترام آل بيته، وصحابته الأبرار.
وهذا كله يتبين أنَّ فرض الله تعالى تعزير نبيه ﷺ وتوقيره على أمته برهان شرعي قاطع لوجوب الدفاع عن النبي ﷺ، فلا يتم التعزير والتوقير له عليه الصلاة والسلام إلا بالدفاع عنه ﷺ، كما هو ظاهر، وبالله التوفيق.

المطلب الخامس

الدِّفاع عن النبي ﷺ

ببرهان فرض الله تعالى محبته وجعل ذلك من لوازم الإيمان به

المحبة عامل قوي من عوامل حركة الإنسان في الحياة، فالإنسان بطبعه يميل إلى ما يحبه وينجذب إليه ويدافع عنه إن بحق وإن بباطل، كما أنه بطبعه ينأى عما يكرهه وينفر منه.

ولهذا كانت محبة رسول الله ﷺ أصلاً عظيماً من أصول الدين وفريضة لازمة من فرائضه، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

قال القاضي عياض اليحصبي - تعليقاً على هذه الآية - : «فكفى بهذا حصاً وتنبهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسقهم بتمام



الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضلّ ولم يهده الله»^(١).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

قال الإمام ابن قيم الجوزية: (فذكر في هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة، فإن المحبة: إما محبة إجلال وتعظيم، كمحبة الوالد. وإما محبة تحنن وودّ ولطف، كمحبة الولد. وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال، كمحبة الناس بعضهم بعضاً. ولا يؤمن العبد حتى يكون حُبّ الرسول ﷺ عنده أشد من هذه المحابّ كلها) اهـ^(٣).

وإذا ثبت بهذه الأدلّة أنّ الله تعالى فرض على عباده محبة نبيه ورسوله محمد ﷺ، بل وتقديم محبته على محبة كل شيء من مخلوقاته، وأن محبته ﷺ على هذه الكيفية من لوازم الإيمان به، فإنما استحقّ - عليه الصلاة والسلام - هذه الأحيّة؛ لكونه أكرم الخلق على ربّه ﷻ، وأفضلهم صفّة وحالاً، وأعظمهم منّة عليهم وإحساناً، ولذلك أيضاً استحقّ أعظم الشاء من الله ﷻ، والتعزيز

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٢٣.

(٢) صحيح البخاري، برقم (١٥)، وصحيح مسلم، برقم (١٦٨).

(٣) جلاء الأفهام / ص ٥٥٣.

والتوقير من أمته، كما سبق بيان ذلك كله.

ثم إذا كان هذا شأن محبته ﷺ في الشرع بحسب الأدلة من الكتاب والسنة، فمعلوم أن المحبة عمل قلبيّ أساسها في القلب، ولها علامات ومظاهر دالة عليها وشاهدة لها. ومعلوم أن الدّفاع عن شيء دليل على محبته، وترك الدّفاع عن شيء دليل على عدم محبته أو على ضعف محبته، فتبين أن فرض الله تعالى محبة نبيه ورسوله محمد ﷺ برهان شرعيّ للدّفاع عنه ﷺ، وأن ترك الدّفاع عنه ﷺ مُنافٍ لمحبته الواجبة، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا حُبّه وحَبَّ رسوله ﷺ.

المطلب السادس

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى على أمته النصيحة له

النصيحة - من حيث اللغة - : اسمٌ للنصح الذي هو مصدر للفعل (نصح).

وقال بعض أهل العلم - في بيان معناها - : «النصيحة: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً»^(١).

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر النصيحة لرسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ٩١).

فجعل الله تعالى النصيحة له ولرسوله ﷺ شرطاً لرفع الحرج عن أهل الأعدار، فدلّ ذلك على وجوب النصيحة لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام في كلّ حال.

ويؤيد هذا الحكم ما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط: ١ / ٢٢٢.

قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

فالنصيحة لرسول الله ﷺ لازمة لقيام الدين وصحته، كالنصيحة لله تعالى، ولا دين إلا مع هذه النصيحة. وقد ذكر أهل العلم أَنَّ النَّصْحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْتَضِي نَصْحِينَ: نَصْحًا فِي حَيَاتِهِ، وَنَصْحًا بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ.

ففي حياته عليه الصلاة والسلام تكون النصيحة له ببذل الجهد في السمع والطاعة له، وبذل النفس والمال في نُصْرَتِهِ والمُحَامَاةِ عَنْهُ، مع التزام التوقير والإجلال له ﷺ.

وأما بعد وفاته ﷺ فتكون النصيحة له بتجريد مُتَابَعَتِهِ، والعناية بسُنَنِهِ وآدَابِهِ، وتعظيم دينه وشرعه، ومُجَانِبَةُ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِ وانحرف عنها، ونحو ذلك من المعاني التي قد يُقَصِّرُ عنها التعبير^(٢).

وقد اشتملت هذه المعاني على معنى الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَيًّا وَمَيِّتًا، فعلم بذلك أَنَّ فرض الله تعالى النصيحة لنبيه ورسوله محمد ﷺ برهان شرعيٌّ للدِّفَاعِ عَنْهُ، وَأَنَّ مَنْ دَافَعَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ نَصَحَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْ تَرَكَ الدِّفَاعَ عَنْهُ فَقَدْ خَالَفَ مُقْتَضَى النِّصِيحَةِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

(١) صحيح مسلم، برقم (١٩٦).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ٢ / ٢٢١.



المطلب السابع

الدفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى الصلاة والتسليم عليه

جاء الأمر بالصلاة والتسليم على النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

ففي هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة والتسليم على نبيه ورسوله محمد ﷺ بعد أن أخبر أن الله وملائكته يُصلُّون عليه.

وفي بيان معنى هذه الصلاة قال الإمام البخاري: «قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة. وصلاة الملائكة: الدعاء. وقال ابن عباس: (يصلون) يَبْرُكُونَ»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الصلاة: تتضمَّن ثناء الله عليه، ودعاء الخير له، وقربته منه ورحمته له. والسلام عليه: يتضمَّن سلامته من كل آفة، فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات»^(٢).

(١) صحيح البخاري / كتاب التفسير / سورة الأحزاب / باب رقم (١٠).

(٢) الصارم المسلول / ص ٤٢٠.

وقال الحافظ ابن كثير: «والمقصود من هذه الآية: أن الله ﷻ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملاء الأعلى بأنه يُثني عليه عند الملائكة المقرّين، وأن الملائكة تُصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعاً»^(١).

وأشار الإمام ابن قيم الجوزية - في كلام له - إلى أن معنى أمر الله تعالى بالصلاة على النبي ﷺ عقيب إخباره بأنه وملائكته يصلون عليه هو: «أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله، فصلوا أنتم عليه فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليماً لما نالكم ببركة رسالته، ويؤمن سفارته من شرف الدنيا والآخرة»^(٢).

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن الصلاة والتسليم على النبي ﷺ فرض، لأمر الله تعالى بها، والأمر يقتضي الوجوب، ولكن لما كان الأمر في الآية مطلقاً غير مُقيّد باختلافوا في محل هذا الفرض وفي حدّه، ولذلك كله مباحث طويلة ليس هذا موضع ذكرها.

وبالجُملة فالصلاة والتسليم على النبي ﷺ من سُنن الإسلام الفاضلة وشعار أهله الظاهر، وهي ممّا اختص به نبينا محمد ﷺ تفضيلاً له وتمييزاً

(١) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٢٠٩.

(٢) جلاء الأفهام / ص ٢٦٢.



وإظهارًا لشرفه وحُرْمته.

ومن فهِمَ معنى الصلاة والتسليم على النبي ﷺ بنحو ما سبق بيانه علم
أن فرض الله تعالى لذلك برهان شرعيّ للدفاع عن النبي ﷺ، فإنّ هذه الصلاة
والتسليم تضمّنت ثناء المُصَلِّي عليه وتبرّئته من كل آفة والإشارة بِذِكْرِ شَرَفِهِ
وفضله، وإرادة ذلك من الله تعالى وسؤاله أن يفعل ذلك بِنبيّه ورسوله
محمد ﷺ، فما أَحْسَنَهُ من دفاع، وما أَبَيَّنَّهُ من برهان.

ولهذا يكون من اشتغل بالصلاة والتسليم على النبي ﷺ حائزًا لأحسن
الجزاء وأفضل الثواب، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

ومن ترك الصلاة على النبي ﷺ كان جافيًا خائبًا؛ لقول رسول الله ﷺ:
«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٢)، ولقوله أيضًا - عليه الصلاة
والسلام - : «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٣).

اللهم صلّ وسلم على النبي محمد وآله وصحبه وصالح المؤمنين.

(١) صحيح مسلم، برقم (١).

(٢) سنن الترمذي، برقم (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٣٥١٠).

(٣) سنن الترمذي، برقم (٣٥٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٨٧٨).

المطلب الثامن

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان فرض الله تعالى الجهاد في سبيل الله

الجهاد - من حيث المعنى اللُّغوي - : هو بذل الإنسان جُهدَهُ - طاقته ووسعه - في أمر من الأمور^(١).

وأما المعنى الشرعي للجهاد: فهو بذل المسلم جُهدَه وُوسَعَه وطاقته وسلوكه كل سبب ووسيلة؛ لتحقيق ما يُحِبُّه الله تعالى ويرضاه من الأفعال والأقوال والاعتقادات، ولدفع ما يكرهه الله تعالى، ويُبغِضُه من الأفعال، والأقوال، والاعتقادات^(٢).

وقد دخل في هذا المعنى الجامع أنواع الجهاد من حيث مُتعلِّقُهُ، وهي: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار والمنافقين، وجهاد أرباب الظُّلم والبدع والمنكرات^(٣). وأنواعه من حيث وسيلته، وهي: الجهاد بالنفس - باليد أو اللسان -، والجهاد بالمال، والجهاد بالرأي والقوَّة المعنويَّة، والجهاد بالقلب^(٤).

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني / ١٠١.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٠ / ١٩١ - ١٩٣.

(٣) انظر: زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، تحقيق الأرنبوط: ٣ / ٩ - ١٠.

(٤) انظر: المصدر السابق.



ولهذا قُيِّدَ الجهاد في الشرع بأنه في سبيل الله؛ لِيَدُلَّ على هذا المعنى بمُتعلقاته ووسائله، وليبين أنَّ مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يظهر دين الله على الدين كله^(١).

وعلى هذه الكيفية فرض الله تعالى الجهاد في سبيله، كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥).

وقال سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٤١).

وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَالسِّتِكُمْ»^(٢).

وفي الحديث أيضا: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حِمْيَةً،

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٨ / ٢٣.

(٢) سنن أبي داود، برقم (٢٥٠٤)، وسنن النسائي، برقم (٣٠٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٣٠٩٠).

وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِيَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وفي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أدلة كثيرة في الحُصَّ على الجهاد في سبيل الله، والترغيب فيه، والإخبار عن فضله وفضل أهله، ومالهم في الدنيا من العِزَّة والكرامة، وفي الآخرة من الدَّرَجَات في النعيم المقيم.

فيتبين بهذا عِظَمُ شأن الجهاد في سبيل الله، وأنه من أهم الفرائض الدينيَّة، ومن أعظم الشعائر الإسلاميَّة، وأن حُكْمَه في الشرع يتنوع بالنظر إلى أنواعه، وبالنظر إلى أحوال المُكَلَّفِينَ، فلا بد أن يُجَاهِدَ المسلمون في سبيل الله تعالى كُلُّ بحسب حاله وعلى قدر طاقته، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(٢).

ويتبين بما تقدَّم أيضًا أن فرض الله تعالى الجهاد في سبيله برهان شرعيٌّ للدِّفاع عن النبي ﷺ؛ لأنَّ الدِّفاع عن أعلام الدين وحرماته وشعائره هو شَطْرُ الجهاد في سبيل الله، وهو جزء مفهومه الشرعيُّ، كما هو معلوم لمن تأمل.

فالدِّفاع عن النبي محمد ﷺ، وتطهير الأرض - بحسب الإمكان - من

(١) صحيح البخاري، برقم (١٢٣)، وصحيح مسلم، برقم (٤٩١٩).

(٢) صحيح مسلم، برقم (٤٩٣١).



مظاهر الطَّعن فيه وفي نُبوَّته ورسالته لا شكَّ أنه جهاد واجب على الأمة الإسلامية في كل زمان وفي كل مكان؛ لأنَّه من تمام ظهور دين الله وعُلُوِّ كلمة الله وكون الدين كله لله، فحيثما ظهر الطَّعن فيه وفي نُبوَّته ورسالته ولم يُنتَقَمْ مِمَّن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرًا، ولا كلمة الله عالية^(١)؛ ولهذا جاء في كتاب الله تعالى الأمر الصريح بقتال من يطعن في دين المسلمين حتى ينتهي عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢).

وهذا الجهاد الدِّفاعي عن الإسلام وعن نبيِّ الإسلام صلوات الله عليه وتسليياته كما يكون باليد والنفس، يكون بالقول واللسان، وهو الجهاد بالحُجَّة والبيان، ويكون كذلك بالمال، وبكل وسيلة صحيحة مادية أو معنوية، ولكل من ذلك مقامه وموضعه، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨).

(١) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٢٩٨.

المطلب التاسع

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان تحدِّي مُعارضيه وعجزهم على مرِّ العصور

التحدِّي: هو طلب المِباراة أو المُعارضة في أمر^(١). وهو هنا: تعجيز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيِّه ورسوله محمد ﷺ، أو يُعارضوه بوجه^(٢).

وذلك أن الله ﷻ أمر نبيِّه ورسوله محمداً ﷺ أن يتحدَّى خصومه الذين عارضوا بُبُوته ورسالته، والذين في شكٍّ منها، من العرب وغيرهم من الناس بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم، أو ببعضه على مراتب ثلاث:

فقد تحدَّاهم أوَّلاً على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢﴾ (الطور: ٣٣-٣٤)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ لَكُمْ قُلْ فَاتُوا بِكُتُبٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣﴾

(١) انظر: المعجم الوسيط / مادة (حدا).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي / ص ٣٥.



(القصص: ٤٨ - ٤٩)، والضمير في قوله: (أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) يعني: التوراة والقرآن، «وقد عَلِمَ بالضرورة لذوي الألباب أن الله تعالى لم يُنَزِّلْ كِتَابًا من السماء فيما أُنْزِلَ من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل، ولا أشمل، ولا أفصح، ولا أعظم، ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهو القرآن. وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام، وهو التوراة»^(١).

وقال تعالى - مُقَرَّرًا إعجاز القرآن الكريم -: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)؛ لأن القرآن الكريم كلام الله الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧)، فكيف يَقْدِرُ أن يأتي بمثله المخلوق الضعيف الناقص من جميع الوجوه؟!

ثم تحدّاهم ثانيًا - عندما عجزوا أن يأتوا بكتاب مثل القرآن - أن يأتوا بعشر سورٍ مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٥ / ٢٥.

ثم تحدّاهم ثالثاً - عندما عجزوا أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن - أن يأتوا بأقل من ذلك، ولو بسورة واحدة، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧ - ٣٨).

وهذه التحديّات كلها واقعة في مكة؛ لأنّ الآيات الماضية مكية، وقد عجز المعارضون أن يأتوا بشيء من ذلك.

ثم تحدّاهم بذلك أيضاً في المدينة، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

وقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ قال الحافظ ابن كثير: «يَعْمُ كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ طَوِيلَةً كَانَتْ أَوْ قَصِيرَةً؛ لِأَنَّهَا نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ فَتَعْمُ كَمَا هِيَ فِي سِيَاقِ النِّفْيِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْأَصُولِيِّينَ، كَمَا هُوَ مُفَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ، فَلَا عِجَازَ حَاصِلَ فِي طَوَالِ السُّورِ وَقِصَارِهَا، وَهَذَا مَا لَا أَعْلَمُ فِيهِ نِزَاعًا بَيْنَ النَّاسِ سَلَفًا وَخَلْفًا» اهـ^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم: ١ / ١٨٨.



وهذا التحدي ظل قائماً في حياة رسول الله ﷺ إلى أن تمَّ نزول القرآن الكريم، وانقطع الوحي بموت رسول الله ﷺ، والتحدي ما زال قائماً لم ينقطع، ولم ينته أمدُّه تصديقاً لقول الله تعالى - في الآية المدنية - : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾، فإن (لن) هنا: لنفي التأييد في المستقبل، أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً. وهذه أيضاً معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبراً جازماً قاطعاً مقدماً غير خائف ولا مُشْفِقٍ أن هذا القرآن لا يُعارضُ بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين، وكذلك وقع الأمر، فالبشر - من لدن نزول القرآن إلى زماننا هذا، وإلى أن تقوم الساعة - عاجزون وفي غاية العجز عن مُعارضة القرآن، مع كثرة الأعداء وجدهم في ردِّ ما جاء به الرسول ﷺ، ومن طَفَقَ من بعض المكابرين يُعارض القرآن أو يأتي بمثله ظهر عيُّه وصار ضُحْكَةً لأولي البصائر والألباب، وأنَّى يتأتَّى لمخلوق عاجز أن يُعارض كلام ربِّ الأرباب خالق كلِّ شيء؟! وكيف يُشبهه كلام الخالق كلام المخلوقين؟!

ولو أنَّ بشرًا جاء بما يَنقُضُ هذا التحدي القاطع لا نهارت حُجَّة القرآن، ولكن هذا لم يقع ولن يقع، وما زال القرآن الكريم يتميَّز من كلِّ كلام يقوله البشر تميَّزاً واضحاً قاطعاً لا يخفى إلا على جاهل غبيٍّ، ولا يكذب به إلا كافر عنيد، كما قال الله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّالِكَ

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنِيقَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ (يونس: ٣٩).

ثبت بهذا إعجاز القرآن الكريم على أبلغ وجهٍ وأكده، وأنه أعظم آية على صدق النبي ﷺ، وصدق ما جاء به، فيتعين على جميع الناس الإيمان به وأتباعه فيما جاء به، كما قال الله تعالى - عقب التحدي بعشر، وقوله فيه: (وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) - قال: ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (هود: ١٤)، لأنه بعد وضوح الحق لا يبقى إلا التسليم، وإلا فالهلاك والنار، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤).

وثبت بهذا أن تحدي معارضي رسول الله ﷺ، وعجزهم عن معارضته على مر العصور وتعاقب الأزمان أبرز برهان شرعي للدفاع عن نبي الله ورسوله محمد ﷺ، فإن إعجاز القرآن الكريم يدفع كل محاولة للطعن في نبوة محمد ﷺ وصحة رسالته، فلا غرو أن أقسم الله تعالى بالقرآن على رسالة النبي محمد ﷺ في قوله ﷻ: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ (يس: ١ - ٤).

قال العلامة السعدي: «ولا يخفى ما بين المُقسَم به - وهو القرآن الحكيم -



وبين المُقَسَّم عليه - وهو رسالة الرسول محمد ﷺ - من الاتِّصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلاّ هذا القرآن الحكيم لكفى به دليلاً وشاهدًا على رسالة محمد ﷺ، بل القرآن العظيم أقوى الأدلّة المتَّصلة المُستمرّة على رسالة الرسول، فأدلّة القرآن كلّها أدلة لرسالة محمد ﷺ. اهـ^(١).

المطلب العاشر

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان عصمة الله تعالى له من الناس، وكفايته من أذاهم

لقد قامت شواهد كثيرة، ودلت وقائع عديدة على عصمة الله تعالى لنبيه
ورسوله محمد ﷺ من الناس، وكفايته من أذاهم، وهي تأويل وتحقيق لما وعد
الله تعالى به نبيه ﷺ في القرآن الكريم، مثل:

١ - قول الله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧).

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

(المائدة: ٦٧).

٣ - وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

٤ - وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥).

٥ - وقوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَتُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٣٦).

٦ - وقوله ﷻ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: ٤٨).

٧ - وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۖ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ

أَمَهُلُهُمْ زُيْدًا ﴿١٥﴾ (الطارق: ١٥ - ١٧).

ونحو هذه من الآيات في القرآن الكريم، فقد عصم الله تعالى نبيه ورسوله محمداً ﷺ، وكفاه من أذاهم مصداقاً لهذه الآيات في مواقع كثيرة، ومن ذلك: أولاً - ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال «قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَقِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِبَطْأٍ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ: فَمَا فَجَّئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَحَنَدًا مِنْ نَارٍ، وَهَوَلاً، وَأَجْنَحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»^(١).

ثانياً - وقصة الغار، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

وفي الحديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَأَيْتُ أَثَارَ الْمُشْرِكِينَ - وفي رواية: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن

(١) صحيح مسلم، برقم (٦١٦٩).

في الغار - قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَى أَنَا قَالَ: «مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ تَالِثُهُمَا»^(١).

ثالثاً - وما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: «أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِصَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِصَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمَرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَمِنَّمَا نَوْمَةٌ، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقِظْتُ، وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ. فَهَذَا جَالِسٌ» ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٢).

رابعاً - وأمثال هذه الوقائع في السيرة النبوية كثيرة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان سبحانه يحميه، ويصرف عنه أذى الناس وشتمهم بكل طريق حتى في اللفظ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ» فنزّه الله اسمه ونعته عن الأذى، وصرف ذلك إلى من هو

(١) صحيح البخاري، برقم (٤٦٦٣)، وصحيح مسلم، برقم (٦١٦٩).

(٢) صحيح البخاري، برقم (٤١٣٥).



مُذَمِّمٌ، وَإِنْ كَانَ الْمُؤْذِي إِنَّمَا قَصَدَ عَيْنَهُ» اهـ^(١).

ولا شك أن ما جاء في هذه الأمثلة وغيرها من عصمة الله تعالى نبيه ورسوله محمدًا ﷺ من الناس، وكفايته من أذاهم، لا شك أنها برهان شرعي للدفاع عن النبي ﷺ دفاعًا حسيًا بمنع كل من يريد الإساءة إلى هذا النبي المَعْصُوم - عليه الصلاة والسلام - أو إلى سنته وسيرته بقول أو فعل، وردعه عن ذلك بكل طريق جائز؛ ليكون عبرة لغيره، وليشعر هو وغيره بعظمة هذا النبي الكريم صلوات الله وتسليحاته عليه، وبمكاته عند الله تعالى، وعند عباده المؤمنين، وأن من سنة الله ﷻ أن من لم يُمكن المؤمنين أن يردعوه من الذين يُسيؤون إلى رسول الله ﷺ فإن الله تعالى ينتقم منه لرسوله، ويكفيه إياه، والله على كل شيء قدير^(٢).

(١) الصارم المسلول / ص ١٦٥.

(٢) انظر: المصدر السابق / ص ١٦٤.

المطلب الحادي عشر

الدِّفاع عن النبي ﷺ

ببرهان دفاعه عن نفسه وانتدابه من يدافع عنه من أصحابه ﷺ أجمعين

مَّا هُوَ مُقَرَّرٌ لَدَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ فِعْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقْرِيرَهُ مِنْ سُنَّتِهِ،
وَأَنَّ سُنَّتَهُ ﷺ مَصْدَرٌ لِلتَّشْرِيعِ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وقد كان لرسول الله ﷺ في حياته مواقف كثيرة دافع فيها عن نفسه
الشريفة وردَّ على الذين ناوؤوا رسالته، وآذوه لدعوته بما يليق بهم من الرَّدِّ
بحسب الحال، ويشهد لذلك:

١ - رَدُّهُ ﷺ عَلَى مَنْ اتَّهَمَهُ بِعَدَمِ الْعَدْلِ فِي الْقِسْمَةِ، كَمَا رَوَى أَبُو بَرزَةَ
رضي الله عنه قال: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَالٍ فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَمَنْ عَنْ
شِمَالِهِ، وَلَمْ يُعْطِ مَنْ وَرَاءَهُ شَيْئًا، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ وَرَائِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا عَدَلْتَ
فِي الْقِسْمَةِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مَطْمُومُ الشَّعْرِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبْيَضَانِ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا تَحِيدُونَ بَعْدِي رَجُلًا هُوَ أَعْدَلُ
مَنِّي»... الحديث^(١).

(١) سنن النسائي، برقم (٤١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧١٠١).



وإنما كان رده هنا ﷺ بغضب شديد؛ لأن هذا الرجل انتهك حرمة النبي ﷺ باتهامه بعدم العدل، وذلك قدح في نبوته، فإن النبي لا يخيف ولا يجور، كما قال الله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (النور: ٥٠)، وإلا فلم يكن رسول الله ﷺ ينتقم لنفسه، بل كان يعفو ويصفح إلا إذا انتهكت حرمة الله تعالى، فيغضب وينتقم لذلك، كما هو الحال في هذا الموقف.

٢ - أمره ﷺ بقتل رجل من اليهود لإيذائه رسول الله ﷺ، وإعاقته الأعداء عليه، كما روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ بَيْتَهُ لَيْلًا، فَقَتَلَهُ، وَهُوَ نَائِمٌ»^(١).

٣ - انتدابه ﷺ من أصحابه من يدافع عنه، ويكفيه الأعداء بيده أو بلسانه، كما وقع يوم أُحُدٍ لما رَهَقَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

وكان ﷺ يقول لحسان بن ثابت رضي الله عنه - وهو شاعر رسول الله ﷺ - :

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٠٢٣، ٤٠٣٩).

(٢) صحيح مسلم، برقم (٤٦٤١).

«أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيَّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»^(١).

وقال له يوم قريظة: «اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جَبْرِيلَ مَعَكَ»^(٢).

وقال ﷺ - لِحَسَّانٍ أَيْضًا -: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ

عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٣).

وكان يُنْصَبُ لِحَسَّانٍ ﷺ منبر في المسجد يُنافِخُ عن رسول الله ﷺ

بشعره، وهجائه للمشركين.

وكان عددُ من المُشْرِكِينَ يكفُّون عن أشياء مِّن يُؤْذِي المسلمين خشية هِجاء

حَسَّانٍ^(٤).

وكان غيره من الصحابة ﷺ يبذلون أرواحهم وأموالهم في الدِّفاع عن

رسول الله ﷺ، وَصَوْنُ عِرْضِهِ، وكان الرسول - عليه الصلاة والسلام -

يمدح من فعل ذلك منهم، سواء قُتِلَ أو غَلَبَ، وَيُسَمِّيهِ ناصِرَ الله ورسوله،

وكانوا يرون ذلك شرفاً لهم وأيّ شرف، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٢١٢)، وصحيح مسلم، برقم (٦٣٨٤).

(٢) صحيح البخاري، برقم (٤١٢٤)، وصحيح مسلم، برقم (٦٣٨٧).

(٣) صحيح مسلم، برقم (٦٣٩٥).

(٤) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٢٠٦.



فهذه بعض الشواهد للدفاع النبي ﷺ عن نفسه، وانتدابه من يدافع عنه من أصحابه الكرام ﷺ، ولا شك أن ذلك مما مضت به سنته ﷺ، وسنة أصحابه الكرام ﷺ، وهي من السنن الثابتة التي يجب على المسلمين اتباع نبيهم فيها، والافتداء بسلفهم الصالح فيها؛ لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقول رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيَيْنِ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(١).

وقد ثبت - بهذا - أن دفاع النبي ﷺ عن نفسه، وانتدابه من يدافع عنه من أصحابه برهان شرعي للدفاع عنه ﷺ، فمن ترك الدفاع عنه - عند وجود سببه - فقد خالف سنة نبيه محمد ﷺ، وكفى بذلك فتنة وخيبة، كما قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

نسأل الله السلامة من الفتنة، والنجاة من العذاب الأليم.

(١) سنن أبي داود، برقم (٤٦٠٧)، وسنن الترمذي، برقم (٢٦٧٦)، وسنن ابن ماجه، برقم (٤٣).

المطلب الثاني عشر

الدِّفَاعُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِبِرْهَانِ إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

عَلَى الدِّفَاعِ عَنْهُ سَلَفًا وَخَلَفًا وَإِلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ﷻ

إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حُجَّةٌ مُعْتَبَرَةٌ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).
وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ولقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا فِي النَّارِ»^(١).

والإجماع المُعْتَبَرُ به في هذه الأمة هو إجماع أهل العلم منهم الذين هم الأئمة وأولو الأمر فيهم، ومن عداهم تَبَعُ لهم فيما أجمعوا عليه؛ ولهذا جاء تعريف الإجماع بأنه: «اتِّفَاقُ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَى أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ»^(٢).

(١) سنن الترمذي، برقم (٢١٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٨٤٨).

(٢) انظر: مذكرة أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي / ص ١٧٩.



ومتى قطعنا بإجماعهم وجب الرجوع إليه ولم تحل مخالفتهم لأدلة معلومة ليس هذا موضع ذكرها.

وإذا علمَ هذا فقد أجمع علماء الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً على الدفاع عن النبي ﷺ، ونَقَطَ بإجماعهم في هذا الأمر من ثلاث طُرُق:

الأولى / ما ورد في الكتاب والسنة من الأدلة الكثيرة المُقتَضِية للدِّفاع عن النبي ﷺ، وما ثبت من كلام العلماء في شرح هذه الأدلة والاستنباط منها، وقد تقدّم شيء يسيرٌ من ذلك في المطالب السابقة في هذا البحث.

الثانية / حكاية العلماء في كُتُب العلم لهذا الإجماع خلفاً عن سلف، وأعني هنا إجماعهم على منع سبِّ النبي ﷺ، أو تنقُّصه، أو الاستهزاء به، أو الإساءة إليه، أو إلى دينه بقول أو فعل أو تصريح أو تلميح، وعلى أن ذلك كُفْرٌ يُخْرِجُ فاعله من الإسلام، ويجب قتله في الدنيا على تفاصيل في ذلك.

قال القاضي عياض الـيـحـصـيُّ: «اعلم - وفَقَّنا الله وإياك - أن جميع من سبَّ النبي ﷺ، أو عابه، أو ألحقَّ به نقصاً في نفسه، أو نسبَه، أو دينه، أو خَصَلَة من خِصاله، أو عَرَّضَ به، أو شَبَّهه بشيء على طريق السبِّ له، أو الإِزرَاء عليه أو التصغير لشأنه، أو الغَضُّ منه، والعيب له فهو سَابٌّ له، والحُكْمُ فيه حُكْمُ السَابِّ يقتل كما نُبيِّنُه، ولا نَسْتَشْنِي فَضْلاً من فُصول هذا الباب على هذا المقصد،

ولا نَمْتَرِي فيه تصرِيحًا كان أو تلويحًا. وكذلك من لعنه، أو دعا عليه، أو تمَنَّى مَضَرَّةً له، أو نَسَبَ إليه ما لا يليق بِمَنْصِبِهِ على طريق الذَّمِّ، أو عبث في جِهَتِهِ العزيزة بِسَخَفٍ من الكلام، وهُجْرٍ ومُنْكَرٍ من القول وزُورٍ، أو عَيَّرَهُ بشيءٍ مِمَّا جرى من البلاء والمِحْنَةِ عليه، أو غَمَصَهُ ببعض العوارض البشريَّة الجائرة، والمعهودة لديه.

وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لَدُن الصحابة رضي الله عنهم إلى هَلُمَّ جَرًّا^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سَبَّ الله أو سَبَّ رسوله كُفْرٌ ظاهرًا وباطنًا، سواء كان السابُّ يعتقد أنَّ ذلك مُحَرَّمٌ أو كان مُسْتَحِلًّا له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السُّنَّة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

وقد قال الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظليُّ المعروف بابن راهوية - وهو أحد الأئمة، يُعَدُّ بالشافعيِّ وأحمد -: وقد أجمع المسلمون أنَّ من سَبَّ الله أو سَبَّ رسوله عليه الصلاة والسلام أو دفع شيئًا مما أنزَلَ، أو قتل نبيًّا من أنبياء الله أنه كافر بذلك، وإن كان مُقِرًّا بما أنزل الله.

وكذلك قال محمد بن سحنون - وهو أحد الأئمة من أصحاب مالك

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/ ٢٢٠.



وزمَّنه قريب من هذه الطبقة -: أجمع العلماء أن شاتم النبي عليه الصلاة والسلام المتَّقَصَّ له كافرٌ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحُكْمُه عند الأُمَّة القتل، ومن شكَّ في كفره وعذابه كَفَرَ.

وقد نص على مثل هذا غير واحد من الأئمة اهـ^(١).

الثالثة / ما ثبت من مَوَاقِف الأُمَّة الإسلاميَّة - علماء وحُكَّامًا وعامَّة - في كلِّ زمان ومكان في الدِّفاع عن نبيِّهم رسول الله ﷺ، والتصدِّي للمتطاولين على مقام هذا النبيِّ الكريم بما يُمكنُ من وسائل الردِّ والتعبير عن الاستنكار، على تفاوُت في هذه المواقِف قُوَّةً وضعفًا، وسلامةً وتساهلاً، ومهما يكن من ذلك فإنه دليل على ما هو مُستَقَرٌّ في نفوس المُسلمين من وجوب الدِّفاع عن النبي ﷺ تبعًا للكتاب والسُّنة، وما مضى عليه السلف الصالح من هذه الأُمَّة.

وبهذا انقطع بإجماع الأُمَّة الإسلاميَّة سلفًا وخلفًا على الدِّفاع عن النبي ﷺ، وأنَّ هذه الأُمَّة ستظلُّ كذلك مُدافِعة عن النبي ﷺ إلى أن يأتي أمر الله، وأنَّه لا يسُوغ لأحد من المُسلمين الخروج عن مُوجب هذا الإجماع القاطع، كيف! وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).



المبحث الثاني في الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين العقلية

وفيه ستة براهين عقلية:

- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان تعظيم الله تعالى، ونصر دينه.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان لازم الإيمان به، واعتقاد نُبوَّته ورسالته.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان ما له من الحقوق الواجبة على أُمته.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان الانتصار للحق وردِّ الباطل والظلم والبغي والعدوان.

- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان الدِّفاع عن القيم العُلَيَّا، والمبادئ السامية.
- الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان أنه دفاع عن أمة بأجمعها الأُمة الإسلامية.

المطلب الأول

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان تعظيم الله تعالى ونصر دينه

إِنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ بِعَقْلِهِ أَنَّ إِرسَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ لِهَدَايَةِ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَلِتَأْهِيلِهِمْ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ أَنَّهُ لِمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَالَمِينَ، فَهُوَ ﷻ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي يُرَبِّي عِبَادَهُ التَّربِيَةَ الْمَادِّيَّةَ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَتَدْبِيرِ الشُّؤُنِ، وَالتَّربِيَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ بِرِسَالَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ.

وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ التَّربِيَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي هِيَ دِينُ اللَّهِ تَعَالَى وَشَرِيعَتُهُ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا هِيَ بِوَسْطَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ الْمَبْعُوثِ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً بِدِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ دِينًا سِوَاهُ.

فَمَا مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِلَّا رَسُولُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِرِسَالَةٍ هِيَ الْإِسْلَامُ، فَمَنْ طَعَنَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ فِي رِسَالَتِهِ فَقَدْ تَعَلَّقَ بِهِذِهِ الْإِسَاءَةُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ حَقُّ لِّلَّهِ تَعَالَى: «مَنْ حَيْثُ كَفَرَ بِرَسُولِهِ وَعَادَى أَفْضَلَ أَوْلِيَائِهِ، وَبَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَنْ حَيْثُ طَعَنَ فِي كِتَابِهِ وَدِينِهِ، فَإِنَّ صِحَّتَهُمَا مَوْقُوفَةٌ

على صحة الرسالة، ومن حيث طَعَنَ في أُلُوهِيَّتِهِ، فَإِنَّ الطعن في الرسول طَعْنٌ في المرسل، وتكذيبه تكذيبٌ لله تبارك وتعالى وإنكارٌ لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته»^(١).

وعكس ذلك بالعكس، فمن عَظَّمَ رسول الله ﷺ، ونَصَرَ دينه فقد عَظَّمَ الله تعالى ونَصَرَ دين الله تعالى، «فإن تعظيم الرسول وإجلاله ومحَبَّتُهُ وطاعته تابعٌ لتعظيم مُرْسِلِهِ سبحانه وإجلاله ومحَبَّتِهِ وطاعته، فَمُحَالٌ أَنْ تُثَبَّتَ الْمَحَبَّةُ والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول ﷺ دون مُرْسِلِهِ ﷺ، بل إِنَّمَا يَثْبُتُ ذَلِكَ له تَبَعًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ وتعظيمه وإجلاله؛ ولهذا كانت طاعة الرسول ﷺ طاعة لله، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، ومبايعته مبايعة لله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠)، ومحَبَّتُهُ محَبَّةٌ لله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وتعظيمُهُ تعظيمًا لله، ونُصْرَتُهُ نُصْرَةً لله، فَإِنَّهُ رَسُولُهُ وَعَبْدُهُ الداعي إليه وإلى طاعته ومحَبَّتِهِ وإجلاله وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له»^(٢).

ولا يَخْفَى على عاقل أَنَّ الدِّفَاعَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَبَرُّتَهُ مِنَ التُّهْمِ

(١) الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٢٩٣.

(٢) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية / ص ٥٥٧.



والافتراءات، ومن التنقُص والاستهزاء، ومن جميع صُور التشويه أن ذلك كله تعظيم وإجلال وتقدير لرسول الله ﷺ، فيترتب على هذا أن الدِّفاع عن النبي ﷺ تعظيم، وإجلال، وتقدير لله ﷻ ونصرٌ لدينه، وأن ترك الدِّفاع عن النبي ﷺ تركٌ لهذا التعظيم والإجلال والتقدير والنصر لدين الله ﷻ، كما أن الطَّعن في رسول الله ﷺ طَّعنٌ في الله سبحانه ومحاربةٌ له ولدينه، وكل عاقل يُدرك الفرق بين الموقفين، كل عاقل يُدرك أن تعظيم الله تعالى وإجلاله وتقديره ضرورةٌ شرعاً وعقلاً، وأن الطعن في الله تعالى ومحاربة دينه مُنكرٌ هو أعظم المنكرات شرعاً وعقلاً.

وإذا كان هذا كله مما لا يُخفى على عاقل فقد تبَيَّن أن تعظيم الله تعالى ونصر دينه برهان عقليٌّ للدِّفاع عن النبي ﷺ، فلو لم يرد دليل شرعيٌّ بالدِّفاع عنه ﷺ لكان ما في الدِّفاع عنه من تعظيم الله تعالى ونصر دينه كافياً في وجوب الدِّفاع عنه ﷺ.

المطلب الثاني

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان لازم الإيمان به واعتقاد نبوته ورسالته

إِنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يُدْرِكُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاعْتِقَادَ نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ لَهُ لَازِمٌ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ، وَلَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِهِ.

فَمَنْ كَانَ مُعْتَرِفًا لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالنُّبُوَّةِ مُصَدِّقًا لَهُ بِالرَّسَالَةِ لَزِمَهُ اتِّبَاعُهُ فِي خَبَرِهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَعْزِيرِهِ وَتَوْقِيرِهِ، وَالذَّبُّ عَنْهُ، وَعَدَمُ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ لَازِمِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَاعْتِقَادِ نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ. وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِطَرِيقِ الزُّوْمِ الْعَقْلِيِّ مَعَ وَرُودِ الشَّرْعِ بِهِ أَيْضًا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُدْرِكَ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ الْإِسَاءَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ مُنَافٍ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَاعْتِقَادِ نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ؛ وَلِهَذَا لَا يَقَعُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْإِسَاءَةِ قَاصِدًا لَهَا إِلَّا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا يَعْتَقِدُ نُبُوتَهُ وَلَا رِسَالَتَهُ، وَهُوَ إِمَّا كَافِرٌ أَوْ مُنَافِقٌ، فَإِنَّ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَشْبَاهَهُمْ دَاعِيًا إِلَى ذَلِكَ: مِنْ جِهَةِ مُحَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي دِينِهِ، وَمِنْ جِهَةِ حَسَدِهِمْ لَهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَمِنْ جِهَةِ اسْتِكْبَارِهِمْ وَإِعْجَابِهِمْ بِمَا عِنْدَهُمْ، وَمِنْ جِهَةِ انْقِهَارِهِمْ تَحْتَ حُكْمِ دِينِهِ وَشَرْعِهِ^(١).

(١) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٤٩٨.



وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ بِهِ الْمُعْتَقِدُونَ لِنُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ فَهُمْ عَلَى خِلَافٍ أَوْلَئِكَ؛ لِأَنَّ لَهُمْ دَاعِيًا قَوِيًّا إِلَى مُحَبَّتِهِ، وَاتِّبَاعِهِ، وَتَوْقِيرِهِ، وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، وَنَصْرِ دِينِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ، وَبِكُلِّ مَا أَوْتُوا مِنْ قُوَّةٍ وَوَسِيلَةٍ.

وَالَّذِي يُسَيِّئُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِهِ وَاعْتِقَادَ نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَإِنَّ إِسَاءَتَهُ إِلَيْهِ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى بَطْلَانِ إِيْمَانِهِ وَفُسَادِ عَقِيدَتِهِ، بَلْ هِيَ دَلِيلٌ عَلَى الْاسْتِهَانَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْاسْتِخْفَافِ بِحُرْمَتِهِ، فَإِنَّ مَنْ وَقَرَ الْإِيمَانَ بِهِ فِي قَلْبِهِ لَمْ يَتَصَوَّرْ مِنْهُ ذَمًّا وَإِذَاؤُهُ وَتَنْقُصَهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَلَرُبَّمَا صَدَرَ (السُّبُّ وَالشُّتْمُ) عَمَّنْ يَعْتَقِدُ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ، لَكِنْ لَمْ يَأْتِ بِمُوجِبِ هَذَا الْإِعْتِقَادِ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالْإِنْقِيَادِ، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ إِبْلِيسَ، حَيْثُ اعْتَقَدَ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: (رَبِّ)، وَقَدْ أَيقَنَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ، ثُمَّ لَمْ يَأْتِ بِمُوجِبِ هَذَا الْإِعْتِقَادِ مِنَ الْاسْتِسْلَامِ وَالْإِنْقِيَادِ، بَلْ اسْتَكْبَرَ وَعَانَدَ مُعَانِدَةً مُعَارِضَ طَاعِنٍ فِي حِكْمَةِ الْأَمْرِ.

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَطِيعُهُ؛ لِأَنَّ أَمْرَهُ لَيْسَ بِصَوَابٍ وَلَا سَدَادٍ، وَبَيْنَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ وَاجِبُ الْإِتِّبَاعِ فِي خَبَرِهِ وَأَمْرِهِ، ثُمَّ يَسُبُّهُ أَوْ يَعِيبُ أَمْرَهُ أَوْ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِهِ، أَوْ يَنْتَقِصُهُ انْتِقَاصًا لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَحِقَّهَ الرَّسُولُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ

قول وعمل، فمن اعتقد الوحداية في الألوهية لله ﷻ، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبَه من الإجلال والإكرام - الذي هو حال في القلب يَظْهَرُ أثرُه على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل - كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد، ومُزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تُزَكِّي النفوس وتُصْلِحُهَا، فمتى لم تُوجِبْ زكاة النفس ولا صلاحها فما ذاك إلا لأئها لم تَرَسَخْ في القلب، ولم تَصِرْ صفة ونَعْتًا للنفس ولا صلاحاً، وإذا لم يكن علم الإيمان المفروض صفةً لقلب الإنسان لازمة له لم ينفعه، فإنه يكون بمنزلة حديث النفس وخواطر القلب، والنجاة لا تحصل إلا بيقين في القلب، ولو أنه مثقال ذرة.

هذا فيما بينه وبين الله، وأما في الظاهر فيجري الأحكام على ما يُظْهَرُ من القول والفعل.

والغرض بهذا التنبيه على أن الاستهزاء بالقلب والانتقاص يُنافي الإيمان الذي في القلب مُنافاة الضدّ ضدّه، والاستهزاء باللسان يُنافي الإيمان الظاهر باللسان كذلك»^(١).

(١) الصارم المسلول / ص ٣٦٩ - ٣٧٠.



وإذا تبينَ بهذا الكلام أنَّ الإساءة بالقول أو الفعل إلى النبي ﷺ تُنافي الإيمان به واعتقاد بُبُوته ورسالته، تبينَ لكل عاقل أنَّ ضِدَّ هذه الإساءة من المدح والثناء والإجلال والتوقير والاحترام والتقدير بالقول والفعل يُلازم الإيمان، ويُحقِّقه، ويدلُّ عليه.

وتبينَ لكل عاقل أيضًا أنَّ لازم الإيمان برسول الله ونبِيِّه محمد ﷺ برهان في العقل للدفاع عنه ﷺ.

فاهْتِمَامُ الإنسان بالدِّفاع عن النبي ﷺ آية إيمانه به ومحَبَّته وتوقيره له، وتهاوُنُ الإنسان في الدِّفاع عن النبي ﷺ آية كُفْرِهِ، أو نفاقه، أو ضعف لإيمانه بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث

الدِّفاع عن النبي ﷺ ببرهان ما له من الحقوق الواجبة على أمته

يعلم كلُّ إنسان أنَّ الله تعالى قد فاوت بين الناس في صفاتهم، وأعمالهم، وآثارهم مُفاوتة لا يحيط بصُورِها إلَّا هو العليم الحكيم.

ويعلم كلُّ إنسان أنَّ حقوق الناس تتفاوت بحسب تفاوت مراتبهم، ومنازلهم التي أنزلهم الله إياها في هذه الحياة الدنيا.

وإذا كان كذلك فينبغي أن يعلم كلُّ عاقل أنَّ للنبي ﷺ على أمته من الحقوق ما ليس لغيره من الناس، وذلك بما ميَّزه الله تعالى وفضَّله بما خصَّه به من النبوة والرسالة التي استحقَّ بها على الناس جميعاً أن يؤمنوا به، ويتَّبِعُوهُ، ويطيعوه في كلِّ ما أمر به أو نهى عنه، ويُعزِّروه، ويوقِّروه، ويُحِبُّوه أكثر من محبَّتِهِمْ لأنفسهم، وأكثر من محبَّتِهِمْ لجميع الخلق.

ولهذا استحقَّ أيضًا ﷺ أن يكون أولى من كل أحد من الناس بأن تُراعى حقوقه، ويصان عِرضُهُ ويُبجَّل ويُحترم، كما قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، «لأنَّه - عليه الصلاة والسلام - بذل لهم من النصيح، والشفقة والرأفة ما كان به أرحم الخلق وأرأفهم، فرسول الله



أعظم الخلق مِنَّةً عليهم من كل أحد، فَإِنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا انْدَفَعَ عَنْهُمْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ وَبِسَبَبِهِ^(١)، فكيف يجوز أن يكون حَقُّهُ كحَقِّ غيره من الناس، بل يجب أن يُبَيَّنَ سائر الناس في عَامَّةِ الحقوق فَرْضًا وخطراً وغيرهما، فحَقُّهُ ﷺ بالنسبة إلى حقوق سائر الناس أوجب وأعظم.

ومن هنا يتبين لكل عاقل أن انتهاك عِرْضِ رسول الله ﷺ بالسبِّ، والسُّخْرِيَّةِ، والانتقاص، ونحو ذلك ليس كانتهاك عِرْضِ غيره من الناس، بل قياس عِرْضِهِ ﷺ بعِرْضِ غيره من أَفْسَدِ القياس في العقل.

وكذلك يتبين لكل عاقل أن الدِّفاع عن النبي ﷺ ليس كالِدِّفاع عن غيره من الناس، بل الدِّفاع عنه ﷺ أَكْثَرُ وَأَوْجَبُ، بل هو أداء لأَقْلَ القليل من حقوقه الواجبة على أُمته، فمن ترك الدِّفاع عن النبي ﷺ، أو تهاون في الدِّفاع عنه، فلا شكَّ أَنَّهُ لِمَا سِوَى الدِّفاع من الحُقوق الواجبة أولى بأن يَتْرَكَ أو يَتَهَاوَنَ، وهذا كله ظاهر لمن يَعْقِلُ؛ ليعلم أَنَّ ما للنبي ﷺ من الحقوق الواجبة على أُمته برهان عقليٌّ للدِّفاع عنه ﷺ، بل هو برهان عقليٌّ على أَنَّ الدِّفاع عنه عليه الصلاة والسلام أولى وأكثَرُ وأوجب من الدِّفاع عن كل أحد سِوَاهُ من الناس.

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي / ص ٧٧٤.

المطلب الرابع

الدِّفاع عن النبي ﷺ

ببرهان الانتصار للحق ورد الباطل والظلم والبغي والعدوان

الانتصار للحق، وردُّ الباطل والظلم والبغي والعدوان هو طريق أهل العدل والإنصاف، ولا بدَّ منه في الحياة وإلاَّ ساد الباطل والظلم والبغي والعدوان؛ ولهذا مدح الله تعالى الذين يَنْتَصِرُونَ من الظلم والبغي والعدوان في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ (الشعراء: ٢٢٧)، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ ظُلْمٌ سَأَلُوا وَاسْتَعْلَمُوا الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٣٩).

والرسول عليه الصلاة والسلام ممن يصيبه البغي، وتلحقه المعرة بالسبِّ والوقعة فيه؛ لأنه - ﷺ - مخلوق، وهو من جنس آدميين الذين تلحقهم المعرة والغضاظة بالسبِّ والطعن والانتقاص^(١) فلا بدَّ من الانتصار له كغيره من آدميين على أقلِّ تقدير، فإنه لا يُماري عاقل أن شخصاً لو سبَّ واحداً من الصالحين أو سبَّ واحداً من أعيان الأمة وهو ميت أو غائب لوجب على من

(١) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٤٩٧.



حضره أن ينتصر له بما يُمكن، وبما يَقْدِرُ عليه من يد أو لسان أو بالقلب، وهو أضعف ما يمكن من الانتصار^(١).

ومعلوم أن انتقاص رسول الله محمد ﷺ والطعن فيه ظلم عظيم، وبغي، وعدوان بغير حق، ولو صدر هذا الطعن والانتقاص ممن لا يَعْتَقِدُ بُؤْتَهُ ورسالته لم يخرج بذلك أن يكون ظلمًا وعدوانًا وبغيًا؛ لأنه لا يوجد دين - وإن كان دينًا باطلا - يُبيح السب والطعن في النبي، بل يكون أكثر ما يعتقدون فيه أنه ليس بنبي، أو أنه ليس عليهم أتباعه، أما أن يعتقدوا أن سبّه ولعنته جائزة فكثير منهم أو أكثرهم لا يعتقدون ذلك، والذين يفعلون ذلك هم أهل ظلم وبغي وعدوان، وهو كفر زائد على كفر التكذيب ببؤتته، وكفر الإعراض عن أتباعه^(٢).

وبهذا يتبين أن الانتصار للحق، وردّ الباطل والظلم والبغي والعدوان برهان عقلي للدفاع عن النبي ﷺ، وأن كل من طعن في النبي محمد ﷺ فإنما طعن فيه ظلمًا وبغيًا وعدوانًا بغير حق، وأن كل مُنْصِفٍ من عقلاء الناس يجب أن ينتصر للحق، ولصاحب الحق ممن طغى، وبغى واعتدى وإلا كان مُشاركًا في الباطل والظلم، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

(١) انظر: المصدر السابق / ص ٤٤٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه / ص ٢٩٠، ٤٨٤.

المطلب الخامس

الدِّفاع عن النبي ﷺ

ببرهان الدِّفاع عن القيم العُليا والمبادئ السامية

لكلِّ قوم قِيَمٌ ومبادئ يتمسكون بها، وَيَدْعُونَ إليها، ويدافعون عنها، ومهما اختلف الناس في القِيَمِ والمبادئ فلن يجدوا في القِيَمِ مثل التي جاء بها النبيُّ محمد ﷺ، ولن يجدوا في المبادئ مثل التي دعا إليها رسول الله ﷺ، فقيمه هي أعلى القِيَمِ، ومبادئه هي أسمى المبادئ، ودينه هو أكمل الأديان، وكتابه هو أفضل الكتب، وسنته هي أشمل السُّنَنِ، وأخلاقه هي أعظم الأخلاق، وأُمَّته هم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس.

فالتَّعَنُّ في بُنْوَ محمد ﷺ، وانتِهَاك عِرْضِهِ، وتَهْوِين شأنه مُنَافٍ لهذه المزايا بالكُلِّيَّة؛ لأنَّه إن طَعَنَ في بُنْوَته، وانتَهَكَ عِرْضَهُ، وهَوَّن شأنه سقط احترامه وتعظيمه وتقديره، فسقط لذلك ما جاء به من القِيَمِ العُليا والمبادئ السامية، وكثيرٌ من الناس إنَّما أَعْرَضُوا عن الإسلام، ولم يرفعوا به رأسًا لما سمعوا أو رأوا مِنَ الطَّعْنِ والاستخفاف بنبيِّ الإسلام محمد ﷺ، ومن هنا يُعْلَمُ ما في انتِهَاك عِرْضِ رسول الله ﷺ من الهلاك والفساد الكبير، فإن الإنسان - كما قال شيخ



الإسلام ابن تيمية - «تُؤْذِيهِ الْوَقِيعَةُ فِي عَرَضِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُؤْذِيهِ أَخْذُ مَالِهِ، وَأَكْثَرَ مِمَّا يُؤْذِيهِ الضَّرْبُ، بَلْ رُبَّمَا كَانَتْ عِنْدَهُ أَعْظَمُ مِنَ الْجَرْحِ وَنَحْوِهِ، خُصُوصًا مِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُظَهِّرَ لِلنَّاسِ كِهَالِ عَرَضِهِ وَعُلُوَّ قَدْرِهِ؛ لِيَتَنَفَّعُوا بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ هَتَكَ عَرَضِهِ قَدْ يَكُونُ أَعْظَمُ عِنْدَهُ مِنْ قَتْلِهِ، فَإِنَّ قَتْلَهُ لَا يَقْدَحُ عِنْدَ النَّاسِ فِي نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَعُلُوَّ قَدْرِهِ، كَمَا أَنَّ مَوْتَهُ لَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ، بِخِلَافِ الْوَقِيعَةِ فِي عَرَضِهِ فَإِنَّهَا قَدْ تُؤَثِّرُ فِي نَفُوسِ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ النَّفَرَةِ عَنْهُ، وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ إِيْمَانَهُمْ، وَيُوجِبُ لَهُمْ خَسَارَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

وهذا في العقل أوضح من أن يحتاج إلى دليل، فإنه لا ريب أن الطعن في الدين، وتقبيح حال الرسول في أعين الناس، وتنفيرهم عنه من أعظم الفساد في الأرض، ويؤيد ذلك أن عامة الآيات في كتاب الله تعالى التي تنهى عن الإفساد في الأرض، وعن السعي في الأرض فسادًا، كقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠). وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، أكثر المراد بهذه الآيات ونحوها الطعن في الأنبياء وإفساد الدين، لأن الفساد نوعان:

(١) الصارم المسلول / ص ٢٩٤ .

فساد الدنيا من الدماء والأموال والفروج، وفساد الدين، والذي يَطْعَنُ في النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقَعُ في عَرَضِهِ يَسْعَى؛ لِيُفْسِدَ على الناس دينهم، ثم بواسطة ذلك يُفْسِدُ عليهم دنياهم، فالوقية في رسول الله ﷺ أصلٌ لكلِّ فساد في الأرض، إذ هو إفساد للنُّبُوَّةِ التي هي عمادُ صلاح الدين، والدنيا، والآخرة^(١).

وإذا ثبت أنَّ الطَّعْنَ في رسول الله ﷺ، وتقبيح حاله في أعينِ الناس هو من أعظم الفساد في الأرض، ثبت أنَّ الثناء على رسول الله ﷺ، وتحسين حاله في أعينِ الناس، ورفع قَدْرِهِ، وتعظيم شأنه، والدعاء إلى تعزيره وتوقيره واحترامه هو من أعظم الصلاح في الأرض، إذ هو سببٌ لاستمساك الناس بالقيَمِ العُلَيَّا والمبادئ السامية التي جاء بها، ودعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد تبَيَّنَ لكلِّ عاقل أنَّ القِيَمَ العُلَيَّا والمبادئ السامية، والدِّفاع عنها برهان عقليٌّ للدِّفاع عن النبي ﷺ.

(١) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٣٣٩، ٣٨٣ - ٣٨٧.

المطلب السادس

الدفاع عن النبي ﷺ

ببرهان أنه دفاع عن أمة بأجمعها الأمة الإسلامية

من الحقائق المعلومة للمُوافق والمُخالف أن نبيَّ الله ورسوله محمدًا ﷺ قد خلَّف في الأرض أُمَّة هي أكبرُ أُمَّة استجابت للأنبياء والمرسلين في تاريخ البشرية كُلِّها، وذلك لكون محمد عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين فلا نبيَّ بعده، ولكون رسالته خاتمة الرسالات السَّماويَّة، فلا كتاب بعد كتابه (القرآن الكريم)، ولا دين ولا شريعة بعد دينه وشريعته (الإسلام)، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ﷻ»^(١). هذه الأمة هي الأُمَّة الإسلامية منذ بُزوغ فجر الإسلام، وإلى أن يأتي أمر الله، هم المسلمون والمُسلمات في كل زمان وفي كل مكان، في القديم والحديث، وفي مشارق الأرض ومغاربها، وفي كل بُقعةٍ من الأرض، من العَرَب ومن العَجَم، ومن كل شَعْبٍ ومن كل قبيلة، من ذكر أو أنثى، كبير أو صغير، من

(١) سنن الترمذي، برقم (٣٠٠١)، وسنن ابن ماجه، برقم (٤٢٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٣٠١).

الإنس والجن، هم كلُّ ناطق بـ (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) مؤمن بذلك.
 إِنَّ نَبِيًّا هَذِهِ أُمَّتُهُ الْمُؤْمِنَةُ بِهِ هَلْ يَظُنُّ ظَانٌّ، أَوْ يَحْسِبُ عَاقِلٌ أَنَّ الطَّعْنَ
 والوقية فيه كالطعن والوقية في واحد من عَرَضِ الناس! كلا، أَوْ يَظُنُّ ظَانٌّ، أَوْ
 يَحْسِبُ عَاقِلٌ أَنَّ الطعن والوقية في هذا النبي ﷺ يكون مقصورًا عليه فقط!
 كلا، ثم كلا، إِنَّ مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ، أَوْ حَسِبَ ذَلِكَ فَقَدْ أَخْطَأَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَلَمْ يَعْرِفْ
 قَدْرَ هَذَا النَّبِيِّ ﷺ، وَحُرْمَتَهُ، وَلَا مَنَزَلَتَهُ فِي قُلُوبِ أُمَّتِهِ.

إِنَّ الطعن في النبي محمد ﷺ قد تعلَّق به حقُّ أُمَّتِهِ، وهو حقُّ جميع
 المؤمنين به، «فإنَّ قيامَ أمرِ دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامَّةُ الخير الذي
 يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته»^(١)، فالطَّعْنُ فِيهِ طَعْنٌ فِي أُمَّتِهِ،
 وَطَعْنٌ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ كَانَ وَيَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، بل الطعن فيه عند
 المؤمنين هو من أبلغ أنواع الأذى، وهو عندهم أعظم من الطعن في أنفسهم،
 وآبائهم، وأبنائهم، والطَّعْنُ فِي جَمِيعِهِمْ، كما أَنَّهُ ﷺ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ،
 وأولادهم، وآبائهم والناس أجمعين؛ ولهذا يُوَدُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَفْتَدِيَ عِرْضَهُ
 الشريف بنفسه وأهله وعرضه وماله، كما تقدَّم ذِكرُهُ عَنْ حَالِ الصَّحَابَةِ مَعَهُ،
 وَمِنْهُمْ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي قَالَ - يَخَاطَبُ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ -:

(١) الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٢٩٣.



«هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتَ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا * رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنْ أَبِي وَوَالِدِي وَعِرْضِي * لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ»^(١)
فَعِرْضُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «عِرْضٌ قَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ أَنْ يُقَابِلُوهُ مِنَ
الصَّلَاةِ، وَالسَّلَامِ، وَالثَّنَاءِ، وَالْمَدْحَةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالتَّعْزِيرِ، وَالتَّوْقِيرِ، وَالتَّوَاضُعِ
فِي الْكَلَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْأَمْرِ، وَرِعَايَةِ الْحُرْمَةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَصْحَابِ بِمَا لَا خَفَاءَ بِهِ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، عِرْضٌ بِهِ قَامَ دِينُ اللَّهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ عِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ، بِهِ وَجِبَتْ
الْجَنَّةُ لِقَوْمٍ وَالنَّارُ لِآخَرِينَ، بِهِ كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»^(٢).

فهذه الأمة التي قامت برسول الله محمد ﷺ والتي بوأها الله تعالى في
الأرض مكانة بقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا كَمَا
لَا يُسْتَهَانُ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَالدِّفَاعُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ دِفَاعٌ عَنِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
التي هو شهيد عليها، والدِّفَاعُ عَنِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الشَّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ بِرَهَانٍ
عَقْلِيٍّ لِلدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمٍ تَسْلِيمًا.

(١) صحيح مسلم / فضائل الصحابة / فضائل حسان بن ثابت.

(٢) الصارم المسلول، لابن تيمية / ص ٤٨٣.

الخاتمة

وفيها:

(التدليل بالبراهين الشرعية والعقلية في الدفاع عن النبي ﷺ على صحة
وصدق نبوته ورسالته):

بعون الله تعالى وتوفيقه قد أوردت ما تيسر لي - في هذا الوقت - من
البراهين الشرعية والعقلية للدفاع عن النبي ﷺ، ولا شك أنها - على ما فيها
من ضعف وقصور في جوانب عديدة - تشفي صدور المؤمنين، وتروي غليل
الباحثين عن الحق، وتغيظ الحاقدين المعاندين؛ ليموتوا بغيبهم ويلقوا الجزاء
الأيمل.

فإنها - بلا ريب - براهين ساطعة، وحجج قاطعة، وأدلة واضحة تبطل
الشبه والأوهام، وترد الأكاذيب والأراجيف، وتزيل الغشا والتضليل.
بها وبنحوها من البراهين الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى تبين سفة أحلام
المتكصين للنبي محمد ﷺ والطاعين في دينه وحب نواياهم، وفساد ظاهرهم
وباطنهم، حيث إنهم قد ناقضوا جميع البرهين الشرعية والعقلية المقتضية للدفاع



عن نبيِّ الله ورسوله محمد ﷺ، وناقضوا الإيمان به، وناقضوا ثناء الله تعالى عليه، ورفَّعه له ذِكره، ونَفَيْه التَّهَمَ والافتراءات عنه، وتحريمه إيذاءه بقول أو فعل، وناقضوا محبته، وتعزيره، وتوقيره، والنصيحة له، والصلاة والتسليم عليه، وسائر حقوقه الواجبة على أُمَّته، وناقضوا تعظيم الله ﷻ، ونَصَرَ دينه، والجهاد في سبيله، والانتصار للحقِّ، وردَّ الباطل والظلم والبغي والعدوان، وناقضوا الأُمَّة الإسلامية سَلَفَهَا وخَلَفَهَا، ورَمَوْهَا بأجمعها عن قَوْسٍ واحدة، فأتوا بهذه المَفسد العظيمة التي تَضَمَّنَتْ - مع الكفر - أذى الله تعالى وأذى رسوله ﷺ، وانتَهَكَ تلك الحُرْمَةَ التي هي أَفْضَلُ حُرْمَةِ الخَلْق أَجْمَعِينَ والوقِعة في عِرْضٍ لا يُسَوَّى بغيره من الأعراض، والطَّعن في صفات الله وأفعاله، وفي كتاب الله ودينه، وفي جميع الأنبياء والمؤمنين بهم من عباد الله، فإنَّ الطَّعن في واحد من الأنبياء طَعَنُ في جميع الأنبياء، وطعن فيمن آمن بالنبيِّ محمد ﷺ من الأنبياء والمؤمنين المُتَقَدِّمين والمُتَأَخِّرِينَ.

وإذا عُلِمَ هذا وتقرَّر كما سبق بيانه، فإنَّ هذه البراهين الشرعيَّة والعقليَّة مُتَضَافِرَةٌ ومتعاظدة مع براهين لا تُعَدُّ ولا تحصى من النقل من القرآن الكريم، والسُّنَّة النبويَّة، والكتب السماويَّة، وإجماع المسلمين في كل زمان ومكان، ومن العقل الصحيح، والفطرة السليمة، ومن الحسِّ والعادة الحكيمة، كل هذه على

تنوعها وتعددتها متوفرة، ومتعاضدة، ومتضافرة في الدلالة على صحة وصدق نبوة محمد ﷺ ورسالته، وأن جميع خصائص النبوة التي كانت فيه هي أكمل شكلاً ومضموناً، وأصح رواية ونقلًا، وأبعد عن الشبهات والأباطيل.

فنبوة محمد رسول الله ﷺ هي أثبت نبوة في تاريخ النبوات كلها، وشخصية محمد عليه الصلاة والسلام هي أعظم شخصية في تاريخ البشرية كلها، فحياته، وسيرته، ورسالته، ودعوته قد جمعت ما تفرق فيمن قبله من الأنبياء والرسل مما تميزوا به، وبه أكمل الله تعالى صرح النبوات، وبه أتم حقيقة الرسالات، كما قال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَنَةَ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»^(١).

فليس بعد نبي الله ورسوله محمد ﷺ نبي ولا رسول، وليس عند أهل الأرض في وقتنا هذا علمٌ موروث يُشهد عليه أنه من عند الله تعالى إلا العلم الموروث عن محمد رسول الله ﷺ، وما سوى ذلك مما يُؤثر عن غيره من الأنبياء فقد اشتبه، واختلط كثير منه أو أكثره، والواجب فيما لا يُعلم حقيقته منه

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٥٣٥)، وصحيح مسلم، برقم (٥٩٦١).

أن لا يصدّق ولا يكذّب.

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسوا محافظين على شريعة مُورَثَةٍ، بل بدّلوا الكتاب وغيّروا وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وكل بُرْهَة من الدهر تَبْدِعُ لهم رُهبانُهم وأخبارهم شريعة من الدين لم يأذن بها الله تعالى، ثم لا يرْعُونَهَا حقَّ رعايتها، ويطعنون فيما جاء به محمد رسول الله ﷺ من التوحيد والشرائع وأنباء الغيب، وإنّما ذنبه الأعظم عند اليهود أن غيّر شريعة التوراة، وأن لم يكن من بني إسرائيل، كما أن ذنبه الأعظم عند النصارى أن قال: إنّ عيسى عبد الله ورسوله، ولم يَقُلْ: هو ابن الله، ولا هو الله، ولا ثالث ثلاثة، وغير ذلك من شركهم وأكاذيبهم^(١).

وجُمْلَةُ القول: أن نبوّة محمد ﷺ ورسالته صحيحة، وصادقة، وثابتة بالبراهين الواضحة الظاهرة التي لا سبيل إلى ردّها أو دحضها بوجه مقبول إلّا بعناد ومكابرة، وأنّ هذه البراهين قائمة وماثلة للعقول والحواسّ في كلّ زمان، وأنّه لا يمكن إثبات النّبوّات السابقة بوجه دقيق وصحيح إلّا بإثبات نبوّته ورسالته، فإنّ كُتِبَ اليهود والنصارى وأمثالهم تصفُ الأنبياء والرسل بما يتنزّه عنه آحادُ الناس فضلاً عن أشرافهم من القبائح والسّفاسف.

(١) انظر: الصارم المسلول / ص ٢٤٩.

وهذا القرآن العظيم الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ آيةٌ عظمى على صحّة وصدق نبوّته ورسالته، كما قال عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ولقد مضى الكلام عن التحديّ بهذا القرآن، وعجز البشر عن الإتيان بسورة واحدة - ولو بأقصر سورة - من مثله، والبشر اليوم في أرقى العصور من ناحية علوم الكون وتسخير طاقاته والطب والاقتصاد والرياضيات والسياسة ونحو ذلك من العلوم الحديثة، ومع هذا كله فالقرآن لا يزال يتحدّى العالم بإعجازه البلاغيّ، والعلميّ، والإصلاحيّ، والسياسيّ، والاقتصاديّ، والتشريعيّ، ويشهد لكل عاقل مُتَدَبِّرٍ بأن محمداً نبى الله ورسوله حقاً وصدقاً، وبأنّ الواجب على الناس كافّة أن يؤمنوا بنبوّته ورسالته وبكتابه المنزّل عليه من عند الله تعالى لإصلاح البشر، وبأنّه لا صلاح لهم في العاجل ولا في الآجل بدون ذلك^(٢).

(١) في الصحيحين، وقد سبق في المقدمة الثالثة.

(٢) انظر - فيما سبق من الكلام - : الوحي المحمديّ، لمحمد رشيد رضا / ص ٨٣، ٣٤٥،



وأخيراً: رَبِّمَا يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الْمُحَقَّقَةِ لَصِحَّةِ وَصَدَقَ نُبُوتُهُ وَرِسَالَتُهُ تُزِيلُ عَنْهُ عَارَ الطَّعْنِ وَالسَّبِّ وَالتَّنْقِصِ، وَتُبَيِّنُ أَنَّهُ مُبَرَّرٌ مِنْ ذَلِكَ، وَتَغْنِي عَنْ تَكْلُفِ الرَّدِّ وَالِدِّفَاعِ عَنْهُ ﷺ.

والجواب عن هذا الإيراد - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -: أَنَّهُ إِيرَادُ فَاسِدٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الطَّعْنِ وَالسَّبِّ وَالتَّنْقِصِ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَافُ مِنْ تَأْثِيرِهِ فِي قُلُوبِ أُولِي الْأَلْبَابِ، وَإِنَّمَا يُخَافُ مِنْ تَأْثِيرِهِ فِي عُقُولِ ضَعِيفَةٍ وَقُلُوبِ مَرِيضَةٍ، ثُمَّ سَمِعُ الْعَالَمَ بِالطَّعْنِ فِيهِ وَالسَّبِّ لَهُ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ يُصَغِّرُ الْحُرْمَةَ عِنْدَهُ، وَرَبَّمَا طَرَقَ لَهُ شُبْهَةٌ وَشَكٌّ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ سَرِيعَةَ التَّقَلُّبِ، وَكَمَا أَنَّ حَدَّ الْقَذْفِ شُرْعٌ صَوْنًا لِلْعَرَضِ مِنَ التَّلَطُّخِ بِهَذِهِ الْقَاذُورَاتِ، وَسَتْراً لِلْفَاحِشَةِ وَكُتْماً لَهَا، فَشُرْعٌ مَا يَصُونُ عَرَضَ الرِّسُولِ مِنَ التَّلَطُّخِ بِمَا قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ أَوَّلَى، وَسَتْرُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أُودِيَ بِهَا وَنِيلَ مِنْهَا فِيهَا أَوَّلَى؛ لِمَا فِي ذِكْرِهَا مِنْ تَسْهِيلِ الْاجْتِرَاءِ عَلَيْهِ^(١).

فَعَلِمَ بِهَذَا الْجَوَابِ الْمُقْنِعِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ الدِّفَاعَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالتَّصَدِّيِّ لِلْكَافِرِينَ، وَالْمُنَافِقِينَ، وَالْمُلْحِدِينَ، وَالْمُغْرِضِينَ، وَالْمُنْهَزِمِينَ الَّذِينَ يَنْتَهِكُونَ عَرَضَ

(١) الصَّارِمُ الْمَسْلُوبُ / ص ٤٥١ - ٤٥٢، بِتَصْرِفٍ.

رسول الله ﷺ، ويتطاولون على حُرْمَتِهِ بأقوال وأفعال كاذبة ظالمة خبيثة أن ذلك من الواجبات الدينيّة، ومن الفرائض الإسلاميّة، وما تقدّم بحُثّه من البراهين الشرعيّة والعقليّة في الدّفاع عن النّبي ﷺ ظاهرة وكافية في تقرير ذلك بوضوح وجلاء لكلّ إنسان عاقل.

ولابدّ في هذا الدّفاع من العناية بإبراز فضائل هذا النّبيّ الكريم وخصائصه ﷺ، وشرح محاسن دينه وسماحته، وكماله، وتعاليمه العالية، ومبادئه الراقية، وأصوله الراسخة.

فهذا كُله من أعظم طُرُق الدّعوة إلى الإسلام وأحسنها، ومن أقوى طُرُق الجِهاد في سبيل الله، ومواجهة الأعداء خصوصًا في هذا العصر الحاضر، فإنّ المُنصف منهم أو من لم يملكه التعصّب إذا أبصر الحقائق بأدليّتها التي تُزيل الشُّبه، وتَدخّض الباطل كان من أكبر الدواعي لدخوله في الإسلام وقَبوله له، إذا لم يَحْصُلْ له موانع قويّة.

وأما المُعاند والمُكابِر والمُقلّد المُنخدِع منهم فقد قامت عليه الحُجّة، وربّما كفّ ذلك من شرّهم كلّهُ أو بعضه فيَحْصُل من المصالح ما لا يُعدُّ ولا يُحصى.

وفي الختام: أشكر الله الكريم على ما مَنّ به ويسّر من إعداد هذا البحث، وتحريره، وإتمامه على هذه الصورة المتواضعة التي أرجوه ﷻ أن يتقبّله منّي وأن



يَعْفُو عَنِّي مَا حَصَلَ فِيهِ مِنْ خَطَا، أَوْ نَسْيَان، أَوْ خَلَلٍ فَنِّيَّ، وَكُلَّ ذَلِكَ حَاصِلٌ لَا مَحَالَةَ.

كما أسأله ﷺ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الْبَحْثِ، وَيَبْلُغَ بِهِ الْغَايَةَ الْمَرْجُوءَةَ مِنْ كِتَابَتِهِ وَإِخْرَاجِهِ لِلنَّاسِ، وَأَنْ يُجْزَلَ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ لِلْجَمْعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ لِلْسَّنَةِ وَعِلْمِهَا عَلَى دَعْوَتِهَا لِكِتَابَةِ هَذِهِ الْبَحْثِ الْمُفِيدَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَعَلَى تَنْظِيمِهَا لِهَذَا الْمُؤْتَمَرِ الدُّوِّيِّ عَنْ (نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ)، جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مَوَازِينِ حَسَنَاتِ الْقَائِمِينَ عَلَى هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ الْمُشْرِفَةِ وَالرَّاعِينَ لَهَا مِنْ عُلَمَاءَ، وَمَسْئُولِينَ، وَمُوظَّفِينَ، وَبَارَكَ فِي جُهُودِهِمْ، وَنَفَعَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَحَفِظَهُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَأَنْعَمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ الْكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، وَاقْتَدَى بِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

واغادوغو - بوركينافاسو

في ٨ / ٢ / ١٤٣١ هـ

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- (١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) / دار الكتاب العربي - بيروت.
- (٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى / للقاظي عياض بن موسى اليحصبي / تحقيق حسين عبد الحميد نيل / شركة دار الأرقم - بيروت.
- (٣) الصارم المسلمول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / نشر دار عالم الكتب ١٤٠٣هـ.
- (٤) المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية / دار الدعوة - استانبول.
- (٥) المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصفهاني / تحقيق محمد سيد كيلاني / دار المعرفة.
- (٦) النبوات / لابن تيمية / تحقيق محمد عبد الرحمن عوض / ط ١ ١٤٠٥هـ / دار الكتاب العربي.
- (٧) الوحي المحمدي، للشيخ محمد رشيد رضا / المكتب الإسلامي / ط ٩ / ١٣٩٩هـ.
- (٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / للشيخ محمد الأمين الشنقيطي / ط ١ ١٤١٧هـ / دار إحياء التراث العربي.



الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين الشرعية والعقلية

- (٩) تفسير البغوي (معالم التنزيل) / تحقيق مجموعة من المحققين / ط ١٤١١ هـ / دار طيبة.
- (١٠) تفسير التحرير والتنوير / للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور / ط ١٩٨٤ م / الدار التونسية.
- (١١) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) / تحقيق الدكتور عبد الله التركي / ط ١٤٢٢ هـ / دار هجر.
- (١٢) تفسير القرآن العظيم / للحافظ ابن كثير / تحقيق عبد الرزاق المهدي / ط ١٤٢٢ هـ / دار الكتاب العربي.
- (١٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي / باعتناء سعد ابن فواز الصميل / ط ١٤٢٥ هـ / دار ابن الجوزي - الرياض.
- (١٤) جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي / تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس / ط ١٤١٢ هـ / مؤسسة الرسالة.
- (١٥) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام / ابن قيم الجوزية / تحقيق مشهور بن حسن / ط ١٤١٧ هـ / دار ابن الجوزي.
- (١٦) زاد المعاد في هدي خير العباد / لابن قيم الجوزية / تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ط ١٤٢٤ هـ / مؤسسة الرسالة.
- (١٧) سنن ابن ماجه / تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي / مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

- (١٨) سنن الترمذي / تحقيق أحمد شاكر وآخرين / دار الكتب العلمية.
- (١٩) سنن الدارمي / تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا / ط ١٤١٧ هـ / دار القلم - دمشق.
- (٢٠) سنن النسائي / ترقيم مكتب تحقيق التراث الإسلامي / ط ١٤١٢ هـ / دار المعرفة.
- (٢١) سنن أبي داود / تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا / ط ١٤٢٢ هـ / دار المعرفة.
- (٢٢) صحيح البخاري / مكتبة دار السلام - الرياض / ط ١٤١٩ هـ.
- (٢٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته / للشيخ ناصر الدين الألباني / ط ١٤١٤ هـ / المكتب الإسلامي.
- (٢٤) صحيح مسلم / دار السلام - الرياض / ط ١٤٢١ هـ.
- (٢٥) في ظلال القرآن / سيد قطب / ط ١٣٩٩ هـ / دار الشروق.
- (٢٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم / ط ١٤١٢ هـ / دار علم الكتب.
- (٢٧) مذكرة أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي / ط ١٤٢٢ هـ / مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
- (٢٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني / المكتب الإسلامي - بيروت.





آيات العتاب والوعيد

«دلائل عقلية وشرعية على صدق نبوة محمد ﷺ»

إعداد

الزبير دردوخ

الجزائر

ايض

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد ﷺ وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

يتناول هذا البحث بعض آيات العتاب، والوعيد للرسول ﷺ، من حيث كونها تدلّ دلالة عقلية وشرعية على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام؛ لأن بقاءها في المصحف يؤكد أنّ الرسول ﷺ لو كان كاذباً، أو مدّعياً للنبوة، أو طالباً للدنيا والزّعامه - وحاشاه - لحذفها؛ لكونها تشي ببعض طبائعه البشرية. وتؤكد من جهة أخرى أن القرآن الكريم لا يُمكن لأحد تغيير حرف واحد منه، زيادةً أو نقصاناً؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

وهذا وجه آخر من أوجه إعجاز القرآن الذي تحدّى به الله الإنس والجان. ويردّ بذلك على المتقوّلين على الدين الإسلامي، وعلى نبيّنا الصادق الأمين محمد ﷺ.

جواز الخطأ في اجتهاد الأنبياء

قبل أن أتطرق إلى تفاصيل الموضوع، أودُّ الإشارة إلى جملة من المسائل التي تُهمُّ موضوع بحثنا، بخصوص اجتهاد الرسول ﷺ، والأنبياء عليهم السلام، وللعلماء فيها ثلاثة آراء:

- ١ - رأي يقول بامتناع الاجتهاد عليه.
 - ٢ - ورأي يقول بجواز الاجتهاد، وبوقوعه بالفعل منه.
 - ٣ - ورأي يقول بجواز اجتهاده في الأمور السريعة الضاغطة كالحروب، وبعدد جوازه في غير ذلك.
- ولكل فريق حُجَّجُه وأدِلَّتُه، وليس هذا موضوعَ بحثنا، غير أنني رأيت أن الإشارة إليه أمر ضروري؛ للاستئناس بالرأي القائل بجواز اجتهاده ﷺ، واحتمال الخطأ منه في الاجتهاد.
- «يجوز عليه الخطأ، ولكن لا يُقرُّ عليه، بل يَنزِلُ الوحيُ بتصحيحه، ومع جواز الخطأ هو مأجور، وعتابُ الله له في مثل الأسرى ليس عقاباً.»^(١)

(١) انظر: المواهب اللدنية: الزرقاني علي، ج ٨ ص ٢٨١.

عصمة الأنبياء في التبليغ عن الله

ومما تجدر الإشارة إليه أن الخطأ في اجتهداد الرسول ﷺ، فيما لا نص فيه، أمر وارد كما سبق الإشارة إليه، أما الخطأ في التبليغ فهو أمر غير وارد البتة؛ لأن العصمة فيه قد تكفل الله تعالى بها ﴿إِنَّا خُنُّنْزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). ولأن الإخلال بالتبليغ إخلال بمقام النبوة ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۖ ۝٦١ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٧).

وإخلال بمقام الله جل جلاله الذي يصطفي من رسله من يقوم بالمهمة على أكمل وجه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۖ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

ومن ثم فإن الأنبياء جميعاً معصومون في التبليغ عن ربهم، لا يزدون ولا ينقصون مما أمروا بتبليغه شيئاً، مهما قل أو كثر.

أما اجتهدادهم البشرية فهم غير معصومين فيها، بحكم بشريتهم، وقد ثبت في الحديث الصحيح «كلُّ ابن آدم خطاء...»، وهم من جملة بني آدم. فما كان منها صواباً أقرّوا عليه، وما كان منها خطأ، استدركه الله عليهم، وأرشدهم إلى خير منه وأعدل وأصوب.

الاستدراك على الخلق سنة إلهية

لقد شاء الله تعالى أن يخلق بشراً يُحْطِئُونَ، ثم يتوبون ويستغفرون، فيغفر الله لهم ويعفو عنهم، ويتوب عليهم، وشاءت حكمته تعالى أن يكون ذلك مع خلقه جميعاً، دون استثناء.

- فقد استدرك الله تعالى على ملائكته الكرام، حين أخبرهم بأنه جاعِلٌ في الأرض خليفة، فتعجبوا وتساءلوا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ﴾ (البقرة: ٣٠).

فقال: ﴿قَالَ إِنِّي أََعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

وقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أََعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣٣).

- ثم استدرك الله جل جلاله على أبينا آدم، وأُمَّنَا حَوَّاءَ خطأهما بالأكل من الشجرة، وتاب عليهما بعد ذلك فقال:

﴿وَنَادٰهُمَا رَبُّهُمَا ۖ اَلَمْ اَنْهٰكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ۚ وَاَقُلْ لَّكُمَا اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٢).



- كما استدرِك ربُّنا تعالى على عبده نوح عليه السلام، حين اشتدَّت به عاطفة الأبوة، فاعتبر ابنه الكافر من أهله، ودعا ربه أن يُنجيَه مع الناجين من الغرق، فقال: ﴿قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: ٤٦).

- واستدرِك على عبده ونبيه داوود عليه السلام فقال: ﴿وَطَنَّ دَاوُودُ أَنْمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَإِلْفًا وَحُسْنَ مَآسٍ﴾ ﴿٢٥﴾ يندأودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٤-٢٦).

- كما استدرِك على خليفه إبراهيم عليه السلام ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (المتحنة: ٤).

- وتاب تعالى على كليمه موسى، بعد أن قتل ذلك القبطي، ثم استغفر ربه، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص: ١٦).

وقال: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ (طه: ٨٣).

- واستدرِك الله على روحه عيسى ابن مريم عليه السلام حين استعطف لقومه:

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَلِإِبْهَمِ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨).

اِخْتَلَفَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقِيلَ: قَالَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِعْطَافِ لَهُمْ، وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ، كَمَا يَسْتَعْطِفُ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ؛ وَهَذَا لَمْ يَقُلْ: فَإِنَّهُمْ عَصَوْكَ، وَقِيلَ: قَالَهُ عَلَى وَجْهِ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَالْإِسْتِجَارَةِ مِنْ عَذَابِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُغْفَرُ لِكَافِرٍ^(١).

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ هُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩).

(١) تفسير القرطبي: دار عالم الكتب، الرياض: تح: هشام سمير البخاري، ط: ٤:

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م - ج ٦ - ص ٣٧٨.

الاستدراك على الرسول محمد ﷺ

عَرَضَتْ للرسول الكريم محمد ﷺ خلال حياته الدَّعْوِيَّة مَوَاقِفُ عَصِيْبَةٍ، اضْطَرَّتْهُ - بسبب تأخُّر نزول الوحي - ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٤).

اضْطَرَّ للتصرُّف بما تُثْمِّلِيهِ عَلَيْهِ طبيعَتُهُ البشريَّة، تصرُّفاتِ اجتهاديَّة^(١)، اعتقد ﷺ وآله، أنها تَصُبُّ في خدمة الدين، ونشر العقيدة، كما فعل الأنبياء من قَبْلِهِ، غير أن الله تعالى استدرك على نبيه ﷺ - كما استدرك على إخوانه من الأنبياء السابقين، وأولي العزم مِنَ الرُّسُل - تلك المواقف، فصَحَّحَهَا، ثم أَبَدَلْنَا خيرا منها. - وقد صَوَّبَ الله تعالى لِنَبِيِّهِ الكريم محمد ﷺ وآله، تلك المواقف وأَرْشَدَهُ إلى خير منها، فكانت دليلاً شرعياً وعقلياً، على صدق النبي في التبليغ، وعلى بُطْلان ادِّعَاءَاتِ المُدَّعِينَ بأن محمداً ﷺ وآله قد تَقَوَّلَ القرآن مِنْ عنده، وهو الأُمِّيُّ الكريم، أو تعلَّمَهُ عن أحد النصارى^(٢) كما زعموا ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ

(١) تفسير ابن كثير: نشر مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة - ط ١:

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، تح: مجموعة من الأساتذة/ مج ٤/ ص ٢٥٩.

(٢) تفسير القرطبي: دار عالم الكتب، الرياض - تح: هشام سمير البخاري - =

يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿ (النحل: ١٠٣).

- ولحكمة بالغة، أبقى الله تلك الآيات في كتابه العزيز دون نسخ؛ لتكون شاهدة - إلى يوم القيامة - على صدق نبيه، وكتابه الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢).

- ولقد تنوعت أساليب القرآن الكريم، في تصويب تلك المواقف، بما يليق بجلال المصوب (الله جل جلاله)، وعبودية المصوب (محمد عبد الله ورسوله)، تنوعت بين العتاب الرحيم الممزوج باللطف والرحمة، كما يليق بصفات الجمال: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ ﴾ (التوبة: ٤٣).

وبين الزجر، والوعيد، كما يليق بصفات الجلال: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ ﴾ (الحاقة: ٤٤ - ٤٧).

وبين الرغبة في رحمة الله، والرغبة من عقابه، يتأرجح المؤمن، ويستيقن أن القرآن كله من عند الله، أما المرجفون الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه

ابتغاء الفتنة، لا بحثاً عن الحقيقة البينة الواضحة للعيان:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ
رَبِّنَا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

استدراك الخطأ على الداعية إلى الله

ومن جملة تلك الآيات التي يُعَاتَب فيها الله تعالى رسوله الكريم محمدًا ﷺ وآله، ما ثَبَّتَ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى ۚ أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ ۚ أَلَذِكْرَىٰ ۚ أَمَا مِنِ اسْتَعْغَىٰ ۚ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَىٰ ۚ وَأَمَا مِن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۚ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۚ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۚ﴾ (عبس: ١- ١١) .

فالآيات من سورة عبس تُبَيِّن أن الرسول الكريم محمدًا ﷺ وآله كان في مقام الدَّعوة إلى الله، لا في مقام التبليغ عن الله؛ لأن الخطأ في مقام الدَّعوة وارِدٌ، بحُكم بَشَرِيَّةِ الأنبياء، أما الخطأ في مقام التبليغ فهو غير وارِدٍ؛ لإِخلاله بشرط الأمانة والعصمة في الأنبياء، وهذا تكفَّل الله به ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ﴾ (الأنعام: ١٢٤) .

والرسول الكريم ﷺ وآله، بتصرُّفه هذا، مع ابن أم مكتوم، لم يُخَالِفَ أمراً سابقاً من الله، بل اعتقد أن الأولويَّة في الدَّعوة إنما تكون لِمَن لم يسلم بعدُ؛ رجاء أن يَهْدِيَ الله كُبرَاءَ المُشْرِكِينَ؛ فيَتَحَقَّقَ بذلك نصر عظيم للإسلام والمسلمين، ولم يكن في نيته ﷺ وآله أن يُعْرِضَ عن ابن أم مكتوم احتقاراً له،



وحاشاه ﷺ وآله أن يَخْتَقِرَ أحداً، أو يكون من المتكبرين، وهو الذي قال عن نفسه «... إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(١).

وهو الذي مدحه ربُّه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «كَانَ يُقَالُ: لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَمَ مِنَ الْوَحْيِ شَيْئًا كَتَمَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ»^(٢).

قَالَ الثَّوْرِيُّ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا رَأَى ابْنَ أُمَّ مَكْتُومٍ يَبْسُطُ لَهُ رِدَاءَهُ، وَيَقُولُ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»^(٣).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٢٣/١.

(٢) تفسير الطبري: مؤسسة الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ٢٤ / ص ٢١٩.

(٣) تفسير القرطبي: دار عالم الكتب، الرياض: تح: هشام سمير البخاري، ط ٤: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ج ١٩ / ص ٢١٢.

عتاب رحيم للقائد المستعد للمعركة

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ
الْكَاذِبِينَ ﴾ (التوبة: ٤٣).

قال المفسرون: «هل سمعتم بمعاقبة أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل
المعاقبة، فقال: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾^(١).
سبب النزول:

نزلت هذه الآيات في غزوة تبوك؛ لتبين للرسول ﷺ، ولتكشف له خُبث
المنافقين، وخسّة نفوسهم، وجبنهم، وتأمّرهم على الدين.
«قال مجاهد: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله ﷺ،
فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا»^(٢).

(١) الموسوعة الشاملة، الإصدار الثالث: تفسير ابن كثير: مج ٧، ص ٢١٠ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١١ وما بعدها.

استدراك الخطأ على المحارب المنتصر

﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿الأنفال: ٦٧-٦٩﴾.

وَيَمْضِي القرآن الكريم في عَرْض تلك المواقف، وإرشاد النبي الكريم إلى ما هو أفضل، وأصوب، وأعدل، فَيَعْرِضُ لَنَا مَوَاقِفَ أُخْرَى مِنْ مَوَاقِفِ الرِّسُولِ الكريم، مِنْ ذَلِكَ مَسْأَلَةُ الْأَسْرَى الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بَيَانَهَا.

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، يَسْتَدْرِكُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ مَوْقِفَهُ مِنْ أَسْرَى بَدْرَ الَّذِينَ قَبْلَ فِيهِمُ الرِّسُولُ ﷺ، وَالْمُسْلِمُونَ الْفَدْيَةَ اجْتِهَادًا وَتَشَاوُرًا، بَدَلْ قَتْلَهُمْ كَمَا أَشَارَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدٌ مِمَّنْ حَضَرَ إِلَّا أَحَبَّ الْغَنَائِمَ، إِلَّا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنَّهُ أَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْأَسْرَى، وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ الْإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِبْقَاءِ الرِّجَالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،

وسعد بن معاذ^(١).

مناقشة المواقف:

أودُّ الإشارة إلى أن الرسول ﷺ كان دائماً يلجأ إلى استشارة أصحابه ﷺ فيما لا نصَّ فيه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).
كما فعل قبل خَوْض معركة بدر عندما قَبِلَ مَشُورَةَ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ بتغيير مكان المعركة، وقال: «لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ»^(٢) وغير مكان معركة بدر، كما استشار الرسول ﷺ أصحابه في قِصَّةِ أُسْرَى بدر، وفي قضايا أخرى كثيرة.

١/ موقف الرسول ﷺ

- إن استشارة الرسول ﷺ لأصحابه يُدُلُّ على أن الأمر ليس فيه حُكْم سابق من الله؛ لأن أمر الله يُطَبَّق، ولا اجتِهَاد معه لنبيٍّ أو غيره.
- إن استشارة النبي ﷺ لأصحابه تدلُّ على أن القائد لا يجب أن يستبدَّ برأيه، بل من الواجب عليه استشارة ذوي الرأي.

(١) تفسير الطبري ج ١٠، ص ٤٨، وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢/ ص ٤٣٦.

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية: د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١ - ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٣٤٥.

- إن الرسول ﷺ أخذ برأي الأغلبية في هذه المشورة، ورغم ذلك لم يكن رأيي الأغلبية - ومعهم الرسول ﷺ - هو الأصوب، كما بينه الله تعالى.
- إن الرسول ﷺ وآله لم يكن دَمَوِيًّا كما يُصَوِّرُهُ أعداء الإسلام، ولو كان كذلك لاختار القتل على الفدية والعفو.
- إن الرسول ﷺ حينما اختار الفدية على القتل، إنما كان ذلك انسجاماً مع شخصيته في تسامحه مع أصحابه، وعدم غلظته حتى مع أعدائه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).
- إن الرسول ﷺ، كان يريد بالفدية تقوية صفوف المسلمين بالمال، والسلاح الذي يأخذه من الأسرى.
- لو كان محمد يتقوّل القرآن من عنده، فلماذا يرجع موقفاً اتخذهُ عن قناعة وتشاور، مع أصحابه، وهو في قِمة النصر؟ ولماذا يُنكِّد على نفسه، وأصحابه هذه الفرحة، ويُنعّصها بالتهديد، والوعيد الشديد؟ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٨).
- حتى قال لأصحابه: «لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غيرُ عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»^(١).

(١) تفسير الطبري ج ١٠ / ص ٤٨، وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ / ص ٤٣٦.

فكيف يلتفت المنتصر إلى مَوْقِف يراه صحيحاً؛ لِيُخَطِّئَهُ؟ لقد كان الأولى بالمنتصر أن يفعل ما يشاء، وكيف يشاء، لا أن يُهدِّد نفسه بأغلظ العقوبة.

٢/ موقف المسلمين:

- انسجم مَوْقِفُ الْمُسْلِمِينَ - عدا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ رضي الله عنهما - مع موقف الرسول ﷺ، في الأخذ بالفدية بدَلِ القتل، وهذا يُثَبِّتُ أن المسلمين يميلون في سُلُوكَاتِهِمُ الْعَادِيَّةِ إِلَى السَّلْمِ وَالْمُسَالَمَةِ حتى مع أعدائهم، فكيف بسُلُوكِهِمُ مع إخوانهم من المسلمين؟

- إن الرسول ﷺ أخذ برأي الأغلبية في هذه المُشُورَةِ، ورغم ذلك لم يكن رأيي الأغلبية - ومعهم الرسول ﷺ هو الأصوب - كما بيَّنه الله تعالى، وهذا دليلٌ عقليٌّ آخرٌ على أن القرآن من عند الله، ولو كان من عند غير الله، لما راجع المسلمون أنفسهم في هذه المسألة، ولما نزل فيها قرآن يُتلى، ولما كان فيها تهديد ووعيد، ولما بَقِيَ إلى يوم الناس هذا.

- إن الشورى مطلوبة لِذَاتِهَا؛ لكونها تُسَاهِمُ في تعويد المُتَشَاوِرِينَ على قَبُولِ الرَّأْيِ الْآخَرِ، والإقناعُ إنما يكون بالحُجَّةِ والدليل، لا بالكثرة أو القِلَّةِ.

٣/ موقف عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ رضي الله عنهما:

- إن مَوْقِفَ هَذَيْنِ الصَّحَابِيَّيْنِ الْجَلِيلَيْنِ: عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ،

المُخَالَفَ لِمَوْقِفِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَجُمْهُورِ الصَّحَابَةِ يَدُلُّ دَلَالَةً لَا مِرَاءَ فِيهَا أَنَّ مَبْدَأَ الشُّورَى فِي الْإِسْلَامِ مَبْدَأُ حَقِيقِيٍّ لَا شَكْلِيٍّ، يَقُومُ عَلَى إِبْدَاءِ الرَّأْيِ دُونَ خَوْفٍ مِنَ الْقَائِدِ أَوْ مُحَابَاةٍ لَهُ عَلَى حِسَابِ الْحَقِّ، وَدُونَ اتِّهَامٍ لِأَحَدٍ بِالْخِيَانَةِ أَوْ التَّهْوُّرِ فِي مُخَالَفَةِ الْقَائِدِ، وَدُونَ مَسَاسٍ بِكَرَامَةِ أَحَدٍ لِمُخَالَفَتِهِ رَأْيِ الْغَالِبِيَّةِ.

- إن موقف عمر بن الخطاب، وسعد بن معاذ يَنْسَجِمُ مع شخصيتيهما، وَشِدَّتَهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، كَمَا تُبَيِّنُهُ مَوَاقِفُهُمَا الْجَلِيلَةُ.

استدراك الخطأ على القاضي العادل

مَوْقِفُ الرَسُولِ ﷺ مِنْ سَرِقَةِ طُعْمَةَ بْنِ أُبَيْرِقَ.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ۝١٥ ﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٦ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٧ ﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٨ ﴾ هَتَأْتُمُ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٩ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٢٠ ﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٢١ ﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝٢٢ ﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وََمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۚ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿ (النساء: ١٠٥ - ١١٣).

سبب نزول هذه الآيات:

رَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ

غَزَوْا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَسُرِقَتْ دِرْعٌ لِأَحَدِهِمْ، فَأُظِنَّ بِهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَتَى صَاحِبُ الدَّرْعِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ طُعْمَةَ بَنِ أُبَيْرِقٍ سَرَقَ دِرْعِي، فَلَمَّا رَأَى السَّارِقُ ذَلِكَ عَمَدَ إِلَيْهَا، فَأَلْقَاهَا فِي بَيْتِ رَجُلٍ بَرِيءٍ، وَقَالَ لِنَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ: إِنِّي غَيَّبْتُ الدَّرْعَ، وَأَلْقَيْتُهَا فِي بَيْتِ فُلَانٍ، وَسَتُوجَدُ عِنْدَهُ، فَاَنْطَلِقُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ لَيْلًا، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ صَاحِبَنَا بَرِيءٌ، وَإِنَّ صَاحِبَ الدَّرْعِ فُلَانٌ، وَقَدْ أَحْطْنَا بِذَلِكَ عِلْمًا، فَأَعْذَرُ صَاحِبَنَا عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، وَجَادِلْ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَعْصِمْهُ اللَّهُ بِكَ يَهْلِكْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَرَّأَهُ، وَعَازَرَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَافِينَ حَصِيمًا ۝١٥١﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٥٢ وَلَا تَجِدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾... الآية.

وَقَدْ ذَكَرَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي سَارِقِ بَنِي أُبَيْرِقٍ عَلَى اخْتِلَافِ سِيَاقَاتِهِمْ وَهِيَ مُتَقَارِبَةٌ^(١).

مناقشة المواقف:

- إن الرسول ﷺ في هذه القصة حكم بما توفّر عنده من أدلة، كأَيِّ قاضٍ

(١) الموسوعة الشاملة، تفسير ابن كثير: مج ٤/ ص ٢٥٩ وما بعدها.

عادل يحكم بين المتخاصمين، ولم يحكم بصفة النبي الذي يتبع ما يوحي إليه من ربه؛ لذلك وقع في خطأ الشبهة التي أوقعه فيها الشهود، ولكن الله عالم الغيب والشهادة صوّب حكمه، وأرشده إلى الحق؛ ليكون ذلك دليلاً على نبوته، وعدله، وأتباع الحق، والعودة إليه بعد أن وقع في الخطأ، وهذا أبلغ في الدلالة على عدله، وصدقه، ونبوته.

- تُبين هذه الحادثة أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، إلا ما أطلع الله عليه ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٥٠).

- القاضي العادل قد يجانب الصواب في حكمه خطأً، لا تعمداً في اتباع الهوى.

- القاضي العادل عليه أن يحكم بما عنده من الشواهد والأدلة، وأن يبحث عن الحقيقة، وعليه أن يرجع إلى الحق إذا اتضح له أنه أخطأ في حكمه الأول، ولا يكتفه حتى وإن اتهم هو في شخصه، وفي رجوع الرسول ﷺ عن حكمه الأول إلى حكم الله بتبرئة المتهم دليل على وجوب إحقاق الحق، ولو بعد حين.

- تُبين هذه الحادثة أن الله تعالى صوّب نبيه في حكمه المبني على الاجتهاد والأدلة، وأرشده إلى العدل والقسط مع عدوه، ونهاه أن يكون للخائنين خصيماً

حتى ولو كانوا من المسلمين، وفَضَحَ شهود الزُّور من المسلمين؛ لِيُبَرِّئَ الْيَهُودِيَّ
الْمُتَّهَمَ بالسَّرقة زورًا وبهتانًا، فهل بعد هذا من دليل عقليٍّ على أن محمدًا ﷺ نبيُّ
مُرْسَلٌ يَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ؟؟

فليسأل العالمون أنفسهم:

- أَيْ «كَذَّاب» يَرْضَى أَنْ يَرْجَعَ فِي حُكْمِهِ الْأَوَّلِ؛ لِيُبَرِّئَ وَاحِدًا مِنَ الْيَهُودِ
الْأَعْدَاءِ؟ وحاشا محمدًا أَنْ يَكُونَ كَذَّابًا، بل هو الصَّادِقُ الْأَمِينُ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي
جاء بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّنَا.

- لِمَاذَا يَبْلُغُ «الْكَذَّابُ» هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَتْرَكُهَا فِي الْمَصْحَفِ تُتْلَىٰ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ؟

أَلَيْسَ حَرِيًّا بِالْكَذَّابِ أَنْ يُخَفِّفَهَا اتِّقَاءَ الْفَضِيحَةِ أَمَامَ الْأَصْحَابِ وَالْأَعْدَاءِ؟
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة: ٣).

- لو لم يكن في القرآن إلا هذه الآيات، لكفاها أَنْ تَكُونَ دَلِيلًا عَقْلِيًّا،
وَبِرْهَانًا سَاطِعًا لَا يَرْفَى إِلَيْهِ الشَّكُّ عَلَى صَدَقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاسْتَمَعَ إِلَى الْحَقِّ
حِينَ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عَقْلَاءِ الْغَرْبِ.

قال المُسْتَشْرِقُ (ليتزر): «مَرَّةً أَوْحَى اللَّهُ إِلَى النَّبِيِّ وَحِيًّا شَدِيدَ الْمُؤَاخَذَةِ؛ لِأَنَّهُ

أدار وجهه عن رجل فقير أعمى؛ ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشرَ
ذاك الوَحْيُ، فلو كان محمد كاذباً - كما يقول أغبياء النصارى بحقه - لما كان
لذلك الوَحْي من وجود^(١).

(١) دين الإسلام: ص ١٣٢ نقلاً عن مجلة التوحيد، عدد ٦٢.

استدراك الخطأ على الزوج المحب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
 ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى
 بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
 فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
 صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلْحُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُمْ
 مُّسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِيئَاتٍ تَتَّبِعْتِ عِبَادَاتٍ سَيَّحَتِ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾ (التحریم: ١-٥).

سبب نزول هذه الآيات:

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات، فمنهم من قال بأنها نزلت
 في تحريم الرسول ﷺ على نفسه مارية القبطية وهي أُمُّهُ، وكان قد أصابها في
 فراش زوجته حفصة وفي نوبتها، فغضبت حفصة، ولائمه على ذلك؛ فحرَّم
 الرسول ﷺ على نفسه أن يَقْرِبَهَا، فنزلت هذه الآيات من سورة التحريم.

ومنهم من قال بأنه حرَّم العسل على نفسه؛ لأن زوجته حفصة وعائشة،
 تواطأتا عليه بسبب الغيرة من زوجته زينب بنت جحش التي كانت تُعْطِيهِ

العسل، فحرّم الرسول عليه الصلاة والسلام العسل على نفسه إرضاءً لهنّ، فنزلت هذه الآيات تُعَاتِبُهُ، وتتوعّد زوجته اللَّتَيْنِ تَوَاطَا ضَدَّهُ وعيدًا شديدًا^(١).

مناقشة:

- مهما كان السبب في نزول هذه الآيات، فإن العاقل الذي يريد الحقّ تتضح له جملة من الحقائق التي لا يَرَقَى إليها الشكُّ، أهمّها:

- أن الرسول ﷺ ضحّى بمصلحته الشخصية في سبيل إرضاء زوجته، وهو مَوْقِفٌ يدل بوضوح أن خُلِقَ النبي عليه الصلاة والسلام مع نسائه خُلُقٍ ودود، وكريم، ومُحِب، وهو يُضَحِّي من أجل إرضاء أزواجه، عكس ما يدّعيه الحاقدون على الإسلام ونبِيِّه، من أن محمدا عليه الصلاة والسلام، ودينه لا يَخْفِلَانِ بالمرأة، ولا بحقوقها.

- تحريم الرسول على نفسه ما أحل الله من النساء، يردُّ على المزاعم الباطلة في حقّ نبيّ الإسلام من أنه شخصٌ شهواني، فلو كان كما يزعمون، لما أقدم على حرمان نفسه من هذا الحقّ، في سبيل إرضاء أزواجه.

- الشَّهَوَانِيّ من طبعه البحث عن وسائل أفضل؛ لتحقيق لذاته ورغباته، فما بال نبينا يتلو قرآنا يحرم عليه الزواج متى شاء، وبمن شاء، وَيَقِيدُهُ ﴿لَا تَحِلُّ لَكَ

(١) للمزيد: انظر تفسير ابن كثير: الموسوعة الشاملة، مج ١٤، ص: ٤٧ وما بعدها.

النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ مِنْ مَنْ أَرْوَجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿الأحزاب: ٥٢﴾.

ثم إنه لو كان كذاباً - كما زعموا ويزعمون - فلماذا يُلزم نفسه بهذا القرآن الذي يُقيّد سلوكاته، ويضع له حدوداً لا يتعدّاها، ويُحرّم عليه الزواج، ويُفشي أسرارَه للعالمين، ويأمره بالوضوء بالماء البارد، والنفير في الهجير، وترك شهوة الطعام والنساء بالصوم، وقيام الليل حتى تتفطر قدماه، فهل يُصدّق أحدٌ من العقلاء بعد كل هذا أن محمداً افترى كل هذا، ثم التزم به طيلة حياته؟

أليس الكذاب يفترى، ثم يُخالفُ افتراءاته؛ لمجرد أن مصلحته الآنيّة تتعارض مع أهوائه ورغباته؟

- إن الله تعالى يُسجّل على رسوله الكريم محمد ﷺ موقفاً آخر، لا ينسجم مع ما يدعوه إليه، فإذا به يصحّح الخطأ، ويُرشده إلى ما هو أعدل، وأصوب، وأقرب للتقوى، فهو يُعاتبُه، ويدعوه إلى إعطاء حق نفسه في إتيان الحلال، والتكفير عن اليمين، بما افترضه الله عليه، وإعادة الأمور إلى نصابها.

- إن إعادة الأمور إلى نصابها هي دفاع عن حقّ مهضوم لامرأة أخرى، هي مارية القبطية ﷺ رغم كونها أمّة، وكانت ستدفع الثمن من غير ذنب؛ لأن الرسول حرّمها على نفسه إرضاءً لأُمّهات المؤمنين حفصة وعائشة؛ لذلك كان

مُقْتَضَى العدل أن يأخذَ كُلُّ واحدٍ حَقَّهُ، من غير انتقاصٍ لحقوق الآخرين، فأيةُ عدالة هذه؟

- إنها عدالة الله الذي عاتب نبيّه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وهدد وتوعّد زوجاته: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ عسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَةٍ قَتَلْتِ تَبَيَّنْتَ عَيْدَاتٍ سَتِ حَتَّ تَبَيَّنْتَ وَأَبْكَارًا﴾.

من أجل من؟؟؟

من أجل جارية، لا يُقيم لها المجتمع العربيُّ آنذاك وزناً، فالعبيد والإماء عندهم كانوا من بعض المتاع، ولكنَّ الرحمنَ الرحيمَ أعاد لكلِّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ!! فمن حَقُّ نبيّه أن يستمتع بحياته مع أزواجه متى شاء، ومن حَقُّ كلِّ واحدة من أزواجه أن تستمتع بحقها معه، دون ضغوط من أحد.

ومن حَقُّه أن يشرب العسل متى شاء، وعند من شاء من زوجاته، أما أن يُحرِّم أو يُجَلِّل فهذا ليس من حَقِّه - إلا فيما فَوَّضَه فيه ربُّه - لأنه حَقُّ الله وحده، وما هو إلا رسول يفعل ما يُؤمَرُ به دون تَعَدٍّ على حدود الله، وفي ذلك أقوى الأدلة العقلية على أن محمداً ﷺ لا يتصرّف كما يحلو له على غير هُدًى من الله،



وإنما هو عبد الله ورسوله، يتلقى الوحي من ربه، فيبلغه كما أنزل، وينقاد مطيعاً
لله مستغفراً لذنبه، خائفاً من ربه، مُعيداً الحق إلى نصابه، فأَيُّ كَذَابٍ يَرْضَى
لنفسه هذا؟.

استدراك الخطأ على المتبني

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

أسباب النزول:

نزلت هذه الآية في أم المؤمنين زينب بنت جحش، والصحابي الجليل زيد بن حارثة الذي كان ابناً للرسول ﷺ بالتبني على عادة الجاهليين، وكان الناس يُسمُّونه زيد بن محمد، وأراد الله إبطال هذه العادة الجاهلية في التبني، فكانت هذه القصة:

«رُويَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّ زَيْدًا يُطْلَقُ زَيْنَبُ، وَأَنَّهُ يَتَزَوَّجُهَا بِتَزْوِيجِ اللَّهِ إِيَّاهَا، فَلَمَّا تَشَكَّى زَيْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُلِقَ زَيْنَبُ، وَأَتَمَّتْهَا لَا تُطِيعُهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ طَلَاقَهَا، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِهَةِ الْأَدَبِ وَالْوَصِيَّةِ: «إِتَّقِ اللَّهَ فِي قَوْلِكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُفَارِقُهَا وَيَتَزَوَّجُهَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَخْفَى فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَأْمُرَهُ



بِالطَّلَاق؛ لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُهَا، وَخَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَلْحَقَهُ قَوْلٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ بَعْدَ زَيْدٍ، وَهُوَ مَوْلَاهُ، وَقَدْ أَمَرَهُ بِطَلَاقِهَا، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ أَنْ خَشِيَ النَّاسَ فِي شَيْءٍ قَدْ أَبَاحَهُ اللَّهُ لَهُ، بِأَنْ قَالَ: «أَمْسِكْ» مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ يُطَلَّقُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْخَشْيَةِ، أَيُّ: فِي كُلِّ حَالٍ، قَالَ عُلَمَاؤُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: وَهَذَا الْقَوْلُ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ التَّحْقِيقِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ، كَالزُّهْرِيِّ وَالْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ الْقُشَيْرِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرُ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُمْ^(١).

وروى ابن جرير عن عائشة ؓ أنها قالت: لو كنتم محمد شيئاً مما أُوحي إليه من كتاب الله تعالى لكنتم «وَنُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَنَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَخْشَاهُ»^(٢).

المناقشة

- مرّة أخرى يتصرّف النبي محمد ﷺ تصرُّفاً بشرياً محضاً، يُمليه عليه
حياؤه الذي عُرِفَ به طيلة حياته، مخافة أن يتّهمه قومه بمخالفة عُرْفٍ من

(١) تفسير القرطبي: منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة - دار الكتب

العلمية، بيروت: ط ٢: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م - مج ٧ / ج ١٣ / ص ١٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ٥ - ص ٢٨١.

أعرافهم الجاهلية بالزواج من زوجة ابنه بالتبني، بعد أن طلقها، ولو تُرِكَ الأمرُ له لما أقدم على هذه الخطوة أبدًا؛ لما لها من عواقب وخيمةٍ عليه شخصيًا، وعلى دعوته؛ إذ كان في عُرْفِهِمْ أن هذا الأمرَ كبيرة من الكبائر الاجتماعية منذ الجاهلية إلى غاية تحريمه في الفترة المدنية من الدعوة، ولكن الله الذي يفعل ما يريد، ويَحْكُم ما يشاء، أراد أن يُبْطِلَ هذا الباطل؛ لِيُحَقِّقَ الحقَّ بكلماته، ويقطع دابرَ الجاهلية، ولا مُعَقَّبَ لحكمه.

فالمُتأمل لهذا الحدث يُدرك أن محمدًا ﷺ هو المتضرر من هذا القرآن الذي نزل ليفشي سرا من أسرارهِ التي ما كان ليُطْلَعَ عليها أحدًا لو أن الأمرَ تُرِكَ له ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴾ (الأحزاب: ٣٧).

لقد كان محمد ﷺ، في غنى عن هذا الموقف والحرَج، ولو كان كاذبًا - كما زعموا ويزعمون - لأخْفَى هذه الآيات التي تُفْشي أسرارهِ، بل تُرْغِمُهُ على التزوُّج من مطلَّقة ابنه بالتبني، وهو أمر غير محمود آنذاك في أعراف الجاهليين.

- زيادة على ذلك فقد تزوّجها ﷺ - أي: زينب بنت جحش - بأمر من الله، بلا وليٍّ، ولا عقد، ولا مهر، ولا شهود من البشر.

وفي هذا ما فيه من شُبُهات، في مخالفة الأعراف، والأحكام الإسلامية التي

تجعل المهر والولي والشهود من أركان الزواج، التي لا يصح إلا بها؛ لقوله ﷺ «لا يخلُّ نكاحٌ إلا بولي، وصدّاق، وشاهدي عدلٍ»^(١) فكيف يُخالف محمد ﷺ كل ذلك جملة وتفصيلاً؟ ويتزوج بمطلقة ابنه بالتبني دون عقد، أو مهر، أو وليٍّ، أو شهود؟!!

- إنها شُبْهَةٌ عظيمة، وفرصة سانحة تفتح المجال أمام ألسنة المنافقين الذين يترَبّصون الدوائر بالرسول، ودعوته.

- فهل هو يُخالف مُتَعَمِّدًا ما يدعو إليه؛ لِيُخَسِّرَ كل شيء مرة واحدة؟ أم أنه نَبِيٌّ ما كان يدعو إليه؟ ولا بدّ من تذكيره قبل أن ينقلب عليه الأصحاب قبل الأعداء؟ أم أن الحكمة خانت هذه المرّة؟ كلا، لا شيء من ذلك تمامًا!!
- فقد تَوَلَّى الرَدَّ عن هذه الشُّبْهات علام الغيوب، ولم يَحْدُثْ شيءٌ من كلّ ما يَتَوَقَّعُ الملاحظون أن يحدث!!

- فهو لم يَتَعَمَّدْ مُخَالَفَةً ما كان يدعو إليه، بل كان يُخَفِّي هذا السرّ؛ مخافة أن يَطَّلِعَ الناس عليه.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^ط.
- ولم ينسَ ما كان يدعو إليه من قَبْلُ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ

(١) سنن البيهقي الكبرى، ج ٧/ ص ١٢٥ كتاب النكاح، والحديث ورد بروايات وألفاظ مختلفة.

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾
(الأحزاب: ٥٠).

﴿وَحَلَّلْتُ لَأَبْنَاءِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (النساء: ٢٣).

- ولم تخسر دعوته شيئاً بسبب مخالفة الأعراف الجاهليّة، بل ازدادت قُوَّةً وصلاحاً!!!

- ولم ينقلب عليه أصحابه، بل ازدادوا حباً له، وإيماناً به، وتصديقاً بدعوته حتى قال من قال: «لو كنتم محمد شيئاً ممّا أُوحيَ إليه من كتاب الله تعالى لَكُنْتُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُهُ﴾».
وبعد كل هذا، هل بقيَ لعاقِل أن يُصدِّقَ أن هذا الأميَّ (محمدًا ﷺ) يَمْتَلِكُ كل أدوات الإقناع العقليّة؛ لِيُقْنِعَ بها:

- فكيف أقنع أزواجه الغيوراتِ عليه فيما بينهنَّ، وكنَّ قد تواطأن عليه كما رأينا في سورة التحريم، قبل أن يُضَيَّفَ إِلَيْهِنَّ ضَرَّةً أُخْرَى؟!!

- وكيف أقنع الخاصّة من أصحابه، كما رأينا مع عمر بن الخطاب، وسعد ابن معاذ رضي الله عنهما في قضية قبول افتداء الأسرى بدَل قتلهم؟!! فسَلِّمُوا تسليماً بزواجه بهذه الكيفية التي خالفَ فيها الأعراف السائدة، وخالفَ فيها أيضاً ما شرَّعه دينُهُ من قبل؟

- وكيف أقنع الخاصة من أعدائه الذين يتربصون به الدوائر، فلم يخوضوا في مسألة زواجه من مطلقة ابنه بالتبني؟! رغم أنهم خاضوا في عرض زوجته الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟

- وكيف أقنع أتباعه من العلماء، والمفكرين، والعامّة، إلى يوم الناس هذا، دون أن يظهر كذبه على مرّ العصور؟!

لا شك أن العاقل الذي ينظر بمنظار الحق، سيتضح له الأمر بأن محمداً ﷺ، كان يحتاط لمثل هذا الموقف مخافة كلام الناس، بل كلام الأصحاب قبل الأعداء، ولكن الله تعالى أفشى هذا السرّ، وأتمّ هذا الأمر الذي شاءه أن يكون حكماً من أحكام شريعته في إبطال التبني، وأبقاه قرآناً يُتلى على الناس إلى يوم القيامة، وليس هذا فحسب، بل حوّله من أمر معيب في أذهان الناس، إلى أمر محمود تفتخر به صاحبتة على بقية النساء.

روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي، فتقول: زوّجكن أهاليكن وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»^(١).

(١) تفسير ابن كثير: نشر مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة - ط ١: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، تح: مجموعة من الأساتذة، مج ١١/ ص ١٧٣.

آيات الوعيد

- امتناع الأنبياء من القول والافتراء على الله:

إنه لَمِنَ اللَّافَاتِ لِلانْتِبَاهِ، لَمَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ أَنْ تَسْتَوْفِفَهُ بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ شَدِيدٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، فَمَنْ يَأْتِي بِمِثْلِ هَذِهِ الصَّلَاحِيَةِ؟ وَمَا السَّرُّ فِي ذَلِكَ؟

وَهَلْ سَجَّلَ التَّارِيخَ الْبَشَرِيُّ أَنْ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ، أَوْ زَعِيمًا مِنَ الزَّعَمَاءِ، هَدَّدَ نَفْسَهُ، وَتَوَعَّدَهَا بِأَشَدِّ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ!!؟

وَلَعَلَّ الْأَمْرَ يَزْدَادُ غَرَابَةً حِينَ نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا التَّهْدِيدَ وَالْوَعِيدَ سَيَقَعُ؛ لِمُجَرَّدِ زِيَادَةِ فِي مَضْمُونِ الرِّسَالَةِ، أَوْ انْتِقَاصِ مِنْهُ!!؟

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤ - ٤٧).

جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾.

«أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مُفْتَرِيًّا عَلَيْنَا، فزاد في الرسالة أو نَقَصَ مِنْهَا، أَوْ قَالَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ، فَنَسَبَهُ إِلَيْنَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لِعَاجِلِنَاهُ بِالْعُقُوبَةِ»^(١).

(١) تفسير ابن كثير: مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث - الجزيرة، تح: مج من=



المنافسة:

- لو أن العقل وحده يتكلم لقال: إن قوة أكبر من محمد هي التي تتولى هذا القرآن وهذا الوحي بالرعاية، ومحمد نفسه لا يملك من أمره شيئاً تجاه هذه القوة، فهو مُطالب بالتبليغ على أكمل وجه، دون زيادة أو نقصان، وأي تقصير عن هذا سيُعرضه لأشد العقوبات في الدنيا قبل الآخرة!!

- ولو أن العقل وحده يتكلم لقال: إن محمداً الأُمِّيَّ، ما كان يُمكنه أن يأتي بكلام تعجّزُ العرب عن مُجاراته، وهم أرباب الفصاحة والبيان، بل ويعجز الإنس والجان مُجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله.

- ولو أن العقل وحده يتكلم لقال: كيف يُهدّد رجل نفسه بالقتل، لو أنه تقوّل كلاماً من عنده، وهل يتورّع الكذاب عن التقوّل؟!!!

- فلو كان محمد كذاباً لما هدّد نفسه بالقتل؛ لمُجرّد التقوّل؟!!!

- ولو كان محمد كذاباً لتقوّل كما يحلّو له!!

- ولو كان محمد كذاباً لما التزم أصلاً بما قاله!!

- ولو كان محمد كذاباً لما خاف من هذا الوعيد، إذ كيف يُعقل أن يكذب،

ثم يُصدّق كذِبته، ويلتزم بعدم التقوّل، والكذب مرة أخرى؟!!!

=الأساتذة، ط ١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م- ج ١٤، ص ٢٣.

إنك لو قلبت النظر، وتحرّيت الحق، لا تُضح لك أن التهديد جادٌ، وحقيقيٌّ، وأن الذي قام بالتهديد والوعيد أقوى من محمد، ومن آل محمد، بل ومن خصوم محمد الذين يريدون منه الكفّ عن عدم التبليغ، أو تغيير ما يبليّغه؛ لينسجم مع أهوائهم ﴿وَإِذَا تُلِيّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: ١٥).

- بل يزيدك يقيناً بأنه الحق من عند الله حين تعلم أن محمداً ﷺ كاد أن يركن إليهم أحياناً، ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ فينهاه ربه، ويتوعده، ويشبته على الحق، وينصره.

- امتناع الأنبياء من الافتراء على الله:

- ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٣﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٧٣-٧٥).

سبب النزول:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ﴾... الآية.

أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق إسحاق عن محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف، وأبو جهل بن هشام، ورجال من قريش، فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، تعالَ تَمَسَّحْ بآهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يجب إسلام قومه، فرَّقَ لهم، فأنزل الله ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ط وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ﴾ وَلَوْلَا أَنْ نَبْتَئَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ إِذَا لَا أَذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ أَلَمَاتٍ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٧﴾ قلت: هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو إسناده جيد وله شاهد^(١).

المنافسة:

يمكننا تسجيل الملاحظات التالية:

- إن التأمل في أسباب النزول باختلاف رواياتها، يدرك تمامًا أن تحقيق المصلحة الدنيوية العاجلة (سيادة، مال، جاه، سلطة، نفوذ... إلخ) هي الأسباب الحقيقية وراء طلب المشركين من النبي ﷺ تبديل القرآن وتغييره؛ لأنه لا يتماشى مع مصالحهم الدنيوية المهددة بتعاليم الإسلام التي تدعو إلى التوحيد،

(١) لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١،

والعدل، والمساواة، ومُحاربة الربا والرشوة والفساد، وتحرير العبيد من العبودية
إلا الله.... إلخ.

وكان المُقابل مجموعة من المغريات المادّية (مال، نساء، احترام، جاه.. إلخ).
- نُسَجِّلُ أَيضًا حفظ الله تعالى لِنَبِيِّهِ مِنَ الزَّلَلِ، وتثبيته له. ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾
- نُسَجِّلُ أَيضًا وعيدًا شديدًا للرسول ﷺ في حال الرُّكون إليهم:

﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾
وهو ما لم يَحْصُلْ بفضلٍ وتثبيتٍ من الله لنبيه.

- نُسَجِّلُ أَيضًا أن الرسول ﷺ، ليس بِمَعْزِلٍ عن العقوبة المضاعفة، لو
حدث منه تقوُّلٌ أو افتراء على الله، أي: أن الحدود مضبوطة، ولا يصحُّ لمحمد أو
غيره، تخطيها تحت أية ذريعة كانت، حتى ولو كانت الذريعة، المصلحة الظاهرة
للدعوة، كما قدّر الرسول ﷺ!!

والخلاصة التي نطمئنُّ إليها بعد هذا الشرح والتعليل، أن الرسول ﷺ
وإخوانه من الأنبياء جميعاً ﷺ كانوا معصومين عصمة تامّة لا يَرْقَى إليها
الشَّكُّ حينما يُبَلِّغُونَ عن الله؛ لأن العصمة في مقام التبليغ لازمةٌ وواجبةٌ لهم، فلا
 مجال للاجتهاد، ولا للخطأ.

غير أنهم لم يكونوا معصومين في اجتهاداتهم التي لم يكن لهم فيها نصُّ



يُوجِّهُهُمْ، حينما كانوا في مقام الدعوة إلى الله؛ لأن العصمة في هذا المقام غير واجبة أو لازمة هُمْ، فهم مَوْكُولُونَ لبشريتهم، يُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ، غير أنهم في حال الخطأ فإن الله تعالى يَسْتَدْرِكُ عليهم، وَيُصَحِّحُ هُمْ الأخطاء، وَيَسْتَبْدِلُهَا بما هو أصوب وأعدل، وأقرب للتقوى.

نتائج البحث

نتائج خاصة حول آيات العتاب والوعيد:

١ - القرآن الكريم كتاب مُعْجِزٌ، بالعقل، وبالنقل.

عقلاً: لأنه لم يدَّعِ أحدٌ من البشر نسبته إليه، حتى محمد ﷺ، أنكرَ نسبة القرآن إليه، وبالتالي فإنَّ الحُجَّةَ العقليةَ قائمةٌ بأنه من عند الله، فضلاً عن الدليل الشرعي؛ لأن الله هو الوحيد الذي نَسَبَ القرآن إليه.

ونقلاً: لأن أحداً لم يستطع حذف حرفٍ واحدٍ منه، أو زيادة حرف واحد فيه.

٢ - محمد ينفي نفيًا قاطعاً بأن القرآن ليس من عنده، وهذه في ذاتها حجة؛ لأنه لو كان كاذباً لاستعمل كل الطُّرُق المشروعة وغير المشروعة؛ لينسب القرآن لنفسه؛ ليكسب به سلطة ورفعة وجاهاً في قومه.

٣ - إن آيات العتاب والوعيد ما كانت لتبقى في المصحف لو صدَّق الزَّعمُ بأن محمداً هو الذي تقول القرآن؛ لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الكذابين الذين يحرصون على تلميع صورتهم أمام أتباعهم وأعدائهم، فكيف به ﷺ يتلوها على أتباعه وأعدائه، ولا يخشى أن يُؤثِّرَ ذلك على سُمعته ودعوته؟ وهذا يكفي

للاستدلال على أنه من عند الله وحده.

٤ - لو كان محمد يتقوّل القرآن من عنده، فلماذا يراجع موقفاً اتخذّه عن قناعة وتشاور مع أصحابه، وهو في قمة النصر؟ ولماذا يُنكّد على نفسه وأصحابه هذه الفرحة، وينخصّها بالتهديد والوعيد الشديد؟ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٥ - إن الرسول ﷺ حينما اختار الفدية على القتل، إنما كان ذلك انسجاماً مع شخصيته في تسامحه مع أصحابه، وعدم غلظته حتى مع أعدائه ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

٦ - تحريم الرسول على نفسه ما أحل الله من النساء، يردُّ على المزاعم الباطلة في حقّ نبي الإسلام من أنه شخصٌ شهوانيٌّ، فلو كان كما يزعمون، لما أقدم على حرمان نفسه من هذا الحق، في سبيل إرضاء أزواجه.

٧ - الشّهوانيُّ من طبعه البحث عن وسائل أفضل؛ لتحقيق لذّاته ورغباته، فما بال نبيّنا يتلو قرآناً يحرم عليه الزواج متى شاء، وبمن شاء، ويقيده ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾.

٨ - إن كشف خواطر الأنبياء، وما يُختلج من أحاسيس في نفوسهم، هو

أكبر دليل عقليّ على أن القرآن ليس من عند محمد، وليس من عند غيره من البشر، بل هو من عند علّام الغيوب، إذ لو كان من عنده لما أفشى أسرارهِ، وكان يودُّ إخفاءها خشيةً الناس.

٩ - لو أن العقل وحده يتكلّم لقال: إن قوة أكبر من محمد هي التي تتولى هذا القرآن وهذا الوحي بالرعاية، ومحمد نفسه لا يملك من أمرهِ شيئاً تجاه هذه القوة، فهو مُطالَبٌ بالتبليغ على الوجه الذي يُطلَبُ منه، دون زيادة أو نقصان، وأي تقصير عن هذا سيُعرّضه لأشدّ العقوبات في الدنيا قبل الآخرة.

١٠ - ولو أن العقل وحده يتكلّم لقال: كيف يُهدّد رجل نفسه بالقتل، لو أنه تقوّل كلاماً من عنده، وهل يتورّع الكذابُ عن التقوّل؟

- فلو كان محمد كذاباً لما هدّد نفسه بالقتل؛ لمجرّد التقوّل؟

- ولو كان محمد كذاباً لتقوّل كما يحلو له.

- ولو كان محمد كذاباً لما التزم أصلاً بما قاله.

- ولو كان محمد كذاباً لما خاف من هذا الوعيد.

١١ - إن انقطاع الوحي عن محمد ﷺ، واضطراره للاجتهاد فيما ليس فيه

نص، لدليل عقلي ساطع على أنه لا يتقول القرآن من عنده، إذ لو كان يتقولهُ،

لفعل ذلك متى شاء وأراد؟!!

نتائج عامة حول مجمل القرآن:

١٢ - القرآن الكريم مُعْجَزٌ للبشر، في كلّه وجزئه، بدليل أنهم لم يستطيعوا الإتيان بسورة واحدة من مثله، ولم يستطيعوا تَغْيِيرَ حرف واحد منه زيادة أو نقصاناً، فالْحُجَّةُ العقلية قائمة بأنه من عند الله حتى يثبت العكس، ولن يثبت أبداً...

١٣ - هل يستقيم لعاقل أن رجلاً أمياً ظَلَّ يكذب طيلة حياته، ثم لأربعة عشر قرناً أخرى، دون أن يأتي معارضوه بدليل واحد مُقْنَع على أنه كَذَّاب!!؟

١٤ - الخطابُ في القرآن يدلُّ دلالةً عقليةً على أنه من عند الله وحده، لأن العاقلَ إذا قرأ هذه الآيات يدرك أن الخطابَ مُوجَّهٌ من مُخاطَبٍ أعلى من محمد، فهو يأمره، وينهاه، ويعاتبه، ويهدّده، ويرغبه أحياناً، ومحمد يأتمرُ بأوامره، وينتهي عن نواهيه، ويخاف من وعيده وتهديده، ويطمع في جزائه، فهل يستقيم لعاقل أن محمداً يكذب، ويَصْدُقُ كَذِبَتَهُ!!؟

١٥ - حينما تسقط كل الاتِّهَامات التي اتُّهم بها محمد ﷺ قديماً، وحديثاً أمام العقل والحُجَّة، فمعنى ذلك بالبرهان العقلي الساطع أن محمداً رسول حقاً من عند الله.

١٦ - هل يُعقل أن يُهدّد زعيمٌ نفسه، ثم يخاف من تهديده لنفسه، فإذا فعل

أحد ذلك وُصف بالجنون، ومحمد ﷺ ثبت للعالمين بأنه ليس مجنوناً، وقرآنه ينطق بالحق، والعقل بشهادة العالمين.

لقد عوّب محمد ﷺ وهُدّد في كثير من الآيات، فكان يخاف على نفسه؛ لأنه يدرك أن الذي هدّده وتوعّده قادر على تنفيذ وعيده وتهديده؛ لذلك كان محمد ﷺ يتراجع، ويستغفر لذنبه، ويتبع الحق الذي يأتيه من عند ربه.

١٧ - لمن يشك في صدق نبوة محمد نقول:

محمد رجلٌ أُمي... ويتحدّى الإنس والجان مجتمعين أن يأتوا بقرآن مثل قرآنه..

وأنتم تزعمون بأنه كذّاب، وأنكم أذكى منه، وأعلم منه، وأفطن منه... وقد صنعتُم الطائرات العملاقة، وغزوتُم الفضاء، واخترعتُم الأساطيل الجَرّارة وأسلحة الدمار الشامل...

جرّبوا إذن أن تغيّروا حرفاً واحداً من القرآن الذي جاء به محمد من عند ربه، واستعينوا بأنسكم وجنّكم، فإذا استطعتم - ولن تستطيعوا - سنكذّبُ محمداً ونصدّقكم أنتم، ونتبّعكم...

أمّا إذا عجزتم فعليكم أن تُصدّقوا أن القرآن كلام الله العزيز، ومحمد عبده ورسوله كما أخبر، وهو الصادق المصدوق، لا الكذّاب الأشر.



﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

أسأل الله تعالى أن يُثَبِّتَنَا على دينه، وأن يجعلنا من الدعاة والسائرين على
هدي نبيه عليه الصلاة والسلام، وأن يُحْشِرَنَا في زُمْرَتِهِ مع الذين أنعم عليهم من
النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.
والله أعلم.

ملحق بآيات العتاب والوعيد

أ/ آيات العتاب:

١/ : موقف الرسول ﷺ من سرقة طعمة بن أبيرق، كما عرضته آيات من

سورة النساء:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَافِينَ خَصِيمًا ۝١٦٠ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٦١ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ۝١٦٢ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٦٣ هَاتُوا بُرْهَانَ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٦٤ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٦٥ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٦٦ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١٦٧ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١٦٨﴾ (النساء: ١٠٥ - ١١٣).

٢/ إذن الرسول ﷺ للمتخلفين عن غزوة تبوك، كما عرضته آيات من سورة التوبة:

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ ﴾ (التوبة: ٤٣).

٣/ صلاة الرسول ﷺ على زعيم المنافقين، عبد الله بن أبي، كما عرضته آيات من سورة التوبة أيضاً:

﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (التوبة: ٨٤).

٤/ نسيان الرسول ﷺ قول: إن شاء الله، كما عرضته آيات من سورة الكهف:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ (الكهف: ٢٣ - ٢٤).

٥/ زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، ﷺ، كما عرضته آيات من سورة الأحزاب:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا

وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ
وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿ (الأحزاب: ٣٧).

٦/ تحريم الرسول ﷺ على نفسه الحلال، لمرضاة أزواجه، كما عرضته

آيات من سورة التحريم:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى
بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ
مُسَاهِلَتِ مُؤْمِنَتٍ قَبِيلَتٍ تَبِيتَ عِبْدَتِ سَبِيحَتٍ تَبِيتَ وَأَبْكَارًا ﴿ (التحريم: ١-٥).

٧/ عتاب الرسول ﷺ بشأن عبد الله بن أم مكتوم ؓ، كما عرضته آيات

من سورة عبس:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ
الذِّكْرَى ﴿ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ﴿ وَأَمَّا مَنْ
جَاءَكَ يَسْعَى ﴿ وَهُوَ يَخْشَى ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿ (عبس: ١-١١).

ب/ آيات الوعيد:

١/ أمر الرسول ﷺ بالبقاء مع المسلمين المستضعفين، كما عرضته آيات

من سورة الأنعام:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
(الأنعام: ٥٢).

٢/ عتاب الرسول ﷺ بشأن أسرى بدر، كما عرضته آيات من سورة الأنفال:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ۚ حَتَّى يُفْخِرَ ۚ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٨) ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٧ - ٦٩).

٣/ ثبات الرسول ﷺ أمام مساومات الكفار، كما عرضته آيات من

سورة الإسراء:

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خِلَالًا﴾ (٧٣) ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) ﴿إِذَا لَا أَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٧٣ - ٧٥).

قائمة المراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) تفسير ابن كثير.
- (٣) تفسير الطبري.
- (٤) تفسير القرطبي.
- (٥) صحيح البخاري.
- (٦) لباب النقول في أسباب النزول - لجلال الدين السيوطي.
- (٧) سنن البيهقي الكبرى، كتاب النكاح.
- (٨) الطبقات لابن سعد ج ١.
- (٩) الموسوعة الشاملة، الإصدار الثالث.
- (١٠) فتاوى الأزهر: السياسة الشرعية، عبد الرحمن تاج.
- (١١) المواهب اللدنية: الزرقاني علي.
- (١٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية. مهدي رزق الله أحمد.
- (١٣) مجلة التوحيد: عدد ٦٢.



تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة والجفاة في الدفاع عن النبي ﷺ

إعداد

د. علي مصري سيمجان فوترا

ايض

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠-٧١.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة^(١).

إن الدفاع عن النبى ﷺ جزء من معنى الشهادتين لا يتم إسلام المرء إلا به كما أنه جزء لا يتجزأ من ركن الإيمان الرابع وهو الإيمان بالرسول، ولا سيما في هذه الحقبة الزمنية التي تعرض فيها الرسول ﷺ وستته إلى هجمة شرسة من الكفرة والملحدّين من جانب، ومن الزنادقة والمبتدعين من جانب آخر. ووقف المسلمون بالرد والإنكار تجاه هذا العدوان المخالف لتعاليم دينهم السمحة، واجتهدوا في بيان زيفه وضلاله بشتى الوسائل.

إلا أن المطلع على ذلك يجد كثيرا من هذه البرامج والنشاطات ليست مؤصّلة تأصيلًا علميًا، تعالج المشكلة من أصلها، بل وجد في بعضها كثير من الأخطاء والتجاوزات الشرعية والتناقضات وإن كان قصد أهلها حسناً.

(١) هذه الخطبة تسمى: خطبة الحاجة كان النبى ﷺ يقرأها في كل حاجة ويعلمها أصحابه، وقد أخرج بعض ألفاظها الإمام مسلم: ٥٩٢/٢ (٨٦٧)، والنسائي: ١٨٨-١٨٩ (١٥٧٨) وابن ماجه: ١٨-١٧/١ (٤٥-٤٦)، وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله ؓ. انظر تخريجها الموسّع في «السلسلة الصحيحة» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني: ٣/١، وقد أفردا الشيخ رحمه الله في رسالة سماها «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه».

ومن هنا لا بد من وجود الجهود التي تكشف عن المنهج الصحيح في التعامل مع هذا الوضع الراهن، وخاصة المتعلمين من أبناء هذه الأمة لتقويم المفاهيم الخاطئة في الدفاع عن النبي ﷺ ورسلته بالحقائق العلمية والأساليب الصحيحة والوسائل الراجحة الناجحة.

فهذا بحث متواضع قدمته للمشاركة في هذا المؤتمر «مؤتمر نبي الرحمة محمد ﷺ» الذي تنظمه الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها. وهو بعنوان «تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة والجفأة في الدفاع عن النبي ﷺ».

اخترت هذا الموضوع لأسباب عديدة منها:

١. أداء وجوب النصيحة للأمة.
 ٢. مشاركة الدور الفعال في الدفاع عن النبي ﷺ.
 ٣. تصحيح المفاهيم الخاطئة التي ألصقت بالدفاع عن النبي ﷺ.
- هذا، وأسأل الله الإعانة والتيسير في هذا وفي جميع الأمور فإنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير، نعم المولى ونعم النصير.

شكر وتقدير:

أحمد الله حمداً كثيراً وأشكره شكراً متوالياً على نعمه الكثيرة وآلائه الجسيمة، ثم أشكر القائمين على هذا المؤتمر المبارك، كما أشكر حكومة خادم الحرمين الشريفين - حرّسها الله - التي ما زالت ولا تزال فريدة زمانها في خدمة الإسلام والمسلمين عامة وفي خدمة السنة وأهلها خاصة. أسأل الله الغني الكريم أن يزيد في بركة هذه البلاد ويحفظها من كلّ سوء ومكروه، وأن يجزي الجميع خير الجزاء حكومة وشعباً، فإنه وليّ ذلك والقادر عليه.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين ثم خاتمة.

- المقدمة: كلمة افتتاحية.
- التمهيد: وجوب توقير النبي ﷺ واحترامه، وفيه ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على وجوب توقير النبي ﷺ.
 - المطلب الثاني: الأدلة من السنة على وجوب توقير النبي ﷺ.
 - المطلب الثالث: صور من حياة الصحابة في توقير النبي ﷺ.
- الفصل الأول: تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة، وفيه خمسة مباحث:
 - التمهيد: النهي عن الغلو فيه ﷺ.

- المبحث الأول: الدفاع عنه بأنه ﷺ خلق من النور ولا ظلّ له.
- المبحث الثاني: الدفاع عنه بأنه ﷺ يرجع إلى الدنيا ويحضر حفلة المولد.
- المبحث الثالث: الدفاع عنه بأنه ﷺ يعلم الغيب.
- المبحث الرابع: الدفاع عنه بجواز التوسل بذاته وجاهه الشريف ﷺ.

- المبحث الخامس: الدفاع عنه بجواز دعائه ﷺ والاستغاثة به.
- الفصل الثاني: تقويم المفاهيم الخاطئة عند الجفاة، وفيه خمسة مباحث:
 - التمهيد: النهي عن الجفاء به ﷺ.
 - المبحث الأول: الدفاع مع ترك طاعته ﷺ.
 - المبحث الثاني: الدفاع بوضع الأحاديث المكذوبة عليه.
 - المبحث الثالث: الدفاع مع بغض آل بيته ﷺ الأطهار.
 - المبحث الرابع: الدفاع مع سب أصحابه ﷺ الأبرار.
 - المبحث الخامس: الدفاع مع تنقصه ﷺ أو تفضيل غيره من البشر عليه ﷺ.
- الخاتمة: فيها أهمّ نتائج وتوصيات.

التمهيد

وجوب توقير النبي ﷺ واحترامه

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على وجوب توقير النبي ﷺ.

إن تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله شعبة عظيمة من شعب الإيمان وهذه الشعبة غير شعبة المحبة بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة ذلك لأنه ليس كل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعو إلى تكريمه ولا يدعو إلى تعظيمه والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة.

قال الإمام البيهقي: «تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره ﷺ وهذه منزلة فوق المحبة لأنه ليس كل محب معظماً إلا أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعو إلى تكريمه ولا يدعو إلى تعظيمه، والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم والسيد قد يحب مملوكه ولكن لا يعظمهم والممالك يحبون ساداتهم ويعظمونهم فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة والداعي إلى المحبة ما يفيض عن المحب على المحب من الخيرات والداعي إلى التعظيم ما يحب المعظم في نفسه من الصفات العلية ويتعلق به من حاجات المعظم التي لا

قضاء لها إلا عنده ويلزمه من مننه التي لا قوام له بشكرها وإن جدد واجتهد»^(١).

وفي تعظيمه ﷺ يقول سبحانه: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾^(٢)

أي تعظموه وتفخموه، وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه^(٣)، فأوجب سبحانه

تعزيره وتوقيره وإلزام إكرامه وتعظيمه^(٤).

قال ابن جرير في تفسير الآية: «معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية

والنصرة والمعونة ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال»^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والتعزير: اسم جامع لنصره وتأيدته

ومنعه من كل ما يؤذيه والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من

الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن

كل ما يخرج عنه حد الوقار»^(٦).

قال السعدي رحمه الله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ.

(١) «الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي: ١٩٣/٢.

(٢) [الفتح: ٩].

(٣) «الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي: ١٩٣/٢.

(٤) «الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي: ١٩٣/٢.

(٥) «تفسير الطبري»: ٧٥/٢٦.

(٦) «الصارم المسلول»: ٤٢٢.

﴿ وَتُوقِّرُوهُ ﴾ أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم^(١).

وحاصل ما قيل في معناهما أن: التعزير اسم جامع لنصره وتأنيده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج به عن حد الوقار.

وهذه المعاني هي المرادة بلفظ التعظيم عند إطلاقه، فإن معناه في اللغة: التبجيل، يقال: لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها، ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنى المراد من التعزير والتوقير.

وقال الله ﷻ: ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِمْ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فأخبر أن الفلاح إنما يكون جمع إلى الإيمان به تعزيره ولا خلاف في أن التعزير ههنا التعظيم وقال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ فأبان أن حق رسول الله

(١) «تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي»: ٩٣٤.

ﷺ في أمته أن يكون معززا موقرا مهيبا ولا يعامل بالاسترسال والمباسة كما يعامل الأكفاء بعضهم بعضا قال الله ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ فقيل في معناه لا تجعلوا دعاء إياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا إجابته بالأعذار والعلل التي يؤخر بها بعضكم إجابة بعض ولكن عظموه بسرعة الإجابة ومعالجة الطاعة ولم يجعل الصلاة لهم عذرا في التخلف عن الإجابة إذا دعا أحدهم وهو يصلي إعلاما لهم بأن الصلاة إذا لم تكن عذرا يستباح به تأخير الإجابة فما دونها من معاني أعذارا بعد ذلك^(١).

قال الحلبي^(٢): «فمعلوم أن حقوق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على ممالكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أداونا إلى جنات النعيم. فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن. ثم إنه

(١) «الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي: ١٩٣/٢.

(٢) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، فقيه شافعي، قاضي، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، وله كتاب المنهاج في شعب الإيمان، توفي في بخارى سنة ٤٠٣ هـ. (انظر «الأعلام» للزركلي: ٢/ ٢٣٥).

جل ثناؤه ألزمننا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار. ووعدنا باتباعه الجنة. فأى رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة. فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه^(١).

وتعظيم النبي ﷺ يكون بالقلب، واللسان والجوارح، فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم اعتقاد كونه رسولا اصطفاه الله برسالته، وخصه بنبوته، وأعلى قدره، ورفع ذكره، وفضله على سائر الخلق أجمعين، كما يستلزم تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين.

أما التعظيم باللسان فيكون بالثناء عليه بما هو أهله، مما أثنى به على نفسه، أو أثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير، ويدخل في ذلك الصلاة والسلام عليه، كما يشمل الأدب في الخطاب معه والحديث عنه ﷺ.

وأما التعظيم بالجوارح فيشمل العمل بطاعته، وتجديد متابعتة، وموافقتة في حب ما يحبه، وبغض ما يبغضه والسعي في إظهار دينه، ونصرة شريعته، والذب عنه وصون حرمة^(٢).

(١) «المنهاج في شعب الإيمان»: ١٢٤-١٢٥، و«الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي: ١٩٣/٢.

(٢) انظر: «الصارم المنكي»: ٣٤١-٣٤٢.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على وجوب توقير النبي ﷺ.
وأما الأحاديث التي تدلّ على وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه ومحبته كثيرة جداً لا يمكن حصرها، ومنها:

١. ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(١).

٢. ما روي عن عبدالله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال له النبي ﷺ: «الآن يا عمر»^(٢).

وفي هذين الحديثين بيان نوع من أنواع التوقير والتعظيم للنبي ﷺ بالقلب وهو تقديم محبته ﷺ على كلّ أحد حتى من النفس.

٣. وقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه النكير على رجلين رفعاً أصواتهما في المسجد النبوي كما رواه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال:

(١) رواه البخاري: ح (١٤، ١٥) ومسلم: ح (١٧٧، ١٧٨).

(٢) رواه البخاري: ح (٦٢٥٧).

«كنت قائما في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فاتني بهذين، فجثته بهما. قال: من أنتم- أو من أين أنتم؟ قالوا: من أهل الطائف. قال: لو كنتم من أهل البلد لأوجعتكما. ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!»^(١).

فإذا تقرر هذا علمنا أن ما يحدث من كثير من الناس عند قبره ﷺ من رفع الأصوات واختلاطها، وصنيع من يسمون «بالمزورين» من رفع الأصوات عند القبر والتشويش في المسجد النبوي، كل هذا من الأمور المحرمة لما فيها من إيذاء النبي ﷺ، وانتهاك حرمة المسجد.

ومن مخالفة الأدب في هذا الباب رفع آراء بعض البشر وأقوالهم ومذاهبهم على سنة النبي ﷺ، ومحاولة إسكات صوت السنة والداعين إليها وفي هذا من الإيذاء والجفاء ما هو أكبر بكثير من مجرد رفع الصوت عند النبي ﷺ^(٢).

قال أبو بكر بن العربي المالكي: «حرمة النبي ﷺ ميتا كحرمة حيا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر أن لا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه

(١) رواه البخاري: ح (٤٥٧).

(٢) انظر: «مدارج السالكين»: ٢ / ٣٨٩.



ذلك في مجلسه عند تلفظه به»^(١).

٤. ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي»^(٢).

٥. ما روي عن حسين بن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ:
«البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي»^(٣).

وهذان الحديثان يدلان على نوع من أنواع التوقير والتعظيم باللسان وهو الصلاة والسلام عند ذكر أو سماع اسمه ﷺ.

٦. ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي» قيل: ومن أبي؟ قال: «من أعطاني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي»^(٤).

٧. ما روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع

(١) «التاج والإكليل»: ٤٠٠/٣.

(٢) رواه الترمذي: ح (٣٥٤٥) وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي: ٤٥٧/٣).

(٣) رواه الترمذي: ح (٣٥٤٦) وقال الشيخ الألباني: صحيح. (صحيح سنن الترمذي: ٤٥٨/٣).

(٤) رواه البخاري: ح (٦٨٥١).

أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»^(١).

وفي هذين الحديثين بيان نوع من أنواع التوقير والتعظيم للنبي ﷺ بالجوارح وهو طاعته فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

٨. عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ. قال «ما هذا يا معاذ؟» قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال النبي ﷺ: «فلا تفعلوا فيني لو كنت آمرا أحد أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٢).

٩. ما روي عن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت: لرسول الله ﷺ أحق أن يسجد له. فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت أحق بأن يسجد لك، فقال لي: «لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟» فقلت: لا. فقال: «ولا تفعلوا

(١) رواه أحمد: ٣/ ٣٨٧، وقال الشيخ الألباني: حسن. (الإرواء: ٦/ ٣٤).

(٢) رواه ابن ماجه: ح (١٨٨٠) وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن ابن ماجه:

لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله عليهن من حق»^(١).

١٠. ما روي عن عبد الرحمن بن أبي قراد رضي الله عنه أن النبي ﷺ توضأ يوماً، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم النبي ﷺ: «ما يحملكم على هذا». قالوا: حب الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله، فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أتمن، وليحسن جوار من جاوره»^(٢).

١١. ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك»^(٣).
وفي هذه الأحاديث الستة من (٨) إلى (١١) بيان لأساس التعظيم وقاعدته التي ينبني عليها هو الاتباع بلا الابتداع ولا الغلو فيه. فمن فقد هذا الأساس أو أخل به فقد أخل بتعظيمه وتوقيره ﷺ.

(١) رواه أبو داود: ح (٢١٤٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح. (صحيح سنن أبي داود: ٥٩٥/١)

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيثار: ح (١٥٣٣) وحسنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح: ١٣٩١/٣.

(٣) رواه الترمذي: ح (٢٧٥٤) وقال الشيخ الألباني: صحيح. (صحيح الترمذي: ١٠٠/٣).

المطلب الثالث: صور من حياة الصحابة رضي الله عنهم في توقير النبي ﷺ .
وقد قام الصحابة حق القيام في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره في حياته ﷺ ونالوا شرف لقاء النبي ﷺ، فكان لهم النصيب الأول في من توقيره وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم، ولن يدركهم من بعدهم، ثم شاركوا الأمة في تعظيمه بعد موته ﷺ. كان شأنهم في توقيره أوضح وأظهر من أن يستدل عليه.

ونذكر هنا بعض نماذج رائعة ومواقف جميلة للصحابة في تعظيم النبي ﷺ:
١. وأجل من وصف شأنهم في ذلك عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: «أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا تواضوا كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون النظر إليه تعظيماً له»^(١).

٢. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له،

(١) رواه البخاري: ح (٢٥٨١).

ولو سئلت أن أصفه ما أطق لأني لم أكن أملاً عيني منه»^(١).

٣. ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قال أنس بن

مالك: «إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافر»^(٢).

٤. ولما نزل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا

تَشْعُرُونَ﴾، قال ابن الزبير: «فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية

حتى يستفهمه»^(٣).

٥. وقال البيهقي^(٤): «إن هذه الآية «نزلت في ثابت بن قيس بن شماس

الأنصاري ؓ كان إذا جالس النبي ﷺ يرفع صوته إذا تكلم، فلما نزلت هذه

الآية انطلق مهموماً حزينا فمكث في بيته أياماً مخافة أن يكون قد حبط عمله.

وكان سعد بن عباد جاره، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال له

(١) رواه مسلم: ح (٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ح (١٠٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح

الأدب المفرد: ١/٤٢٩.

(٣) رواه البخاري: ح (٤٥٦٤).

(٤) «شعب الإيمان» ح (١٥١٧) وينحوه عند البخاري: ح (٤٥٦٥) ومسلم: ح (٣٢٩).

النبي ﷺ «اذهب فأخبر ثابت بن قيس أنك لم تُعَنَ بهذه الآية ولست من أهل النار بل أنت من أهل الجنة فأخرج إلينا فتعاهدنا» ففرح ثابت بذلك ثم أتى النبي ﷺ فلما أبصره النبي ﷺ قال: «مرحبا برجل يزعم أنه من أهل النار بل غيرك من أهل النار وأنت من أهل الجنة». فكان بعد ذلك إذا جلس إلى النبي ﷺ يخفض صوته حتى ما يكاد أن يسمع الذي يليه فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٦. وجاء عن أسامة بن شريك^(١) والبراء بن عازب^(٢) وأبي سعيد الخدري^(٣) في وصف الصحابة عند النبي ﷺ قالوا: «كأن على رؤوسهم الطير...».

«كأن على رؤوسهم الطير» فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيراً وإجلالاً له صلوات الله وسلامه عليه،

(١) رواه أبو داود: ح (٣٨٥٧) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن أبي داود: ٤٦١ / ٢).

(٢) رواه النسائي: ح (٢٠٠١) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن النسائي: ٥٨ / ٢).

(٣) رواه البخاري: ح (٢٦٨٧).



فلم يكن من عادة الصحابة رضي الله عنهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يعلوا أصواتهم بنقاش أو حوار بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشفير والاحترام. إن أصحاب محمد ﷺ ورضي الله عنهم لم يكونوا يغضبون ذلك الغضب الشديد إلا عندما تُعارض السنة بأقوال الرجال أو بالآراء، وإن كانت تلك الأقوال من أقوال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم ﷺ لا يرضون بمعارضة قول سيدهم وقدوتهم، بل ويشتدّون على المخالف، وما ذلك إلا لتعظيمهم لأقوال النبي ﷺ ولستته عليه الصلاة والسلام.

٧. فقد رأى عبد الله بن المغفل رجلاً من أصحابه يخذف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ كان يكره أو قال: ينهى عن الخذف، فإنه لا يُصطاد به الصيد، ولا يُنكأ به العدو، ولكنه يكسر السن، ويفقأ العين، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أخبرك أن رسول الله ﷺ كان يكره أو ينهى عن الخذف، ثم أراك تخذف، «لا أكلمك كذا وكذا»^(١).

وفي رواية لمسلم: «لا أكلمك أبداً»^(٢).

فهذا عمران بن حصين كان في رهط وفيهم بشير بن كعب فحدّث عمران

(١) رواه البخاري: ح (٥١٦٢) ومسلم: ح (٥١٦٢).

(٢) رواه ومسلم: ح (٥١٦٥).

يومئذ فقال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله». قال: أو قال: الحياء كله خير، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينه ووقاراً لله، ومنه ضعف! فغضب عمران حتى احمرّت عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه. فأعاد عمران الحديث، فأعاد بشير، فغضب عمران قال أبو السوار العدوي: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به^(١).

٨. ولما قال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها. قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعن. قال الراوي: فأقبل عليه عبد الله فسبّه سبّاً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعن»^(٢). وفي رواية^(٣): «فضرب في صدره، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: لا!». و

فهذا غيض من فيض مما ورد في تعظيم الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ في حياته، وفي الحقيقة فإن كل مواقفهم تشهد لهم بتعظيمه واحترامه وتوقيره.

(١) رواه مسلم: ح (١٦٦).

(٢) رواه مسلم: ح (١٠١٧).

(٣) رواه مسلم: ح (١٠٢٢).

وكان ﷺ عندهم معززا موقرا مهابا ولم يكونوا يعاملونه بالاسترسال والمباينة كما يعامل الأكفاء بعضهم بعضا. وكانوا يخفضون أصواتهم عنده ﷺ حتى ما يكاد أحدهم يسمع الذي يليه.

وإذا جلسوا بين يديه ﷺ أعطوا هذا المجلس الشريف حقه من التعظيم والإجلال والتكريم حتى لكانوا على رؤوسهم الطير وذلك لما هم عليه من السكينة والأدب الشرعي الذي أدبهم الله به ورسوله صلوات الله وسلامه عليه. وكانوا لا يحدون إليه النظر تعظيما ومهابة له ﷺ وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره فلا يقول شيئا إلا صدروا عنه وأطاعوه فيه وبادروا إلى امتثاله وتنفيذه والعمل به. ولقد كانت منزلة النبي ﷺ في قلوب أصحابه أغلى وأعز عليهم من كل شيء حتى من نفوسهم وأهليهم وما سوى ذلك، فقد كانوا يفتدون به بأرواحهم ويبدلون في سبيل نصرته كل ما يملكون من غالي ورخيص.

كما أنهم يعادون من يحارب الله ورسوله مهما كانت صلتهم وثيقة به حتى وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، ومواقفهم في ذلك كثيرة ومشتهرة. ومن المعلوم المقرر أن الصحابة رضوا عنهم هم أعراف الأمة بالنبي ﷺ ولذلك فقد كانوا بقدره ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فقد كان تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ أشد وأكبر من غيرهم.

الفصل الأول

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة

التمهيد: النهي عن الغلو فيه ﷺ.

الغلو في اللغة: هو مجاوزة الحد.

وشرعاً: مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل.

ولخطر الغلو في الأنبياء وخاصة نبينا محمد ﷺ فقد امتلأ القرآن ببيان بشريته ﷺ وعبوديته لخالقه سبحانه، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ^(١)﴾.

وذكره سبحانه بصفة العبودية في عدة آيات فقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا^(٢)﴾، وقال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ^(٣)﴾.

(١) [الكهف: ١١٠].

(٢) [الإسراء: ١].

(٣) [النجم: ١٠].

وبين سبحانه أن الرسل لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية والربوبية فقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٣).

وبين سبحانه كفر من يرفع النبيين فوق مقامهم قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

وقد نهى ﷺ عن الغلو فقال: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٥).

وقال: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٦).

(١) [الأَنْعَام: ٥٠].

(٢) [الأَعْرَاف: ١٨٨].

(٣) [آل عَمْرَان: ١٢٨].

(٤) [آل عَمْرَان: ٨٠].

(٥) [النِّسَاء: ١٧١].

(٦) [المَائِدَة: ٧٧].

قال ابن القيم: «ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله»^(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»^(٢).

وهذا التحذير من الغلو عام في جميع أنواع الغلو فيشمل الاعتقادات والأعمال، والغلو أيضًا عام في أشياء كثيرة قد يكون في المدح، قد يكون في الذم، قد يكون في الفهم، قد يكون في العلم، قد يكون في العمل.

وقال النبي ﷺ في النهي عن الغلو في حقه ﷺ شخصيًا: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله»^(٣).

نسب الله الغلو إلى أهل الكتاب عامة ونسبه الرسول ﷺ إلى النصارى

(١) «إغاثة اللهفان»: ٢/ ٢٢٦.

(٢) رواه النسائي: ح (٣٠٥٧) وابن ماجه: ح (٣٠٢٩) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن النسائي: ٢/ ٣٥٦).

(٣) رواه البخاري: ح (٣٢٦١).

خاصة ولعل السرّ في ذلك أن أكثر الغلو وقوعاً وشيوعاً وانتشاراً في هذه الأمة غلو النصارى، والله أعلم.

وقد أنكر الرسول ﷺ على من قال له ما شاء الله وشئت فقال له: «أجعلتني والله عدلاً بل ما شاء الله وحده»^(١)

كما أنكر على معاذ ﷺ حينما همّ أن يسجد له^(٢) ومعاذ إنما قصد بذلك تعظيم النبي ﷺ، لكن النبي ﷺ أنكر عليه ذلك لأنه لا ينبغي السجود إلا لله وحده، فكل من عظم الرسول ﷺ، بما لم يشرعه فقد غلا فيه وإن ظن أنه بذلك معظّم.

ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً ومسجداً حتى لا تقع الأمة في الشرك كما صحّ عنه قوله: «لا تتخذوا قبوري عيداً»^(٣).

فحقّق الرسول ﷺ لأئمة التوحيد وسدّ كل الذرائع إلى الشرك وقطع أسبابه والتي من أعظمها الغلو فيه، لأجل هذا كان الغلو في الرسول ﷺ محرماً

(١) رواه الإمام أحمد ح (١٨٣٩)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) انظر المسند: ٤ / ٣٨١، ٥ / ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) رواه أبو داود: ح (٢٠٤٤) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن أبي داود:

لأنه يفضي إلى الشرك والكفر، ولما يتضمنه هذا الغلو من القدح في مقام الألوهية وتفرد الله بصفات الربوبية.

ولأن فيه تنقيصاً للنبي ﷺ لأن كماله في عبوديته لربه كما يتضمن الكذب عليه لأن الرسول ﷺ ما دعا الخلق إلا إلى أفراد الخالق بالعبادة، ولم يدعهم إلى عبادة نفسه ووصفه بصفات الرب كما أنه لم يدع أنه من نور، أو أن له في الكون شيئاً من التدبير، أو أنه يعلم الغيب إلى غير ذلك مما يعتقده الغلاة فيه.

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال «السيد الله» فقلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان». رواه أبو داود^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية. فقال رسول الله ﷺ «ذاك إبراهيم»^(٢).

فهؤلاء تكلموا بما تكلموا به بقصد تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) رواه أبو داود: ح (٤٨٠٨) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن أبي داود: ١٨١/٣).

(٢) رواه مسلم: ح (٦٢٨٧).

ومع هذا لم يقبل منهم النبي ﷺ ذلك.

فيجب على المسلم أن يفرق بين المشروع وبين غيره في هذا الجانب وعدم التفرقة بينهما هو الذي أوقع المبتدعة في الغلو الذي ذمه الله ورسوله وذلك كالاستغاثة به وطلب الحاجات منه ودعائه من دون الله واعتقاد أنه خلق من نور وأن الكون كله قد خلق من نوره، وأنه يتصرف في الأكوان، ويعلم الغيب مطلقاً إلى غير ذلك من العقائد الباطلة، وابتداع أنواع كثيرة من الصلوات عليه. فكل هذا من الغلو والشرك الذي نهى الله عنه وفاعل هذا مضاد لتعظيمه ﷺ.

وفي قوله ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ»^(١) دليل قاطع على كراهية الرسول للمدح بما سوى العبودية والرسالة وأخبر أن هذه هي منزلته الحقيقية التي أنزله الله إياها، وهذا مما يبين أن الغلاة قد سلكوا في غلوهم مسلكاً لا يحبه الرسول ﷺ ولا يرضاه بل نهى عنه في مواقف كثيرة.

فلا يحق لكائن من كان أن يعظم النبي ﷺ بأمر من عنده لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. لقد كان من أكبر آثار الغلو في الرسول ﷺ

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣/٣)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح». (السلسلة الصحيحة: ح

(١٠٩٧).

ظهور البدع في العقائد والعبادات والتي أظهرها المبتدعة بدعوى حبه للرسول ﷺ فجعلوا المحبة مبرراً لهم في صنيعهم، كما حاولوا أن يلتمسوا لها من الشبه الباطلة ما يقوي بنيانها.

وقد تنوعت ضروب البدع وتعددت، وكلما مضى الزمان ازدادت البدع حتى أصبحت عقيدة راسخة في النفوس. وسأتحدث في المباحث التالية عن بعض صور الغلو ونهاذج من تلك البدع، والله المستعان وعليه التكلان.



المبحث الأول: الدفاع عنه ﷺ بأنه خلق من النور ولا ظلّ له:

من البدع التي اخترعها أقطاب التصوف ونشروها ودافعوا عنها وأصلوا لها في كتبهم وأشعارهم عقيدة النور المحمدي، وهو مصطلح لم يستقر فيه أقطاب التصوف على تعريف واضح محدد، بل قال كل واحد فيه بحسب ذوقه وما ورد على قلبه فيه.

يقولون: إن الرسول ﷺ خلق من نور، وأول ما خلق الله هو نور محمد ﷺ، وأن الدنيا بما فيها خلقت لأجل الرسول ﷺ، ولولاه لم تكن ولم تخلق ولم توجد.

حقيقة النور المحمدي:

يقول يوسف إسماعيل النبهاني وهو أحد المنظرين لهذا الفكر، مبيناً معنى هذا المصطلح الغريب: «اعلم أنه لما تعلقّت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها... ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات»^(١).

معنى هذا أن الله سبحانه خلق محمداً ﷺ من نوره، وأنه خلقه قبل آدم

(١) «الأنوار المحمدية» (ص: ٩).

بل قبل خلق العوالم جميعاً، بل إن الأشياء جميعها خلقت من نوره ﷺ وهذه دعاوى باطلة لا دليل عليها لا من قرآن ولا من سنة وما احتج به قائلو هذه الكلام من أحاديث كلها موضوعة كحديث «كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين»^(١) وحديث «إنه كان نوراً حول العرش فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور»^(٢) وغيرها من الأحاديث الموضوعة والمنكرة سنداً ومتناً، لجئوا إلى هذه الموضوعات مع أن هؤلاء يقولون بعدم حجية خبر الآحاد في العقيدة وإن كان في «صحيح البخاري» أو «صحيح مسلم»!! وإذا بهم يدعمون بدعاً مخالفة للنصوص الثابتة مثل قوله سبحانه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٣) وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾^(٤).

فمن أنكر بشرية رسول الله ﷺ وجعله نوراً لا ظل له كنور الشمس والقمر والنجوم مثلاً فقد استخف برسول الله ﷺ في صورة التعظيم، وصار هذا المحب كالصديق الأحق الذي يضر بصديقه لحماقته وبلادته، فهو أخس من

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة»: ح (٣٠٣).

(٢) انظر: «السلسلة الضعيفة»: ١ / ٤٧٤.

(٣) [الإسراء: ٩٣].

(٤) [الأحقاف: ٩].

العدو العاقل وأضر، فإن العدو العاقل يزعك عنك عقله والصديق الجاهل يريد نفعك فيضرك.

زعم بعضهم أن الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ.

ويقول أحد هؤلاء تعبيراً عن هذه العقيدة: «لولا ما خلقت شمس ولا قمر... ولا نجوم ولا لوح ولا قلم»^(١).

وعندما يطالب هؤلاء بالدليل الصحيح الصريح الخالي عن المعارضة يحتجون بحديث موضوع وهو: «لولا ما خلقت الأفلاك»^(٢) فهل يصح هذا دليلاً في دين الله، كيف يستدل بحديث مكذوب ويعارض قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) لقد بين الله سبحانه في هذه الآية أنه ما خلق الجن والإنس جميعاً بما فيهم رسوله ﷺ إلا لعبادته وحده. وهم انتحلوا هذا الضلال ليضيعوا معنى التوحيد ولا ندري كيف مررت هذه الخرافة على بعض المسلمين وكأنهم لم يقرؤوا تلك الآية ربما كان للجهل المطبق دوره الفعال.

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله في إحدى أجوبته عن هذه المقولة

(١) «تنبيه الحذاق» (ص: ٢٧) نقلاً عن حقوق النبي ﷺ: ٧١٤ / ٢.

(٢) انظر: «السلسلة الضعيفة»: ح (٢٨٢).

(٣) [الذاريات: ٥٦].

الفاسدة: «وأما ما يقوله بعض الناس، وبعض المخرفين، وبعض الصوفيين: إنه خلق من نور، أو إن أول شيء خلق هو نور محمد، فهذه كلها أخبار لا أصل لها، وكلها باطلة، وهي أخبار موضوعة لا أساس لها كما تقدم».

«إن الدنيا خلقت من أجل محمد ولولا محمد ما خلقت الدنيا ولا خلق الناس وهذا باطل لا أصل له، وهذا كلام فاسد، فالله خلق الدنيا ليعرف ويعلم ﷻ وليعبد جل وعلا، خلق الدنيا وخلق الخلق ليعرف بأسمائه وصفاته، وبقدرته وعلمه، وليعبد وحده لا شريك له ويطاع ﷻ، لا من أجل محمد، ولا من أجل نوح، ولا موسى، ولا عيسى، ولا غيرهم من الأنبياء، بل خلق الله الخلق ليعبد وحده لا شريك له.

خلق الله الدنيا وسائر الخلق ليعبد ويعرف ويعظم، وليعلم أنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، بين أنه خلقهم ليعبدوه، لا من أجل محمد عليه الصلاة والسلام.

ومحمد من جملتهم خلق ليعبد ربه، كما قال له سبحانه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١)، وقال ﷻ في سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا^(١)، وقال ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا^(٢)﴾.
 فالله جل وعلا خلق الخلق ليعبد، خلقه بالحق وللحق ليعبد ويطاع ويعظم،
 وليعلم أنه على كل شيء قدير، وأنه العالم بكل شيء ﷻ.
 هذه الأشياء التي سمعتها باطلة لا أساس لها، لم يخلق الله الخلق، لا الجن،
 ولا الإنس، ولا السماء، ولا الأرض، ولا غير ذلك؛ لم يخلق ذلك من أجل محمد
 عليه الصلاة والسلام، ولا من أجل غيره من الرسل، وإنما خلق الخلق وخلق
 الدنيا ليعبد وحده لا شريك له، وليعرف بأسمائه وصفاته^(٣).

(١) [الطلاق: ١٢].

(٢) [ص: ٢٧].

(٣) انظر أجوبة الشيخ رحمه الله في «فتاوى نور على الدرب»: ١/ ٩٦-١٠٠.

المبحث الثاني: الدفاع عنه ﷺ بأنه يرجع إلى الدنيا ويحضر
حفلة المولد:

ومما يعتقد الصوفية في هذا الباب إيمانهم بحياة النبي ﷺ بعد موته حياة
تامة لها كل خصائص الأحياء، ولذلك قالوا بأنهم يرونه يقظة ويجمعون به
فيرشداهم في طريقتهم، وأنه يحضر حضراتهم التي يقيمونها والموالد التي
يعملونها.

وعلى هذه البدعة أسست طرق صوفية كثيرة سميت بالطرق المحمدية
لأنها كما يزعمون أخذت من الرسول ﷺ مباشرة في اليقظة وذلك كالطريقة
التيجانية^(١) والطريقة الأحمدية الإدريسية^(٢) وغيرها من الطرق. كما بنوا عليها
حضراتهم وموالدهم. إذ تزعم الصوفية أن الحضرة التي يقيمونها سميت بذلك
لأن النبي ﷺ يحضرها إما بروحه وإما يقظة بجسده وروحه.

(١) التيجانية: نسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المغربي، مؤسس الطريقة
التيجانية، وطريقته منتشرة في المغرب، والسودان، ومصر، وغيرها، هلك عام (١٢٣٠هـ).
(انظر: الأعلام: ١/ ٢٤٥).

(٢) نسبة إلى أحمد بن إدريس الحسني وكان صوفياً على دين ابن عربي، مؤسس طريقة الطريقة
الأحمدية الإدريسية المنتشرة في المغرب والسودان وغيرها، هلك سنة ١٢٥٣هـ. (انظر:
الأعلام: ١/ ٤٤).

ويزعمون أنه يخرج إلى الدنيا أثناء قراءة قصص المولد القيام الذي يكون في المولد يسمّى بـ (الفزة) ومرادهم منه القيام بسرعة، وذلك عند ورود ذكر ولادة النبي ﷺ وخروجه إلى الدنيا، ويسمّى عندهم أيضاً بـ (الحضرة)؛ لأنّ كثيراً منهم يزعم أنّ روح النبي ﷺ تحضر عندها، ويقولون: (حضر، حضر)، ويتركون النافذة مفتوحة لتدخل روح النبي ﷺ منها، فجمعوا بين البدعة وبين إساءة الأدب مع النبي ﷺ؛ إذ يجعلونه مخالفاً لما أمر الله به في كتابه قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(١).

قال البرزنجي في «مولده» (ص ٧٧): (قد استحسّن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه غاية مرامه ومرامه). مع أنّ النبي ﷺ نهى حال حياته عن القيام له ﷺ وكرهه من الصحابة، فكيف يقع استحبابه عليه في بدعة الاحتفال بمولده ﷺ. قال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك»^(٢).

(١) [البقرة: ١٨٩].

(٢) رواه الترمذي: ح (٢٧٥٤).

يقول صاحب جواهر المعاني عن شيخه أحمد التيجاني: (قال ﷺ: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً. قال لي أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان^(١)).

ويستدلون على ادعائهم رؤية النبي ﷺ يقظة بالحديث الذي رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»^(٢)). قالوا فالحديث صريح في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قبل الآخرة.

وهذا الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه لأن الحديث يحتمل عدة معان ولذلك اختلف العلماء في معناه وحملوه على عدة محامل منها:

١. أن المراد به من آمن به في حياته ولم يره - لكونه حينئذ غائباً عنه فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره، أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته ﷺ إذا كان قد رآه في المنام.

(١) التيجانية، ص ١٢٧، نقلاً عن جواهر المعاني وبلوغ الأماني، لعلي بن حرازم الفاسي، ١٢٩/١.

(٢) رواه البخاري: ح (٦٥٩٢).

٢. أو أن معناه أنه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الوجه الحق.

٣. وقيل إنه على التشبيه والتمثيل ويدل على ذلك الرواية الأخرى ولفظها: «فكأننا رأينا في اليقظة»^(١).

٤. وقيل معناه أن يراه يقظة في الآخرة، وهذا بشارة لرأيه في النوم بأنه سيموت مسلماً، لأنه لا يراه تلك الرؤيا الخاصة باعتبار القرب إلا من تحقق موته على الإسلام. ومعنى ذلك أنها رؤية خاصة في الآخرة على سبيل القرب منه ﷺ وهذا الوجه والذي قبله أقرب الوجوه إلى الصواب.

وأما استدلال بعض أهل البدع به على أن النبي ﷺ يمكن أن يرى في الدنيا فهذا باطل من أوجه عدة منها:

١ - أنه مستحيل شرعاً لمعارضته النصوص. كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢) وهو أيضاً مخالف لإجماع الأمة التي أجمعت على وفاته ﷺ. ولا يرد على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وما ورد عنه ﷺ من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلم عليه. فإن هذه الحياة حياة برزخية تختلف عن

(١) رواه مسلم: ح (٦٠٥٧).

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٠.

الحياة الدنيا في خصائصها وصفاتها ولذلك يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص، ولا تقاس على الحياة الدنيا بأي حال من الأحوال.

ثم إن حمل هذا الحديث على رؤيته يقظة في الدنيا بعد وفاته يلزم منه ادعاء الكذب على رسول الله ﷺ وهذا مستحيل لأنه معصوم عن الكذب. وبيان ذلك: أن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» فعلق الجواب على الشرط، ومن المعلوم أن جمعا كثيرا من سلف الأمة وخلفها قد رأوه في المنام ولم يذكر أحد منهم أنه رآه في اليقظة. وخبر الصادق ﷺ لا يتخلف^(١).

٢- أنه مستحيل عقلا لأنه يلزم منه لوازم باطلة مثل أن يخرج ويراه الناس وأن يقود أمته في كل المواطن كما كان في حياته ﷺ وأن يجاهد في سبيل الله وأن يفصل بين الأمة في المسائل المتنازع عليها والحوادث التي وقعت لأمرته من بعده طالما أنه حي حياة تامة.

إذ لو صح ذلك لكان حل النبي ﷺ لمشاكل أمته التي حدثت من بعده وجمع كلمتهم أولى من أن يظهر لأناس في مجالس بدعية جمعوا فيها من فنون الشرك والبدع ما نهى عنه وحذر منه.

فكيف يحضر مجالسهم التي بهذه الصفة ويترك الصحابة والأمة من بعدهم

(١) انظر: فتح الباري: ١٢/ ٣٨٥، و«التيجانية» (ص: ١٣٠) وما بعدها.

يواجهون الفتن بأنفسهم وهم أحوج ما يكونون إليه لو كان حيا.

قال الإمام القرطبي^(١): «وهذا القول يدرك فسادَه بأوائل العقول ويلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي توفي عليها، ويلزم عليه ألا يراه رائيان في وقت واحد في مكانين ويلزم عليه أن يحيا الآن، ويخرج من قبره ويمشي في الناس ويخاطبهم ويخاطبونه، كحالته الأولى التي كان عليها، ويخلو قبره عنه وعن جسده، فلا يبقى فيه شيء فيزار غير حدث، ويسلم على غائب؛ لأنه يُرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يسوء بالتزام شيء منها من له أدنى مسكة من المعقول، وملتزم شيء من ذلك مختلٌ مخبول»^(٢).

ثم إن هذا الحديث لو صح دليلا على دعواهم لتطرقت إليه الاحتمالات السابقة والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وأيضا فإن رؤية النبي ﷺ بعد موته في اللحظة هي من الأمور الاعتقادية التي لا تثبت إلا بدليل صحيح سالم من المعارضة. وهذا الدليل محتمل لوجوه متعددة ومعارض

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي ويعرف بابن المزين، وهو شيخ القرطبي المفسر. ومن تصانيفه: المفهم لما أشكل من شرح صحيح مسلم، واختصار صحيح البخاري، وغيرها، المتوفى (٦٥٦هـ). (انظر: نفح الطيب ٢/ ٦١٥، والديباج المذهب (ص: ٦٨-٧٠).

(٢) المفهم: ٢٢-٢٣.

بنصوص صريحة قطعية من القرآن والسنة تثبت موته ﷺ^(١).

قال ابن تيمية: «والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه: إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه. وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم. ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه وصاحبه. ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد.... وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين، لكن كثير من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به يظنه أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه. ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضلّه الشيطان»^(٢).

وقال الشيخ عبد الحي بن محمد اللكنوي رَحِمَهُ اللهُ فِي «الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»: (ومنها - أي من القصص المختلقة الموضوعة - ما يذكرونه من أن النبي (يخضر بنفسه في مجالس وعظ مولده عند ذكر مولده وبنوا عليه القيام عند ذكر المولد تعظيماً وإكراماً. وهذا أيضاً من الأباطيل لم يثبت ذلك

(١) انظر: التيجانية (ص: ١٣١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٢٧ / ٣٩١ - ٣٩٣.

بدليل، ومجرد الاحتمال والإمكان خارج عن حد البيان^(١).

وقال الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمته الله في «حكم الاحتفال بالمولد النبوي»^(٢):
(بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد؛ ولهذا يقومون له محيين ومرحيين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة، كما قال الله تعالى في سورة المؤمنون^(٣): ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِثُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿، وقال النبي ﷺ: «أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر. وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»^(٤) عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

قال ابن حزم في «مراتب الإجماع»^(٥): (واتفقوا أن محمداً ﷺ وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس).

(١) (ص: ٤٦).

(٢) (ص: ٤٦).

(٣) آية: ١٥-١٦.

(٤) رواه أبو داود: ح (٤٦٧٥) وابن ماجه: ح (٤٣٠٨) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(صحيح سنن أبي داود: ٣/١٣٨).

(٥) (ص: ١٧٦).

إذا تبين لنا هذا علمنا أن ما تدعيه الصوفية من حياة النبي ﷺ ورؤيتهم له يقظة هو محض خرافة، يكذبها العقل والواقع والتاريخ وأن ما بنوه على أساس هذه الخرافة باطل، وأن هذا من تلاعب الشياطين بهم لأنهم ليسوا على الطريقة الشرعية في عقائدهم وعبادتهم، وإلا لو كان هذا صحيحا لحصل لأفضل الخلق بعده ﷺ وهم صحابته، لكنهم لما كانوا على الصراط المستقيم لم تطمع الشياطين في إضلالهم بمثل هذه الخرافات والبدع^(١).

(١) ولزيد من الفائدة انظر كتاب «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً» للشيخ صادق سليم صادق (ص ٤٠٥-٤٣٠) وكتاب «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» للشيخ محمد أحمد لوح (٢/ ٣٦-٥٢)، وكتاب «خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء» تأليف الصادق بن محمد بن إبراهيم، وكتاب «رؤيا الرسول ﷺ يقظة ومناماً ضوابطها وشروطها» للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد. وفتاوى الإمام محمد رشيد رضا، المجلد الخامس ص ١٨٤٥، وما بعدها.

المبحث الثالث: الدفاع عنه ﷺ بأنه يعلم الغيب:

تعتقد الرافضة والصوفية أن النبي ﷺ يعلم الغيب، وكتبهم تنضح وتفور بهذا الاعتقاد الباطل. وقد اجتهدوا في تلفيق الشبهات في الدفاع عنه ثم رتبوا على ذلك جواز سؤاله والاستغاثة به، نسأل الله السلامة والعافية.

ومعلوم - من الدين بالضرورة - أن علم الغيب من خصائص الله وحده فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عما هو دونها.

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلية، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾^(٣).

والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أنهم أفضل الخلق وأحبهم إلى الله ﷻ،

(١) [النمل: ٦٥].

(٢) [الكهف: ٢٦].

(٣) [الرعد: ٩].

وقد خصهم الله بمزايا كثيرة وأكرمهم بمعجزات عديدة لم يدع أحد منهم علم الغيب، بل جميعهم كانوا يتبرؤون من ذلك، ويردون علم الغيب إلى الله ﷻ، فنوح ﷺ قال لقومه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾^(١). وقال تعالى عن هود ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾^(٢)، وأما الملائكة ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٣). ورسولنا محمد ﷺ وهو سيد الرسل والأنبياء أجمعين، ينفي عن نفسه معرفة العيب، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنَّ رِثَةٌ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَدَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٦).

(١) [هود: ٣١].

(٢) [الأحقاف: ٢٣].

(٣) [البقرة: ٣٢].

(٤) [الأنعام: ٥٠].

(٥) [الأحقاف: ٩].

(٦) [الأعراف: ١٨٨].

وفي الحديث الصحيح عن النبي أنه قال: «يُزَادُ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقَالُ لِي إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾»^(١).

وعن مسروق قال: «كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، وذكرت منها: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾»^(٢).

وفي الخبر أن جارية تغت بقله: «وفينا نبي يعلم ما في غد، فسمعها النبي ﷺ فقال لها: «لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين»»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة أن النبي ﷺ قال له: «في خمس لا يعلمهن إلا الله، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾»^(٤) الآية.

(١) آية: ١١٧ من سورة المائدة، والحديث رواه البخاري: ح (٤٣٤٩) ومسلم: ح (٧٣٨٠).

(٢) آية: ٦٥ من النمل، والحديث رواه البخاري: ح (٤٥٧٤) ومسلم: ح (٤٥٧).

(٣) رواه البخاري: ح (٣٧٧٩).

(٤) آية: ٣٤ من سورة لقمان، والحديث رواه البخاري: ح (٤٤٩٩) ومسلم: ح (١٠٦).

فهذه الآيات والأحاديث ومثلها كثير جدًا وردت في الباب تدل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب مع أنه أفضل الخلق وسيد الرسل فغيره من باب أولى وهو ﷺ لا يعلم من ذلك إلا ما علمه إياه سبحانه، ولما ضاع عقد عائشة رضي الله عنها في بعض أسفاره ﷺ بعث جماعة في طلبه ولم يعلم مكانه حتى أقاموا البعير فوجدوه تحته والأدلة من الكتاب والسنة في هذا كثيرة والحمد لله.

وبالرجوع إلى السنة الصحيحة والسيرة الثابتة يتضح أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب، ولم يكن يعلم من خلف الباب حينما يطرق للاستئذان للدخول عليه. بل إن الكلب دخل بيته، مما سبب منع دخول جبريل عليه السلام، وهو لا يدري عنه. وكانت تحدث بعض الأمور للصحابة لا يعلم عنها، مثل زواج عبدالرحمن بن عوف، وموت المرأة التي كانت تقم المسجد. إلى غير ذلك من الأحداث الكثيرة التي لا يسع المجال لذكرها. فإذا كان هذا في حياته ﷺ، فكيف وهو في القبر ﷺ.

وعلى الرغم من هذه الأدلة القاطعة الواضحة، عن عدم علم الرسول ﷺ بالغيب، نجد من ينسب إلى الرسول ﷺ معرفة الغيب ويستدلون على ذلك بالاستثناء الوارد في قوله ﷺ: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(١) وليس في ذلك حجة لأحد؛ لأن المراد بالغيب

هنا ما يتعلق بالوحي خاصة.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: فإن بعض من لم يرسخ في الإيمان، كان يظن ذلك، حتى كان يرى أن صحة النبوة تستلزم اطلاع النبي ﷺ على جميع المغيبات، كما وقع في المغازي لابن إسحاق^(١): أن ناقة النبي ﷺ ضلت، فقال زيد بن لصيت^(٢) يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة؟ فقال النبي ﷺ: «إن رجلا يقول كذا وكذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا، قد حبستها شجرة»، فذهبوا فجاءوه بها. فأعلم النبي ﷺ أنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَن آتَتْهُ مِن رُّسُولٍ﴾^(٣).

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار القرشي المطلبي مولاهم، العلامة الحافظ الأخباري صاحب السيرة النبوية، وقال الشافعي رحمته الله: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. توفي سنة ١٥٠ هـ، وقيل: غير ذلك. (طبقات ابن سعد: ٣٢١ / ٧، وسير أعلام النبلاء: ٣٣ / ٧).

(٢) زيد بن لصيت بصاد مهملة وآخره مثناة وزن عظيم، قال الذهبي في تاريخ الإسلام ص (٣٩، ٤٠): ومن أظهر الإيمان من اليهود وناق بعد... وذكر منهم زيد بن لصيت. وذكره في الإصابة (٣٣ / ٤) من الصحابة من القسم الأول، وكذا ابن الأثير في أسد الغابة (٢ / ٢٩٨).

(٣) فتح الباري (٣٦٤ / ١٣)، وأخرجها كاملة الواقدي في المغازي (٤٢٣ / ٢ - ٤٢٥)، =

إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما ذكر في القرآن أن عيسى عليه السلام كان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١) وأن يوسف عليه السلام كان ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي إليهم. والذي حدث لرسولنا ﷺ منه الكثير، مثل ما مر علينا قبل قليل من خبر الناقة وغيره كل ذلك من باب المعجزات، فكما جاء في الآية السابقة على لسان عيسى عليه السلام نفسه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فالآية هي المعجزة. وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

= والطبري في تاريخه (٣/ ١٠٥، ١٠٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٥٩، ٦٠)،
و(٥/ ٢٣١، ٢٣٢).

(١) [آل عمران: ٤٩].

المبحث الرابع: الدفاع عنه ﷺ بجواز التوسل بذاته وبجاهه الشريف:

ومن البدع التي أحدثها الصوفية التوسل بالنبي ﷺ بذاته وبجاهه أو الإقسام على الله به. ويدخلون في هذا التوسل الاستغاثة به وطلب الحاجات منه. وهذه البدعة أخذت شكلاً علمياً لدى الصوفية لكثرة ما كتب فيها من مؤلفات ورسائل. لكن جوهر الحقيقة هو أنهم يريدون أن يظهروا أمام الناس بمظهر المتمسك بأدلة الشرع، لذا نراهم يحرصون على جلب الأدلة وسوقها حتى يتسنى لهم إثبات مشروعية هذا النوع من التوسل بالنبي ﷺ ومن ثم يدخلون فيه كل ألوان الشرك كالاستغاثات والتضرع وطلب الحاجات وغير ذلك.

وتارةً يقولون: بجاه فلان عندك، أو يقولون: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك أن تغفر لنا وترزقنا وتحفظنا إلى آخر ما يدعو به الصوفية في أيامهم، ومرادهم لأن فلاناً عندك ذوو جاهة وشرف ومنزلة.

ثم إن لهم من وراء ذلك مقصداً آخر وهو أنهم يجوزون الشرك بالأولياء والصالحين تحت اسم التوسل بهم، طالما ثبت التوسل بالنبي ﷺ فلا مانع أن يتعدى ذلك إلى الأولياء من بعده. وإذا سألتهم عن الدافع إلى ذلك قالوا ما هو إلا محبة النبي ﷺ وأولياء الله الصالحين وتعظيمهم ومعرفة حقوقهم إلخ.

وقبل الكلام على التوسل بالرسول ﷺ، أود أن أبين أن التوسل بالنبي ﷺ ينقسم إلى قسمين:

١ - توسل مشروع.

٢ - توسل غير مشروع.

أما التوسل المشروع: يقصد به التوسل بالإيمان برسول الله ﷺ وطاعته، والتوسل بدعائه ﷺ وشفاعته. فهذا النوع من التوسل إما أن يكون في حياته ﷺ في الدنيا، وإما في الآخرة لما يبعثه الله من قبره حياً.

كما كان الصحابة يفعلونه في حياته ﷺ من طلب الدعاء منه، والاستغفار لهم، وطلب السقيا لهم. وما يكون في حياة الآخرة بطلب الخلق منه ﷺ أن يشفع لهم عند ربهم لفصل القضاء بين العباد. وأما بعد وفاته وقبل بعثه ﷺ فلا يجوز بحال من الأحوال، إذ ليس على ذلك دليل صحيح كما سيأتي بيانه.

وأما التوسل غير المشروع: يقصد به التوسل بذات النبي ﷺ، وسؤال الله بجاه نبيه، والإقسام على الله به. وهذا النوع غير مشروع لفقدان الدليل على مشروعيته، فلم ترد به سنة صحيحة ولم يكن الصحابة يفعلونه لا في حياته ﷺ ولا بعد موته، لا عند قبره ولا في أي مكان آخر. ولم ينقل ذلك عنهم بوجه صحيح يعتمد عليه عند أهل العلم. بل الثابت عنهم أنهم عدلوا عنه إلى غيره،



كما فعل عمر مع العباس رضي الله عنه.

وهذا التوسل غير المشروع هو مقصود غالب المتأخرين بالتوسل بالنبي ﷺ، ويعتقدون أنه من أفضل القربات، وأنه دليل على حب النبي ﷺ والصالحين. وهو أول ما يعولون على إثباته والمنافحة عنه، والرد على مانعيه، والتشنيع عليهم، حتى يسلم لهم ما أرادوا من تعميم التوسل بالأنبياء والصالحين.

إن هذا التوسل ينقسم من حيث الحكم عليه إلى قسمين:

القسم الأول: توسل بدعي:

وذلك كالتوسل بذات النبي ﷺ، وبجأه، أو الإقسام على الله به. وذلك كأن يقول القائل مثلاً: اللهم أتوسل إليك بنبيك، أو اللهم بجاء نبيك اغفر لي.

وأما القسم فمثل قول القائل: اللهم بنبيك أو بحق نبيك اشفني أو اقض حوائجي.

ووجه كونه بدعة: أن الرسول ﷺ لم يأمر به، ولم يدع الناس إليه، ولم يعده من القربات، كما جعله المتأخرون من الصوفية ومن تابعهم من أعظم القربات. كما أن الصحابة لم يتوسلوا إلى الله بهذا النوع من التوسل ولا التابعين

ولا تابعيهم... بل الثابت عنهم هو عدولهم عنه إلى التوسل المشروع، فلما لم يرد له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا عمل الصحابة والتابعون به. دل على عدم مشروعيته وابتداعه.

هذا من حيث الإجمال. أما من حيث التفصيل، فإن السؤال بالنبي ﷺ والتوسل بذاته وجاهه غير جائز. لأنه وإن كان مبنياً على أن للأنياء جاهاً ومكانة عند الله - وهذا صحيح - إلا أن الله لم يجعل ذلك الجاه سبباً مناسباً لإجابة دعاء من توسل به. وإنما جعل الله الإيمان بهم وحبهم واتباعهم سبباً لإجابة الدعاء، بخلاف السؤال والتوسل بذواتهم وجاههم.

وأما القسم على الله بالرسول ﷺ أو بحقه فهذا مما لا يجوز شرعاً. لأنه قسم بالمخلوق على الخالق ﷻ.

والقسم على المخلوق بمخلوق مثله لا يجوز. فكيف يجوز ذلك في حق الخالق سبحانه^(١).

وإذا تبين هذا فلا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه أو بالإقسام على الله به لما يفضي إليه القول بجوازه من الغلو الذي نها الله ورسوله عنه، وسدّاً لذريعة الشرك المترتب عليه. ذلك أن عامة من جوزوه لم يقفوا عند التوسل به

(١) انظر «القاعدة الجلية» (ص: ١٠٩-١١٠).

ﷺ بل تعدوا ذلك إلى الاستغاثة به وطلبوا منه ما لا يجوز طلبه إلا من الله إلى غير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى الشرك. ويسمون كل هذا توسلاً!! ومما ينبغي التنبيه إليه أننا حين نوضح بطلان هذا النوع من التوسل لا يعني أننا ننفي الجاه والمكانة السامية لرسول الله ﷺ. كلا. إن جاهه عليه الصلاة والسلام أعظم من جاه الأنبياء والمرسلين، وحديث الشفاعة يبين هذا ويوضحه^(١).

القسم الثاني: التوسل الشركي:

وذلك كطلب الحاجات منه ﷺ ودعائه لكشف الضر أو رفع الشدة وبث الشكوى إليه، إلى غير ذلك من ألوان الشرك الذي حرمه الله ورسوله. وكون هذا النوع شركاً أمر واضح، فإنه لو طلب من الرسول ﷺ في حياته ما لا يقدر عليه إلا الله لكان هذا شركاً، فكيف وهم يطلبون منه ذلك بعد موته، وينشدون في ذلك الأشعار ويسوقون الحكايات والأخبار، وينعتون كل موحد بالجفاء للنبي ﷺ وآله الأخيار. وتسمية هذا النوع بالتوسل هو من باب الإيهام والخداع فإنه لا يسمى إلا شركاً أكبر.

فإن المانعين للتوسل لا يمنعون مطلق التعظيم ولا يحكمون على فاعله

(١) انظر: صحيح البخاري: ح (٧٠٠٢) وصحيح مسلم: ح (٤٩٥).

بالكفر والإشراك، إنما يمنعون التعظيم الذي يتضمن عبادة غير الله أو نهى الله عنه ورسوله، أو التعظيم المحدث الذي لا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة، وإنما يحكمون بالكفر والشرك على من عظم تعظيماً يتضمن شيئاً من موجبات الكفر والشرك، وأما التعظيم الذي هو ثابت بالكتاب والسنة فهو عين الإيمان.

والصوفية يوردون شبهات كثيرة متنوعة على جواز التوسل بالنبي ﷺ توسلاً بدعياً وشركياً ليوهموا أتباعهم أنهم بذلك على الحق وأنهم أحب إلى رسول الله ﷺ وأقرب من غيرهم، ولكن المقام لا يسمح لعرضها ومناقشتها^(١).

وأكثر ما يستدلون به الحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعة والآثار الواهية لا تصلح للاحتجاج بها وهي غالب اعتمادهم. وأما الآيات القرآنية^(٢)

(١) فليراجع الكتب التي ألفها العلماء في هذا الموضوع، وهي كثيرة متداولة، وعلى سبيل المثال كتاب «الرد على البكري» لابن تيمية و«الصارم المنكي» لابن عبد الهادي و«هذه مفاهيمنا» للمعالي الشيخ صالح آل الشيخ.

(٢) كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾

[الإسراء: ٥٧].



Prophet of Mercy



تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة والجفاة في الدفاع عن النبي ﷺ

والأحاديث الصحيحة^(١) فهي لا تدل على ما ذهبوا إليه من جواز التوسل بذات النبي ﷺ بعد موته.

(١) كحديث توسل عمر بن الخطاب بالعباس ؓ في البخاري: ح (٣٥٠٧)، وقصة توسل الرجل الضرير بالنبي ﷺ الذي رواه أحمد في المسند: ح (١٧٢٧٩)، وابن ماجه: ح (١٣٨٥)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ح (١٩٣٠)، إذ هذا وذاك توسلٌ بدعائه في حياته ﷺ.

المبحث الخامس: الدفاع عنه ﷺ بجواز دعائه والاستغاثة به.
إن من الغلو الباطل في حق النبي ﷺ دعاؤه والاستغاثة به من دون الله
وذلك كطلب الحاجات منه ﷺ ودعائه لكشف الضر أو رفع الشدة وبث
الشكوى إليه، إلى غير ذلك من ألوان الشرك الذي حرمه الله ورسوله. وهو لا
يقل قداحة عن أولئك الذين يتنقصون من قدره ﷺ.

ولكن الرافضة والصوفية يسمونها توسلاً، وتسمية هذا النوع بالتوسل هو
من باب الإيهام والخداع فإنه لا يسمى إلا شركاً أكبر.

وفي المولد الذي ألفه ابن حجر الهيتمي من الشرك قوله: «ولا غاية
لاستيعابه - أي خصائصه ﷺ - وسيرة سيدنا ومولانا وذخرنا وملاذنا
وملجئنا وممدنا ومنقذنا ومكملنا وناصحنا»^(١)، فإذا كان ﷺ هو الملاذ والملجأ
فأين الله؟!

ويقول آخر: «إن مفاتيح الكون كلها في يد رسول الله ﷺ وهو مالك
الكل وإنه النائب الأكبر للقادر وهو الذي يملك كلمة كن»^(٢).

وقال أيضاً: «إن رسول الله ﷺ هو المبرئ من السقم والآلام والكاشف

(١) انظر: «مولد النبي ﷺ» لابن حجر الهيتمي (ص: ٣٣).

(٢) انظر: «الاستمداد على أجيال الارتداد» للبريلوي (ص: ٣٢).

عن الأمة كل خطب، وهو المحيي وهو الدافع للمعضلات والنافع للخلق والرافع للرتب وهو الحافظ والناصر وهو دافع البلاء وهو الذي برد على الخليل النار وهو الذي يهب ويعطي وحكمه نافذ وأمره جار في الكونين^(١) فماذا أبقى لله ؟!!!

والأمثلة على هذا كثيرة في كلامهم منها قول أحدهم:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي * يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصير يا عمدتي يا مجيري * يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي * عند ربي واعطف وجد بالرضاء
أنت غوثي وملجئي وغياثي * وجلا كربتي وأنت غناي^(٢)
وقال آخر:

يا رسول الله إني ضعيف * فاشفني أنت مقعد للشفاء^(٣)
وقال ثالث:

سيدي أبا البتول أغثنني * أنت أدري بما حواه الضمير^(٤)!!!

(١) انظر: المرجع السابق (ص: ٣٥٢).

(٢) انظر «شواهد الحق» للنبهاني (ص: ٣٥٥) نقلا عن «الشرك في القديم والحديث» لمحمد زكريا: ٨٩٣/٢.

(٣) انظر المصدر السابق: (ص: ٣٥٢).

(٤) انظر المرجع السابق: (ص: ٣٦٢).

ويقول صاحب البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألؤذبه * سواك عند حلول الحادث العمم^(١)
فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة، والمحادة لله ورسوله.
وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، خصوصاً ممن يدعي العلم
والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات، فإننا لله
وإننا إليه راجعون.

إن المقالات الشريكية التي تنحو هذا المنحى كثيرة^(٢) وهي من مخلفات عصور
الانحطاط، مع أن القرآن قد ردّ هذه المزاعم، ونورد هنا بعض الآيات التي تبين
بطلان ما يعتقده هؤلاء:

لقد بين الله سبحانه في القرآن:

١. أنه هو الذي ينجي من كل كرب فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ
كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾^(٣).

(١) انظر «ديوان البوصيري»: (ص: ٢٤٨).

(٢) انظر بيان الكثير من هذه الشريكات في كتاب «الشرك بين القديم والحديث»: ٨٩٣/٢ وما بعدها.

(٣) [الأنعام: ٦٤].



٢. وأن النعم كلها منه سبحانه فقال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئُرُونَ﴾^(١).

٣. وأنه هو كاشف الضر فقال: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

٤. وأن كل ما سوى الله لا يملك مثقال ذرة فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ﴾^(٣).

٥. وأمر نبيه أن يبين أن الإضرار والإرشاد بيد الله وحده ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾^(٤) قلّ إني لن تحميني من الله أحدٌ ولن أجد من دونه ملتحداً^(٥) والمعنى كما يقول ابن كثير: «أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إلى الله ﷻ ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد أي لو عصيته فإنه

(١) [النحل: ٥٣].

(٢) [الأنعام: ١٧].

(٣) [سبأ: ٢٢].

(٤) [الجن: ٢١، ٢٢].

لا يقدر أحد على إنقاضي من عذابه»^(١).

ويلاحظ بجلاء من الآيات مقدار التشنيع والتقريع والتوبيخ لمن يدعو مع الله غيره ويرجوه، ولمن دعا الله في الضراء والكرب فلما نجاه مما هو فيه إذا به يشرك مع الله غيره، فكيف بمن يدعو غير الله في كلتا الحالتين الضراء والسرء أليس أتعس حالاً.

٦. كما بين سبحانه بأنه القادر وحده والمالك وحده والمجيب دعوة المطر وكاشف السوء وأن من يضيفي هذه الصفات على غيره سبحانه يكون مشركاً ويكون قد اتخذ إلهاً من دون الله يقول سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

٧. وأن الله هو الخالق البارئ الذي بيده مقاليد السموات والأرض وأن الأمر كله له ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

(١) انظر «تفسير ابن كثير»: ٥٥٥ / ٤.

(٢) [النمل: ٦٢].

(٣) [آل عمران: ١٥٤].

(٤) [هود: ١٢٣].

٨. وبين ﷺ لأصحابه أنه لا يغيث أحدا وإنما المغيث لكل مستغيث به هو الله وحده لا شريك له، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: «كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم لبعض: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي ﷺ إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»^(١).

«قال أهل العلم: فمراد الصحابة الاستغاثة به ﷺ فيما يقدر عليه بكف المنافق عن أذاهم بنحو ضربه أو زجره لا للاستغاثة به ﷺ فيما لا يقدر عليه. والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلى التأديب مع الله في الألفاظ لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدر عليها يزجره أو ينهره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ، والحماية منه لجناب التوحيد، وتعظيم الله تبارك وتعالى.

فإذا كان هذا كلامه ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره من الأمور المهمة التي لا يقدر عليها إلا الله؟ كما هو جار على السنة

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/١٥٩)، وقال الهيثمي:

«ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهو صالح للاعتضاد، ودلّ على معناه الكتاب والسنة».

(الاستغاثة، ص: ١٥٢).

كثير من الشعراء وغيرهم؟

ومن هنا يتضح لنا جلياً أن الاستغاثة بغير الله شرك بالله، بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة^(١) ولأن من خصائص الألوهية إفراد الله بسؤال ذلك^(٢). اهـ.

وهذه البدعة أخذت شكلاً علمياً وعملياً لدى الرافضة والصوفية لكثرة ما كتب فيها من مؤلفات ورسائل التي تبث بالشبهات المضلّة. لكن جوهر الحقيقة هو أنهم يريدون أن يظهروا أمام الناس بمظهر المتمسك بأدلة الشرع، لذا نراهم يحرصون على جلب الأدلة وسوقها حتى يتسنى لهم إثبات مشروعية كل ألوان الشرك كالأستغاثات والتضرع وطلب الحاجات وغير ذلك.

(١) كما قال ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. [رواه أبو داود: ح (١٤٨١) والترمذي: ح (٢٩٦٩) وابن ماجه: ح (٣٨٢٨). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح].

(٢) من شرح كتاب «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٢٠٦).

الفصل الثاني

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الجفاة

التمهيد: النهي عن الجفاء به ﷺ.

وقد كثر الجفاء في زماننا هذا بكثرة المارقين والمنهزمين من الكتاب والأدباء الذين سودوا الصحائف بالاستهزاء بتعاليم الإسلام وقيمته وربما بالتطاول على مقام النبوة. كما عزف كثير من المسلمين عن مطالعة سيرة النبي ﷺ ومذاكرة سنته وكثرة الصلاة والسلام عليه، مما أدى إلى الجفاء في حق النبي ﷺ وعدم توقيره. هذا كله ضرب من المخاطر العظيمة في شأن المحبة، بل في شأن الإيثار بنبوة الرسول ﷺ.

والأمثلة على ذلك مسموعة من الأدباء والإذاعات، ومقروءة في الصحف والمجلات، ومشهودة في التلفزيون وحديث المجتمعات، بلا تحديد بالأمكنة ولا الأوقات.

ويمكن أن نذكر بعضاً من صور الجفاء، فمنها: البعد عن السنة باطنياً وظاهراً، فترك سنن النبي عليه الصلاة والسلام ضرب من الجفاء ومجانبة محبته عليه الصلاة والسلام، ولذلك ليست المحبة ادعاءً؛ إذ كثير من أحوالنا ظاهراً

وباطناً فيها مخالفة للرسول، فكيف لا نشعر أن في هذا نقصاً لمحبتنا للرسول عليه الصلاة والسلام؟ وكذلك رد الأحاديث الثابتة والصحيحة، وهذا ضرب كبير من الجفاء.

ومن أعظم الهجر والجفاء لمحبة النبي ﷺ الابتداء، فكل مبتدع يتلبس ببدعة يخالف بها سنة النبي ﷺ، وهذا ضرب من الجفاء، كأن النبي ﷺ يقول له: افعَل وهو يفعل غيره ونقيضه.

وكذا وعدم معرفة قدر الصحابة وذمهم هو ضرب من الجفاء، فكيف تدعي حب الرسول ﷺ ثم تذم أصحابه الذين كانوا عن يمينه ويساره الذين فدوه بأرواحهم، وجعلوا صدورهم دروعاً تتلقى السهام ليزودوا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؟! كيف يمكن لأحد أن يدعي محبته وهو يظن أو يتهم أو يشنع على أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين؟ كل هذا ضرب من الهجران والجفاء الذي هو من أشد وأفظع ما يرتكبه مسلم في بعده عن دين الله ﷻ، وعن مقتضى هدي رسول الله ﷺ.

وأشدّ جفاءً وتفريطاً في حقوقه ﷺ نسبته إلى ما لا يليق بمقام النبوة كالطعن في صدقه أو أمانته وعدالته. وذلك كصنيع ذي الخويصرة التميمي الذي طعن في قسمة رسول الله ﷺ للغنائم كما روي ذلك البخاري بسنده عن

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمه أتاه ذوالخوبصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل فقال: ويلك. ومن يعدل إذ لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»....^(١) الحديث.

ويشبه هذا الصنيع صنيع المنافقين ومن انطمت بصائرهم فلم يعرفوا للنبي ﷺ قدره ولم يحفظوا حرمة. ومما يلحق بالجفاء عدم التأدب في الحديث والكلام عن النبي ﷺ كصنيع بعض الشعراء والكتّاب في تشبيه بعض الولاة والحكام أو وصفهم بصفات الرسول ﷺ الخاصة به. كقول المعري مثلاً^(٢):

لولا انقطاع الوحي بعد محمد * قلنا محمد عن أبيه بديل

(١) رواه البخاري: ح (٣٤١٤) ومسلم: ح (١٠٦٤).

(٢) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المقلب بالمعري. من أعلام الشعراء غير أنه كان زائع الاعتقاد متشككا يميل إلى الزهد الفلسفي وكان متقلبا فتارة يكون موحداً وأخرى يكون ملحداً. المتوفى سنة (٤٤٩هـ). (انظر: البداية والنهاية: ١٢/ ٧٢-٧٦، ولسان الميزان لابن حجر: ١/ ٢٠٣-٢٠٨).

هو مثله في الفضل إلا أنه * لم يأت به برسالة جبريل^(١)
وقد نقل القاضي عياض أمثلة من هذا القبيل من أقوال بعض الجفاة
والمنافقين^(٢).

ففي القرآن آيات كثيرة في النهي عن الجفاء به ﷺ منها:

١. قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٣)
«ففي هذه الآية نهى من الله أن يدعوا رسول الله ﷺ بغلظ وجفاء، وأمرهم أن
يدعوه بلين وتواضع»^(٤).

وروى الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيرها فقال: «أمرهم أن يدعوه
يارسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد، في تجهم»^(٥).
وعن قتادة قال: «أمرهم أن يفخموه ويشرفوه»^(٦).

(١) هذان البيتان من قصيدة للمعري يمدح بها رجلا من العلويين. (انظر «سقط الزند»
(ص: ١٤٢).

(٢) انظر الشفاء: ٢/ ٢٣٨-٢٤٧.

(٣) [النور: ٦٣].

(٤) تفسير الطبري: (١٨/ ١٧٧).

(٥) تفسير الطبري: (١٨/ ١٧٧).

(٦) تفسير الطبري: (١٨/ ١٧٧).



٢. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۚ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾^(١).

وقال الحلبي عند تعليقه على هذه الآية: «والمعنى لا تقدموا قولاً أو فعلاً بين يدي قول رسول الله ﷺ وفعله فيما سبيله أن تأخذه عنه من أمر دين أو دنيا، بل أخرجوا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله ﷺ في ذلك بما يراه فإنكم إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله ﷻ إذ كان رسوله لا يقضي إلا عنه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: احذروا عقابه بتقديمكم بين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن الله بوحى متلو أو بوحى غير متلو ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله ﷺ، أو تأتونه اقتداء به واتباعاً له، عليم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك فهو

(١) [الحجرات: ١-٥].

يحييكم بما سمعه ويعلمه منكم»^(١).

ومن المخالفة في هذا الباب رفع أراء بعض البشر وأقوالهم ومذاهبهم على سنة النبي ﷺ، ومحاولة إسكات صوت السنة والداعين إليها وفي هذا من الإيذاء والجفاء ما هو أكبر بكثير من مجرد رفع الصوت عند النبي ﷺ.

٣. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(٢).

«ففي هذه الآية حرم الله على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده لأن ذلك يؤذيه وجعله عظيماً عند الله تعظيماً لحرمة ﷺ، فحرم تعالى على الأمة ما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضاً، وذلك تمييزاً لنبية ﷺ وتعظيماً لشأنه»^(٣).

٤. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ يا رسول الله راعنا، وذلك من المراعاة أي: راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها: ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الأذية للنبي ﷺ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن هذه الكلمة؛ لاشارك معناها بين ما قصده

(١) «المنهاج في شعب الإيمان»: ١٢٧/٢.

(٢) [الأحزاب: ٥٣].

(٣) «الصارم المسلول» (ص: ٥٩).

المسلمون وقصده اليهود، فالنهي سدًا للذريعة، وأمروا أن يقولوا؛ انظرونا، لخلوّه عن ذلك الاحتمال المذموم، فهو من النظر والانتظار، وقيل: إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير ﴿وَأَسْمَعُوا^٥﴾ عطف على قولوا، لا على معمولها. ولا معنى: الأمر بالطاعة والانقياد

فنهى الله المؤمنين أن يقولوا لنبيه ﷺ: ﴿رَاعِنَا﴾ لما فيها من احتمال معنى: ارعنا نرعاك على سبيل المقابلة كما يقال حادثنا وجالسنا، نحادثك ونجالسك. فكأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم. بل حقه ﷺ أن يرعى على كل حال، أو يكون معناها: ارعنا معك حتى نفهمك وتفهم عنا وكلا المعنيين فيه جفاء لا يليق بمقام النبوة. وقيل نهوا عن ذلك لما فيه من التشبه باليهود لأنهم كانوا يورون بهذه الكلمة عن الرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعاً للذريعة، ومنعاً للتشبه بهم في قولهم.

٥. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ^٦﴾.

قال الحلبي: «فأعلمهم أن نفس الرسول ﷺ أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عما لا يصرف نفسه

(١) [التوبة: ١٢٠].

عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر أو طول طريق أو عوز ماء أو قلة زاد بل يلزمهم متابعتة ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه وفي هذا أعظم البيان لمن عقل وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره^(١). وقد أجمعت الأمة على توقير وإكرام وتعظيم رسول الله ﷺ وبرّه، وحرّم الله تعالى إيذاؤه.

كما أجمعت الأمة على قتل مَنْ سَبَّه من المسلمين، أو نال منه، وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣) وقد دلت هذه الآية على وجوب توقير النبي ﷺ وتجنب ما يؤذيه.

والخلاصة أن من صور الجفاء:

- رد خبره وأي تعظيم أو توقير للنبي ﷺ لدى من شك في خبره، أو

(١) «المنهاج في شعب الإيمان»: (٢/ ١٢٦) نقلا من «حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة»: (٢/ ٤٣٦).

(٢) [الأحزاب: ٥٧].

(٣) [التوبة: ٦١]. وقد تقدم في التمهيد ذكر شيء من أدلة وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه



استنكف عن طاعته، أو ارتكب مخالفته، أو ابتدع في دينه وعبد الله من غير طريقه.

- التقصير في معرفته أو معرفة سيرته وهديه أو فهم سنته أو الإخلال في تطبيقها غلواً أو جفاء.
- التعرض بسوء للمؤمنين الصادقين من آل البيت! وأعجب منه سب صحابته والنيل من أزواجه الطاهرات!
- وأكبر منها الإساءة إلى ذات النبي ﷺ، والجرأة على نقده ولمز شريعته في ديار المسلمين!! واستبدال شريعته بقوانين البشر، أو يهزأ من هديه، أو يتعالى على سنته؟!

المبحث الأول: الدفاع مع ترك طاعته ﷺ.

إن الغضب العارم الذي اجتاح العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها علي الذين استهزأوا بالمصطفى ﷺ يجعلنا نتساءل: أين نحن من طاعة المصطفى ﷺ، لقد تفرقت الأمة إلى فرق وجماعات، كل حزب بما لديهم فرحون، والرسول ﷺ حذرنا من الفرقة، كما أخرج ابن ماجه: عن عوف بن مالك ؓ أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار».

قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة»^(١).

فإن التوحد الذي حدث للأمة الإسلامية أمام أعدائها دفاعاً عن المصطفى ﷺ يجعلنا ندعو جميع المسلمين في جميع البلدان الإسلامية إلى نبذ الفرقة والخلافات، والاجتماع على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، بفهم سلف الأمة ؓ، وأن نلتف حول العلماء الرافعين لواء التوحيد والسنة.

وأما طاعة النبي ﷺ فهي مقتضى الشهادة بأن محمداً رسول الله، ولازم من لوازمها؛ إذ معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقاً: «طاعته فيما أمر، وتصديقه

(١) رواه أبو داود: ح (١٢٩٩) وابن ماجه: ح (٣٩٩٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن أبي داود: ٣/ ١١٥).

فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع»^(١).

وهذا كمال التعظيم، وغاية التوقير. وأي تعظيم أو توقير للنبي ﷺ لدى من شك في خبره، أو استنكف عن طاعته، أو ابتدع في دينه وعبد الله من غير طريقه؟! ولذا اشتد نكير الله تعالى على من سلكوا في العبادة سبيلاً لم يشرعها، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٢).

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٣)، أي مردود عليه.

وبرهان الدفاع الصادق هو تعظيم ما جاء به النبي ﷺ من الشريعة التي جاءت في الكتاب والسنة كما فهمها سلف الأمة، وذلك باتباعها والتزامها قلباً وقالباً، وتحكيمها في كل مناحي الحياة وشؤونها الخاصة والعامة؛ ومحال أن يتم الإيمان بدون ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

فإن هذا هو مقتضى الدفاع الحقيقي والتوقير الصادق؛ إذ العبرة بالحقائق

(١) من عبارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتيبه النفيس المفيد «الأصول الثلاثة».

(٢) [الشورى: ٢١].

(٣) رواه البخاري: ح (٢٥٥٠) ومسلم: ح (٤٥٩٠).

(٤) [النور: ٤٧].

لا بالمظاهر والأشكال الجوفاء، ولذا قدم الله ﷻ هذا الأدب العظيم على سائر الآداب الواجبة مع النبي ﷺ، فنهى عن التقدم بين يديه بأمر دون أمره أو قول دون قوله، بل يكونون تبعاً لأمره متقادين له مجتنبين نهيه، فقال في أول سورة الحجرات: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَأَنْقُوا لِلَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ومن التقدم بين يديه: تقديم القوانين والتشريعات البشرية على شريعته، أو تفضيل حكم غيره على حكمه أو مساواته به، أو التزام منهج مخالف لهديه وسنته: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

وأسعد الناس خطأ بسنته وأقربهم إلى الشرب من حوضه: أهل السنة والجماعة، فهم من أحيوا سنته واتبعوا شريعته وهدية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وإنما تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن الله وطاعتهم فيما أمروا به ومتابعتهم ومحبتهم وموالاتهم لا التكذيب بما أرسلوا به والإشراك بهم والغلو فيهم بل هذا كفر بهم وطعن فيهم

(١) [الحجرات: ١].

(٢) [النساء: ٦٥].

ومعاداة لهم»^(١).

«فالاتباع هو المحك الذي يميز من خلاله مدى صدق مدعي التعظيم في دعواه، إذ كيف يعقل أو يتخيل أن يدعي شخص تعظيم النبي وتوقيره وهو لا يلتزم بما جاء به من أمر أو نهي، ولا يقيم وزناً ولا اعتباراً لما جاء به.

ولقد جعل الله الإتيان هو برهان محبته سبحانه حيث قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وجعله كذلك شرطاً للإيمان الذي يعد تعظيم النبي ﷺ جزءاً منه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣).

فالاتباع صفة من صفات أهل الإيمان كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ

(١) المصدر نفسه (ص: ١٨).

(٢) [آل عمران: ٣١].

(٣) [النساء: ٦٥].

(٤) [النور: ٥١].

وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ^(١)

فهل الموقر لرسول الله ﷺ إلا من تمسك بسنته واعتصم بها وسار على نهجه واقتفى أثره^(٢).

وقد سطر الصحابة أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الدفاع رسول الله وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره. كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣).

فمن أحب ودافع عن سيد ولد آدم فليُعَظَّم أقاله وسُنَّته أكثر من تعظيمه لقول من سواه من البشر. فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقرًا في القلب مسطوراً فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتماً لا محالة.

وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لماله من الحق

(١) [الأحزاب: ٣٦].

(٢) «حقوق النبي ﷺ على أمته»: ٢/ ٤٧٥.

(٣) [الحشر: ٨].



والتكريم. وبرهان التعظيم الصادق هو تعظيم ما جاء به النبي ﷺ من الشريعة المتضمنة في الكتاب والسنة كما فهمها سلف الأمة، وذلك باتباعها والتزامها قلباً وقالباً، وتحكيمها في كل مناحي الحياة وشؤونها الخاصة والعامة؛ ومحال أن يتم الإيمان بدون ذلك.

المبحث الثاني: الدفاع بوضع الأحاديث المكدوبة عليه.

نشأة الوضع:

بعد أن كانت السنة صافية نقية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، اندس في الأمة أهل المصالح والأهواء والزنادقة والحاقدون على الإسلام. وبعد أن تسببوا في الفتنة الكبرى التي انتهت بمقتل عثمان رضي الله عنه وما لحق ذلك من حروب فرقت وحدة الأمة، ظهرت الفرق والتحزبات، وسعى أهل كل فرقة لنصرة آراءهم، فوضعوا الأحاديث لتأييد آراءهم. وبهذا نشأ الوضع في الحديث، فوضعت الأحاديث في فضائل الأشخاص والبلدان وغيرها.

أسباب الوضع:

نشأت حركة وضع الأحاديث المكدوبة على الرسول ﷺ لأسباب عديدة وغايات مختلفة وأغراض متباينة، منها إفساد الدين كما وقع من بعض الزنادقة، والعصبية المذهبية، والأحوال السياسية، والإغراب لقصد الاشتهار، والتقرب إلى الله بوضع الأحاديث بزعمهم، وما وضع للتكسب به كالقصاص، ومن ذلك أيضاً ما وقع خطأ من بعض المغفلين من الصوفية، وضعفاء الحفظ، ممن لا عناية لهم بالحديث.

«لم تكن حركة وضع الأحاديث المكدوبة على رسول الله ﷺ حركة



ارتجالية عفوية في كل الأحيان، إنها تطورت إلى حركة مدروسة هادفة، وخطئة شاملة، لها خطرهما وآثارها. كان من نتائجها المباشرة على العديد من أجيال المسلمين في العديد من أقطارهم، شيوع ما لا يحصى من الآراء الغريبة، والقواعد الفقهية الشاذة، والعقائد الزائفة، والافتراضات النظرية المضحكة، التي أيدتها، وتعاملت بها، وروجت لها، فرق وطوائف معينة، لبست مسوح الدروشة والتصوف حيناً، والفلسفة حيناً، والعباد والزهاد أحياناً. وجافت في غالب أحوالها السلوك السوي، والفكر والعقل السليم، فضلاً عن مجافاتها الصارخة لكتاب الله العظيم، وهدى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام^(١) اهـ.

ومن طرق أهل الباطل نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين الناس. والمقصود بالأحاديث الموضوعة هي الأحاديث المكذوبة على الرسول عليه الصلاة والسلام، ينشرونها بين الناس لأنها تحمل معاني باطلة فاسدة. وهم يعرفون أن المسلمين يحبون سنة الرسول ﷺ، ويحبون التعرف عليها فيضعون بعض الأحاديث وينسبونها للرسول ﷺ فإذا سمعها عوام المسلمين قالوا هذا قاله الرسول إذاً هذا حق وهو في الحقيقة والواقع أمر مكذوب على الرسول ﷺ لا أصل له وهم لا يكذبون على الرسول ﷺ فقط، بل يوردون بعض

(١) مقدمة محقق «موضوعات ابن الجوزي»: ١٠ / ١.

الأكاذيب على علماء المسلمين الذين هم قدوة للأمة من أجل أن ينشروا ذلك الباطل فينسبون بعض الباطل إلى بعض علماء الأمة المقتدى بهم من أجل أن ينتشر الباطل ويظهر بين الناس.

وكانت فرقة الشيعة أسبق الفرق إلى الوضع وأكثرها جرأة عليه. وأما الخوارج، فهم أقل الفرق كذبا لاعتقادهم بكفر مرتكب الكبيرة. ومن الفرق الأخرى التي وضعت الأحاديث لنصرة أفكارها: القدرية، والمرجئة والصوفية وغيرهم.

وأسبق الناس إلى وضع الأحاديث والافتراء والكذب على رسول الله ﷺ صنفان:

أولاً: الرافضة.

إن الرافضة قوم كذبوا على الله وحرفوا كتابه وكذبوا على الرسول ﷺ بوضع الأحاديث المكذوبة عليه وكذلك فعلوا مع صحابته الكرام كفروهم، وكذلك مع زوجات الرسول الكريم طعنوا فيهن واتهموهن بالفحش والعياذ بالله، ولهم كثير من الأقوال الكفرية، فهم أهل كذب وبهتان وأهل زور وطغيان وأهل زندقة وإلحاد.

إن هذا المذهب قد ابتلي بشرذمة من الكذابين الذين لا يتورعون عن أي

كذب، فهم كذبوا على رسول الله ﷺ بوضع الأحاديث.

إن من وطن نفسه على الكذب لا يهمه إن كذب على الله وعلى رسوله وعلى الناس فالكلّ عنده على حد سواء لاسيما إن كان مراده التضليل والتشكيك فيستحل كل حرام في سبيل الوصول إلى ما يبتغي ويريد وليس للقيم عنده أقل اعتبار ما دام أنه يسعى لتحقيق ما خططه أو ما خطط له!!؟ وعند هؤلاء قاعدة يعتمدون عليها في كل ما يفعلون ألا وهي: «الغاية تبرر الوسيلة» فكل وسيلة مهما كانت فهي في نظرهم مشروعة! إذا كانت تحقق لهم أغراضهم وتوصلهم إلى أهدافهم ومراميهم.

ويكفيك أن تعرف مثلاً أن أعظم كتاب عندهم، يعني الشيعة، وهو أصول الكافي يقولون بأن فيه آلاف الأحاديث المكذوبة^(١).

وإذا كان هذا حال أعظم كتاب عندهم فما كمية الكذب في بقية كتب الشيعة؟ وكيف يوثق بمثل هذه الكتب الممتلئة بالكذب؟

وذكر ابن تيمية إن أول من وضع الأحاديث المكذوبة في السفر لزيارة المشاهد (أضرحة الأئمة والأولياء) هم أهل البدع الرافضة الذين يعطلون

(١) هذا قول أحد الراوفاض المعاصر التيجاني في كتابه «فاسألوا أهل الذكر» (ص: ٣٤)، فقد شهد شاهد من أهلها.

المساجد ويعظمون المشاهد: يتركون بيوت الله التي أمر أن يُذكر فيها اسمه، ويعظمون المشاهد التي يُشرك عندها به، والكتاب والسنة جاءا بتعظيم المساجد لا المشاهد.

وقد عمد المجوس من الفرس وهم الأكثرية إلى تشويه التاريخ الاسلامي، ودس الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ، وعملوا على تجريح أعلام الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان ؓ أجمعين، وراحوا يجسمون الفتن التي وقعت بين الصحابة أو التابعين، وبدأت آثار هذه الأحاديث الموضوعة تظهر على أحداث الفتنة، وأرادوا من وراء ذلك أن يقدموا التاريخ الاسلامي للبشرية على أنه فتن وحروب وسفك دماء.

وإذا رجعنا إلى الكتب التي تتحدث عن الفتنة نجد مجموعة من رواة الأحاديث منهم:

أبو مخنف لوط بن يحيى، والواقدي، ومحمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام بن محمد بن السائب الكلبي، فهؤلاء الأربعة ترجع إليهم معظم روايات الفتنة المشكوك فيها.

فهؤلاء الأربعة من الأئمة الأخيار عند الشيعة، وتمتلى كتب الشيعة بمدحهم والثناء عليهم.

وهذه الطائفة تُعدّ من أخطر الطوائف، ومن منطلق التعصب لمذهبهم قامت الشيعة بوضع الأحاديث المكدوبة على رسول الله ﷺ، والروايات المفتراة على الصحابة، خاصة في أحداث الفتنة، وقد كان لهذا الأمر رواجاً كبيراً؛ نظراً لقوة شوكة الشيعة في ذلك الوقت، كما تعصبوا بشدة لفارس، وخلطوا في أمور كثيرة، بل أدخلوا على الإسلام كثيراً من العقائد المجوسية.

ثانياً: الصوفية.

لما ظهرت طوائف الابتداع كالصوفية الغلاة أظهروا فتنة عظيمة فتنوا بها الناس ألا هي: إظهار تعظيم الرسول ﷺ بالأقوال، وهجر اتباعه بالأفعال، فخالفوا أمر رسول الله ﷺ، وطريقة أصحابه الكرام الخلفاء الراشدين فمن بعدهم.

اعلم أن من أصول المتصوفة وعلاماتهم نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص الخرافية والعمل بها ومن أصولهم تصحيح الأحاديث الموضوعة بالكشف والمنامات والعمل بهذه الوسوس والأحلام، والصوفية في خطبهم ومواعظهم لا تكاد تسمع منهم حديثاً صحيحاً وإذا ما أوردوا حديثاً صحيحاً وهذا نادر فإنهم إما يبترونه أو لا يحفظونه أو يستدلون به في غير محله وإنما اعتمادهم على الأحاديث المكدوبة والغرائب والخرافات وتوظيفها لتسويق

العقائد الفاسدة والشرك والبدعة.

وأدخل أولئك المتصوفة من الأحاديث المكذوبة والموضوعة ما لا يكاد يحصى عن قلة علم وجهل بالحديث، أو عن قصد عمد، وأشيعت في الناس وانتشرت حتى هجرت السنن الصحيحة واتبعت الأحاديث المردودة، وهم معترفون بأنهم لا يعرفون الحديث ومخارجه، ولا صحيحه من بهرجه، ومن نظر في كتب القوم وجد ذلك جلياً.

خاصةً عندما تجرأ البعض على تأليف كتب عن المولد النبوي، ثم وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ! تأييداً لذلك.

يقول عبد الله الغماري -أحد كبار الصوفية المعاصرين-: «... وكتب المولد النبوي ملأى بهذه الموضوعات، وأصبحت عقيدةً راسخةً في أذهان العامة»^(١).

فإن الأحاديث المكذوبة كثيرة وبعض المنتسبين إلى العلم قد صنف في هذه المسألة وما يشبهها مصنفاً ذكر فيه من الكذب على رسول الله ﷺ وعلى الصحابة ألواناً يغتر بها الجاهلون. وهو لم يتعمد الكذب؛ بل هو محب للرسول ﷺ معظم له لكن لا خبرة له بالتمييز بين الصدق والكذب فإذا وجد بعض

(١) انظر مقالة عبد الله الصديق الغماري بذيّل «قصيدة البردة» للبوصيري (ص: ٧٥).

المصنفين في فضائل البقاع وغيرها قد نسب حديثا إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة اعتقده صحيحا وبنى عليه ويكون ذلك الحديث ضعيفا بل كذبا عند أهل المعرفة بسنته ﷺ.

فقد استبدلت الصوفية قراءة «دلائل الخيرات» بقراءة كتاب الله. وفي «دلائل الخيرات» ما فيه من افتراءات وأكاذيب على لسان رسول الله ﷺ والسلف الصالح وقد حثي بالأحاديث الموضوعة والمكذبة. وكذلك ما يسمى «روض الرياحين» و«الروض الفائق»، و«مجالس العرائس»، و«مولد ابن حجر».

فقد استغنى معشر الصوفية بهذه الكتب الضارة التي جمعت بين الغث والموضوع والبدع والتشجيع عليها بوضع الأحاديث لها. وتركوا كتب الحديث المعتمدة كـ «الصحيحين» و«السنن» و«الموطأ» و«المسند» وغيرها من دواوين الإسلام الحديثية الزاخرة بسنة المصطفى ﷺ.

فالْحَذَرُ أخي المسلم من قراءة تلك الكتب المسمومة الكاذبة أو شرائها. وعليك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخذها من مصادرها المعتمدة وهي دواوين الحديث المشهورة كـ «الصحيحين» و«السنن» و«المسانيد» و«المصنفات» و«الموطآت» وغيرها من كتب الحديث المعتمدة. فإنها تغنيك عن كل الكتب المسمومة.

ومن الكتب النافعة في هذا المجال «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» لابن القيم و«الأذكار» للنووي و«رياض الصالحين» له أيضاً؛ و«الكلم الطيب» لابن تيمية رحمهم الله جميعاً^(١).

الوعيد الشديد على من كذب على رسول الله ﷺ:

وقد اتفق العلماء على عدم الأخذ بالأحاديث الموضوعة على رسول الله ﷺ، وعدم اعتبارها، لا في فضائل الأعمال ولا غيرها؛ لأنها ليست من الشرع، وكذلك لما ورد في ذلك من الآثار.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقال ﷺ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَى لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٤)، وقال ﷺ: «لا تكذبوا على فإنه من كذب على فليلج النار»^(٥).

(١) انظر «الحوار مع الصوفية»، (ص: ١٣).

(٢) [الاسراء: ٣٦].

(٣) [البقرة: ١٦٩].

(٤) رواه البخاري: ح (١٢٢٩) ومسلم في المقدمة: ح (٥).

(٥) رواه البخاري: ح (١٠٦) ومسلم في المقدمة: ح (٢).

وقد شدّد العلماء في النكير على ذلك:

قال الشافعي: «إذا كان الحديث عندك كذباً فحدثت به فأنت أحد الكاذبين»^(١).

وقال النووي: «تحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال رواية وضعه فهو داخل في هذا الوعيد، مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ ويدل عليه الحديث «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»^(٢).

وقال الشيخ أبو محمد الجويني الشافعي: «يكفر من تعمد الكذب على الرسول ﷺ ولو لم يستحلّه، والجمهور على أنه لا يكفر بذلك، ولكنه يفسق وتردّ رواياته كلها، ويبطل الاحتجاج بجميعها»^(٣).

فكثير من البدع التي أحدثت، قد اعتمد محدثوها على أحاديث ضعيفة بل أكثرها موضوع، كالذين اخترعوا أذكراً وأدعية خاصة لبعض الشهور،

(١) «جامع الترمذي»: (عقب الحديث رقم: ٢٦٦٢).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي: ١/ ٧١.

(٣) يراجع: شرح النووي على صحيح مسلم: (١/ ٦٩).

وتخصيص بعض الشهور بالصيام أو العمرة، والتوسيع على أهل البيت في عاشوراء والاحتفال فيه والاختضاب، وغير ذلك من البدع التي انتشرت في كثير من بلاد المسلمين.

ومن دعا إلى بدع معتمداً على الأحاديث الموضوعة مع علمه بأنها موضوعة، فهذا من أصحاب الهوى المتبعين للمتشابه، القاصدين هدم الإسلام ومحاربة أهله، والتشويش على الناس في دينهم متخذين في ذلك أساليب مُقنَّعة، ومن ثم تركهم للسنان ثم الواجبات، مكتفين بما أحدث من هذه البدع^(١).

ومن روى الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ فهو شريك من اختلقها في الكذب، قال الرسول ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»^(٢). فمن كان يعلم حديثاً مكذوباً على الرسول ﷺ وهو يرويه فعليه من الإثم والوعيد بالعذاب مثل إثم من اختلقه وربما أشد، إذا تسبب في نشر باطل ورد حق، فما بالك بمن يؤلف الكتب لعدة أزمنة وربما إلى قيام الساعة، وهي تحمل الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ، فكيف بمن يؤصل بها أمور الشرك والخرافة؟ فمن هنا تعلم الخطر الجسيم الذي ارتكبه

(١) انظر «البدع الحولية» (ص: ٥٢).

(٢) رواه مسلم في المقدمة: ح (١).



الرافضة والصوفية حيث إنهم جعلوا منطلق تعاليمهم قائماً على الكذب على الرسول ﷺ، وعلى كلّ لابد من بيان الأحاديث المكذوبة ممن يذكرها وإلا فهو غاش للأمة.

المبحث الثالث: الدفاع مع بغض آل بيته ﷺ الأبطال.

لقد شاع وذاع بين كثير من الناس أن مذهب أهل البيت هو التشيع المقيت والرفض الخبيث، فولدت هذه الإشاعات بغض الهاشميين في نفوس الناس. وهذا فهم خاطئ وسقيم فيه استنقاص أهل البيت وتشويههم وكأنهم دعاة بدع وخرافات. والواقع يثبت خلاف هذا؛ فأهل البيت انتشروا في شتى بقاع الدنيا، وتفرقوا في المذاهب ولم يدخل مذهب التشيع والرفض إلا قلة قليلة منهم والذي يتعرف على العلماء من أهل السنة والجماعة يعرف أن منهم هاشميون يدافعون عن الدين ويحاربون البدع والمبتدعين، والضلالات والمضلين، ومن تعرّف أيضاً على مراكز أهل السنة التي يدرس فيها العلم الشرعي في اليمن؛ علم أن فيها مشائخ ودعاة إلى الله، وطلبة علم هاشميون نشروا العلم، وهدى الله على أيديهم أناس كثير ولله الحمد^(١).

فأهل البيت ليس لهم مذهب معين فقد سأل أبو جحيفة أمير المؤمنين علياً عليه السلام: هل عندكم شيء ما ليس في القرآن - وقال مرة ما ليس عند الناس - فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن - إلا فهماً يعطى رجل في

(١) انظر «وجوب الاعتدال في محبة الرسول والصحاب والآل» ليحيى بن محمد بن قاسم

كتابه - وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر»^(١).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله عن أهل البيت: ...وقد تفرقوا في البسيطة، وسكنوا الأقاليم المتباعدة، وتمذهب كل واحد منهم بمذهب أهل بلده،...^(٢).

ومن لوازم الدفاع عن النبي ﷺ توقيره وتعظيمه ﷺ في آل بيته ﷺ وأجمعين ورعاية وصيته بهم بمعرفة فضلهم ومنزلتهم وشرفهم بقربهم من النبي ﷺ زيادة على إيمانهم، وبحفظ حقوقهم والقيام بها، فهم أشرف آل على وجه الأرض، وأزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٣)، وقد أوجب الله الصلاة عليهم تبعاً للصلاة على النبي ﷺ في التشهد في الصلاة.

وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾^(٤). وروى مرفوع: «ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي

(١) رواه البخاري: ح (٦٥٠٧).

(٢) «نيل الأوطار»: ١/ ٢٢٤.

(٣) [الأحزاب: ٣٣].

(٤) [الأحزاب: ٦].

فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ومن أصول أهل السنة والجماعة - أنهم -... يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»^(٢).

وقال أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قریش يجفون بني هاشم فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم الله ولقرايتي»^(٣).

وقال: «إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»^(٤).

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في

(١) رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: ٤ / ١٢٢ (٦٣٧٨).

(٢) «العقيدة الواسطية»: (ص: ٤٢).

(٣) جزء من الحديث السابق.

(٤) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة: ٢ / ٩٣٤ (١٧٩٢).

(٥) رواه مسلم من حديث وائلة بن الأسقع رضي الله عنه: ٤ / ٥٨ (٦٠٧٧).



الآخرة خصوصا خديجة عليها السلام أم أكثر أولاده أول من آمن به وعاضده على أمره
وكان لها منه المنزلة العالية والصديقة بنت الصديق عليه السلام التي قال النبي ﷺ:
«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١).

ولكن وجد في صفوف المسلمين من يأخذ من الدين ما يشاء ويترك ما
يشاء فلا يعمل بالدين كله وقد وجد أيضا من يتصف بصفات الجاهلية في باب
الطعن في الأنساب.

لقد تضمنت سورة الأحزاب كثيرا من الأمور التي أكرم الله بها أزواج
النبي ﷺ مجازاة لهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار
الآخرة والمقام هنا لا يسمح بالتوسع في ذكر هذه الأمور، وإنما المقصود تبين
ما لهن من مكانة عند الله وعند رسوله ﷺ. فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه
المكانة، وذلك بأن نتولاهن، وأن نشني عليهن بما ورد من فضائلهن وما كان لهن
من دور في مؤازرة النبي ﷺ ونصرته، وما كان لهن من دور بعد وفاته في حفظ
مسائل الدين ونشرها بين الأمة.

وكذلك أهل البيت يتولاهم جميع المؤمنين ويحبونهم لا كما يزعم الروافض

(١) رواه البخاري: ١٢٥٢/٣ (٣٢٣٠) ومسلم: ١٣٢/٤ (٦٤٢٥) من حديث أبي موسى

الأشعري رحمته الله.

أنهم المخصوصون بحب أهل البيت وحدهم أن غيرهم هم الذين ظلموهم، فالحقيقة أن الروافض هم الذين ظلموا أهل البيت ظلماً لا نظير له فهم الذين خذلوهم وغروهم، وتسببوا في رد كثير من روايات أهل البيت بسبب ما اشتهر عن أولئك الروافض من الكذب على آل البيت.

وإضافة إلى ذلك فإن الروافض يحصرون محبتهم في نفر قليل من أهل البيت مع أن الصالحين من أهل البيت الذين تبغضهم الروافض وتذمهم أكثر عدداً من الذين يتظاهرون بحبهم.

ومن زعم أن العباس وابنه عبد الله ﷺ لم ينالا شرف صحبة رسول الله ﷺ هو من الجفاء في بعض أهل البيت من أصحابه ﷺ.

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأبعد الناس عن هذه الوصية -يعني وصية الرسول ﷺ في أهل بيته- الرافضة؛ فإنهم يُعادون العباس وذريته، بل يعادون جمهور أهل البيت ويُعينون الكفار عليهم»^(١).

أقوال العلماء في وجوب محبة أهل بيت النبوة.

١. قال عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن حسن بن الحسين: «إذا كان لك حاجة فاكتب لي بها فإني أستحيي من الله أن يراك على باب داري ما على ظهر

(١) «مجموع الفتاوى»: (٤/٤١٩).

الأرض أهل بيت أحب إلي منكم ولأنتم أحب إلي من أهل بيتي»^(١).

وقال لفاطمة بنت علي عليها السلام: «يا ابنة علي والله ما على ظهر الأرض أهل

بيت أحب إلي منكم ولأنتم أحب إلي من أهلي»^(٢).

٢. وقال القاضي عياض رحمته الله وهو يحكي علامات محبة النبي ﷺ:

«ومنها محبته لمن أحب النبي - ﷺ من هو بسببه من أهل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئاً أحب من يحب»^(٣). اهـ.

٣. قال الإمام الأجري رحمته الله: «واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل

بيت رسول الله ﷺ بنو هاشم علي بن أبي طالب وولده وذريته وفاطمة وولدها وذريتها والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما وجعفر الطيار وولده وذريته وحمزة وولده وذريته والعباس وولده وذريته ﷺ هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ واجب على المسلمين محبتهم وإكرامهم واحتمالهم وحسن مداراتهم والصبر عليهم والدعاء لهم فمن أحسن من أولادهم وذرياتهم فقد تخلق بأخلاق سلفه الكرام

(١) رواه بن سعد في الطبقات الكبرى (٣٣٣-٣٣٤).

(٢) «المصدر نفسه» (٣٨٧-٣٨٨).

(٣) «الشفاء» (٢/٢٦).

الأخيار الأبرار ومن تخلق منهم بما لا يحسن من الأخلاق دعي له بالصلاح والصيانة والسلامة وعاشره أهل العقل والأدب بأحسن المعاشرة...»^(١) اهـ.

٤. وقال الإمام القرطبي رحمه الله عن حديث رسول الله ﷺ «أذكركم الله في أهل بيتي...»^(٢) «وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ وبأنهم جزء منه فإنهم أصوله التي نشأ عنها وفروعه التي نشئوا عنه كما قال: «فاطمة بضعة مني»^(٣).

٥. وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الدالة على فضل أهل البيت: «وفي هذه الأحاديث الحث الأكيد على مودتهم ومزيد الإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة كيف وهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية كما كان سلفهم...»^(٤) اهـ.

(١) «الشرعة»: ٣/٣

(٢) تقدم تخريجه في بداية المطلب.

(٣) «المفهم»: ٦/٣٠٣-٣٠٤، والحديث رواه البخاري: ح (٣٥١٠) ومسلم: ح (٦٤٦١).

(٤) «الصواعق المحرقة» (ص: ٣٤٢).

المبحث الرابع: الدفاع مع سب أصحابه ﷺ الأبرار.

ومن لوازم الدفاع عن النبي ﷺ توقيره في سائر صحبه ﷺ جميعاً فإنهم خيرة الناس بعد الأنبياء، وخيرة الله لصحبة نبيه، وهم حماة المصطفى ﷺ والأمناء على دينه وسنته وأمته، وذلك بمعرفة فضلهم، ورعاية حقوقهم، فإن الطعن فيهم أو تنقصهم عنوان الزندقة.

ولكن توجد الطائفة المخذولة - تدعي الدفاع عن الرسول ﷺ وتتسبب إلى هذه الأمة - تتقرب إلى الله وتجعل تعبدهم من دعاءهم وأذكارهم الطعن والسب والشتم واللعن والتكفير لخيار صحابة رسول الله ﷺ، وهم الرافضة المرفوضة.

وكتبهم مليئة باللعن والتفكير لمن ﷺ ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد.

وقد أصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية.

ولكن إذا نظرنا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ - نجد فيهما بالعكس تماماً - بل هما مليئان بالثناء على الصحابة وبيان فضائلهم ﷺ أجمعين.

«واعلم أن أحاديث فضائل الصحابة رضي الله عنهم كثيرة مستفيضة قد بلغت حد التواتر، والثناء على صحابة رسول الله ﷺ قد جاء في مواضع عديدة من كتاب الله وَعَلَيْكَ، وجاء في السنة من طرق متواترة مستفيضة، وجاء من طرق الإجماع، فإن الأمة أجمعت على أن الصحابة أفضل الأمة، وأنهم خير القرون رضي الله عنهم، ففضائلهم منشورة، كما أنه يدل على فضلهم العقل، فإنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء حيث اصطفاهم الله وَعَلَيْكَ لصحبة خير الخلق وخاتم الرسل وسيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ، ففضائلهم ثابتة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع وبالعقل».

«فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ غُلٌّ عَلَى خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ النَّبِيِّينَ، بَلْ قَدْ فَضَّلَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِخَصْلَةٍ، قِيلَ لِلْيَهُودِ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُوسَى، وَقِيلَ لِلنَّصَارَى: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ فَقَالُوا: أَصْحَابُ عِيسَى، وَقِيلَ لِلرَّافِضَةِ: مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ فَقَالُوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ يَسْتَنْوُوا مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ، وَفِي مَن سَبُّهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَنْوَاهُمْ بِأَضْعَافٍ مَضَاعِفَةٍ»^(١).

ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، ونشر حسناتهم وفضائلهم وحميد

(١) «شرح الطحاوية»: (ص: ٤٦٩).

سيرتهم، والإمساك عما شجر بينهم، وعدم ذكر أحد منهم بسوء، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة، وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم.

ولا تتم محبة رسول الله ﷺ إلا بمحبة صحابته ومعرفة فضلهم والثناء عليهم بما هم أهل له ولا يتم الدفاع عن الرسول ﷺ إلا بالدفاع عنهم وصون حرمتهم.

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسط بين الإفراط والتفريط فليسوا من المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى ما لا يليق إلا بالله أو برسله. وليسوا من المفرطين الجافين الذين يتقصونهم ويسبونهم فهم وسط بين الغلاة والجفاة. ويحبونهم جميعاً وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم، فألستهم رتبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم، وقلوبهم عامرة بحبهم، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون إما مصييون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطئهم مغفور، وليسوا معصومين، بل هم بشر يصييون ويخطئون، ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم ولهم من الله المغفرة والرضوان.

ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يحيئون بعدهم أبد الأبدين.

ولقد أثنى ربهم عليهم أحسن الثناء ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ووعدهم المغفرة والأجر العظيم فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهم فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزِعٍ أُخْرِجَ شَطْفُهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم فقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٢).

وأمر النبي ﷺ بالعتف عنهم والاستغفار لهم وبمشاورتهم تطيباً لقلوبهم فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣).

(١) [الفتح: ٢٩].

(٢) [الفتح: ١٨].

(٣) [آل عمران: ١٥٩].

ونذب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غل
للذين آمنوا فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ونذب الله ﷻ إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك
لسبيلهم والافتداء بهم، فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾^(٢) الآية.

وأثنى رسول الله ﷺ عليهم أنهم خير أمة التي هي خير الأمم فقال
ﷺ: «خير الناس قرني»^(٣).

وقال ﷺ: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم»^(٤).

ونهاها نبينا ﷺ عن سبهم «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن
أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٥).

(١) [الحشر: ١٠].

(٢) [النساء: ١١٥].

(٣) رواه البخاري: ح (٦٠٦٥) ومسلم: ح (٦٦٣٥).

(٤) رواه مسلم: ح (٦٦٣٦).

(٥) رواه البخاري: ٣/ ١٣٤٣ (٣٤٧٠) ومسلم: ٤/ ١٨٨ (٦٦٥٢) من حديث أبي سعيد=

وقال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) في كتابه «السنة»^(١): «ومن السنّة ذكرُ محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلّهم أجمعين، والكفّ عن الذي جرى بينهم، فمن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدعٌ رافضيٌّ، حُبُّهم سنّةٌ والدعاءُ لهم قرينةٌ والافتداءُ بهم وسيلةٌ والأخذُ بآثارهم فضيلةٌ».

وقال: «لا يجوز لأحدٍ أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحدٍ منهم فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ثمّ يستتيه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلّده في الحبس حتى يتوب ويراجع».

وقال أبو زرعة الرازي (٢٦٤هـ): «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة»^(٢).

=الخدري ﷺ.

(١) (ص: ٧٧-٧٨).

(٢) رواه عنه الخطيب البغدادي في كتابه «الكفاية» (ص: ٤٩).

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي (٣٢٢هـ) في عقيدته السنية: «ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ ولا نفرط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُّهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ».

فهذه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال علماء الأمة الدالة على فضل أولئك الأخيار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وشرفهم بحمل رسالته من بعده والدعوة إلى سبيله ونصرة دينه. فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله ﷺ قال النووي: «الصحابة كلهم عدول من لا بس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به»^(١).

وقال ابن حجر: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»^(٢).

(١) «فتح القريب شرح التقريب»: (ص: ٢٠٥).

(٢) «الإصابة»: (١٧/١).

المبحث الخامس: الدفاع مع تنقصه ﷺ أو تفضيل غيره من البشر عليه.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ تَفْضِيلَ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ جَفَاءَ فِيهِمْ. وعند كثيرين من الفئات التي تعتقد في الأولياء، مثل الباطنية والرافضة وغلاة الصوفية يعتقدون أنَّ أفضل المقامات مقام الولي، يليه الدرجة الثانية مقام النبي، يليه مقام الرسول، وفيها يقول قائلهم:

مقام النبوة في برزخ... فُوقَ الرسولِ ودونَ الولي^(١).

(مقام النبوة في برزخ) يعني هو الوسط.

(فُوقَ الرسول) الرسول تحت النبي مع أنَّ الرسول هو أفضل من النبي،

النبي تحته بقليل يعني بقليل.

(فويق) يعني بينهما شيء يسير.

(ودون الولي) يعني بينه وبين الولي مراتب.

فالأعلى عندهم الولي ثُمَّ بعده النبي ثُمَّ الرسول.

وهذا القول في الترتيب قال به غلاة الصوفية وكما ذكرت لك النقل عنهم،

وقال به أيضاً أئمة مذهب الاثني عشرية كما قال الخميني: «من ضروريات

(١) انظر «طبقات الشعراني»: ٦٨ / ١ طباعة دار العلم للجميع.

مذهبنا أن لا نؤتمن مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل^(١).

يعني أن مقام الأولياء - يعني الأئمة الاثني عشر - أعلى من مقام الأنبياء. وبهذا يظهر بعض تناقض الرافضة والصوفية وتضارب أقوالهم، فمرة يبلغ بهم الغلو إلى أن يزعموا بأن محمداً خلق من نور ولأجله الكون، بل إن إيجاد الكون أقل فضائله - كما مر ذكره -، ثم يصل بهم الجفاء في حقه حتى أشركوا معه الأئمة والأولياء في العصمة، بل يزيدون على ذلك ويجعلون منزلة الأئمة والأولياء فوق منزلة الرسول ﷺ.

وهذا بلا شك طعنٌ في القرآن وطعنٌ في السنة وطعنٌ في الصحابة، وهكذا يبلغ الأمر عند من قاله؛ لأنَّ أفضل هذه الأمة وأحق الناس بأن يكون من الأولياء أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وأرضاه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم العشرة المبشرون بالجنة، وهكذا، فهؤلاء هم الأولياء وهم سادة الأولياء والأصفياء وخير الصحابة (رضي الله عنهم).

وإذا كان النبي؟ فَضَّلَ قرنه فقد فَضَّلَ أبا بكر وَفَضَّلَ عمر.

فكيف يكون واحد من هذه الأمة يأتي ويَزْعُمُ أَنَّهُ أفضل من الصحابة، ثم يَزْعُمُ أَنَّهُ أفضل الأولياء وخاتم الأولياء، ثم يَزْعُمُ أَنَّهُ أفضل من الأنبياء. وفيه

(١) «الحكومة الإسلامية»: (ص: ٥٢).

إسقاط منزلة الصحابة وتحقيرهم، وهذا المسلك سلكوه لكي يتم لهم نشر ضلالتهم بين الأمة بعد أن رفع منزلتهم فوق الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم. لا شك أنَّ هذا القول من صاحبه قد يُحْكَمُ بِكُفْرِ صاحبه؛ بل حَكَمَ كثير من العلماء بكفر من قال هذه المقالة؛ لأنَّها قدح في القرآن وقدح في السنة، ورفع لمقام الولي، وتهجين مقام النبي والرسول، ورفع خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء.

وهذا استهزاء بالنبي ﷺ وقد قال تعالى في الذين استهزءوا به ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ﴾^(١).

والله كافيه عنهم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٢). فله ﷺ المنزلة العالية التي أنزله الله فيها، فهو عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه. وأفضل الخلق على الإطلاق. وهو رسول الله إلى الناس كافة، وإلى جميع الثقيلين الجن والإنس. وهو أفضل الرسل، وخاتم النبيين لا نبي بعده، قد

(١) [التوبة: ٦٥-٦٦].

(٢) [الحجر: ٩٥].



شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وهو صاحب المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(١)، أي المقام الذي يقيمه الله فيه للشفاعة للناس يوم القيامة ليرجيهم ربهم من شدة الموقف، وهو مقام خاص به ﷺ دون غيره من النبيين.

والدليل على أنه أفضل الرسل:

أولاً: أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ^ط قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي^ط قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢).

فهذه الآية نص صريح في أن محمداً ﷺ إمام الأنبياء وأنه يجب عليهم إتباعه، لأن الذي جاء مصدقاً لما معهم هو الرسول عليه الصلاة والسلام، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ^ط﴾^(٣).

(١) [الإسراء: ٧٩].

(٢) [آل عمران: ٨١].

(٣) [المائدة: ٤٨].

كما دلّ على ذلك أيضاً ما أخرج مسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع».

وكذلك حديث الشفاعة الكبرى لأهل الموقف كما جاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: «فيأتونني فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحمد علمنيها ثم أشفع...»^(٢) الحديث.

وأقسم الله بحياته كما في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٣) وهذا يدل على تعظيم الله له ﷺ.

وأثنى الله عليه فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

(١) ح (٢٢٧٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم برقم (١٩٣).

(٣) [الحجر: ٧٢].

(٤) [القلم: ٤].

ورفع الله ذكره على العالمين فقال ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(١)، فلا يُذكر بشر في الدنيا ويثنى عليه كما يُذكر النبي ﷺ ويثنى عليه. وما يدل أيضاً على علومكانته ومنزلته عند الله جلّ في العلى أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ﷺ وأن وملائكته يصلون على النبي ﷺ كما قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

قال ابن كثير في تفسيره^(٣): والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى، بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً. ثم في الآية التي تليها توعد من يؤذي الله ورسوله ﷺ حيث قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٤).

(١) [الشرح: ٤].

(٢) [الأحزاب: ٥٦].

(٣) (٤٥٧/٦).

(٤) [الأحزاب: ٥٧].

وقد غفر الله له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأتم عليه نعمته وهداه
إلوصراط المستقيم ونصره نصراً عزيزاً قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبُتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَهَدَيْكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ۝

وهو ﷺ أعلم الخلق بالله ﷻ وأتقاهم له كما جاء عن عائشة رضي الله عنها
قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا
إنا لسنا كهيئتكم يا رسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول «إن أتقاكم وأعلمكم
بالله أنا»^(١).

وعند مسلم بلفظ «أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم لله»^(٢).
كما أنه ﷺ أحب الخلق إلى الله تعالى فقد اتخذه خليلاً كما جاء عن جندب
رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ
أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ

(١) [الفتح: ١-٣].

(٢) رواه البخاري: ح (٢٠).

(٣) رواه مسلم من حديث عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه: ح (٢٦٤٤).

كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَا تَخَذُتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»^(١).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم

يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»^(٢).

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم

القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»^(٣).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء

بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت

لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»^(٤).

وفي هذه الأحاديث لأخيرة بيان فضائله ﷺ وأنه ﷺ سيد ولد آدم يوم

القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع، وأكثر الأنبياء تبعاً

يوم القيامة، وأول من يقرع باب الجنة... إلخ.

فهل تلك المنازل العالية والمكانة الرفيعة يدانيها أو يصل إلى بعضها أحد

(١) رواه مسلم: ح (١٢١٦).

(٢) رواه مسلم: ح (٦٠٧٩).

(٣) رواه مسلم: ح (٥٠٥).

(٤) رواه مسلم: ح (١١٩٥).

من الأئمة الرافضية وشيوخ المتصوفة؟ «ولقد جمع الله تعالى لنبينا ﷺ من الصفات والخصائص ما لم يجمعه لبشر وافترض على العباد طاعته وتعزيـره وتوقيـره ورعايته والقيام بحقوقه، وامتنال ما قرره في مفهومه ومنطوقه، والصلاة عليه والتسليم، ونشر شريعته بالعلم والتعليم، وجعل الطرق مسدودة عن جنته، إلا من سلك طريقه واعترف بمحبته، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فيا سعد من وفق لذلك ويا ويح من قصر عن هذه المسالك»^(١).

(١) «القول البديع» للسخاوي: (ص: ١١) بتصرف.

الخاتمة

الحمد لله بنعته تتم الصالحات لقد تم هذا البحث المتواضع بعون الله تعالى وتوفيقه، مع أنني أعترف أنه لا يخلو من التقصير الذي هو سمة البشر لأن الكمال لله وحده وأن العصمة لمن عصمه الله من نبي من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. وينطبق على بحثنا هذا ما قيل قديماً أنه لا يكتب إنسان كتاباً إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هنا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على البشر.

ومع أن البحث كله يعتبر نتائج فإنني أسجل خلاصة أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. أن مكانة النبي ﷺ عظيمة عند الله ويجب على المسلمين توقيره وتعظيمه ومحبته ﷺ حياً وميتاً.

٢. أن الدفاع عن النبي ﷺ إنما يكون بطاعته واتباعه ظاهراً وباطناً.

٣. أن المسلم لا بد أن يلتزم بالضوابط الشرعية في الدفاع عن النبي ﷺ.

٤. أن من لوازم الدفاع عن النبي ﷺ الدفاع عن آل بيته وأصحابه والذب عنهم وصونهم.

٥. أن من أهم الأسباب في توقير النبي ﷺ معرفة سيرة النبي ﷺ وأصحابه.

٦. أنه لا معنى للتوقير والدفاع عنه من غلا في النبي ﷺ ورفع فوق منزلته التي أنزلها الله إياها، بل هو ينافي معنى التوقير الحقيقي.

٧. أن العاطفة والمحبة لا يصلحان أن يكونا مصدرًا للتوقير والدفاع عنه ﷺ دون الرجوع إلى الكتاب والسنة والالتزام بهما في هذا المجال.

٨. أن كثيرًا من الأمور التي تفعل حبًا له ﷺ مصدرها أدلة واهية أو منامات أو استحسان بعض العلماء أو قياس مع الفارق أو تأويلات باطلة أو أغراض دنيوية بحتة.

٩. أن كثيرًا من البدع قد انتشرت وخاصة في مجال التأدب مع الرسول ﷺ بسبب سكوت بعض أهل العلم عن إنكارها وبيان حقيقتها حتى انقلب الأمر رأسًا على عقب وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

توصيات:

وفي ختام هذا البحث أسجل بعض التوصيات أوصي بها نفسي والمسلمين عامة والدعاة والمعلمين خاصة:

١. تربية النشء وجيل المستقبل على العقيدة الصحيح والمنهج السلفي في القول والعمل عبر شتى الوسائل التعليمية والدعوية.
 ٢. تربية النشء وجيل المستقبل على محبة الرسول ﷺ وتوقيره وتعظيمه، وتعليمهم سيرته العطرة عبر شتى الوسائل التعليمية والدعوية.
 ٣. تربية النشء وجيل المستقبل على محبة الصحابة وآل البيت وتعريفهم بسيرتهم الحميدة الجميلة عبر شتى الوسائل التعليمية والدعوية.
 ٤. تعليم الأمة المسائل العقدية المتعلقة بشخصية النبي ﷺ والإيمان به عبر شتى الوسائل التعليمية والدعوية.
 ٥. تقويم المفاهيم الخاطئة المتعلقة بشخصية النبي ﷺ والإيمان به عبر شتى الوسائل التعليمية والدعوية.
- والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع.

- (١) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، للإمام أبي بكر شمس الدين ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، بدون رقم وسنة الطباعة.
- (٢) الأدب المفرد، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط / الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- (٣) الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط / الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- (٤) الأصول الثلاثة وأدلتها: لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) مطبعة الكيلاني.
- (٥) الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة (١٩٨٠م)، دار العلم للملايين، بيروت.

- (٦) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية: ليوسف بن إسماعيل النبهاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
- (٧) البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للتوزيع والطباعة.
- (٨) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها. لأبي محمد عبد الله بن أبي حمزة الأندلسي ط/ الثالثة، دار الجليل بيروت ١٩٧٩ م.
- (٩) التاج والإكليل لمختصر الشيخ خليل، لأبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري المتوفى ٨٩٧هـ، الناشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٧هـ.
- (١٠) تاريخ الأمم والملوك، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١١) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ، مكتبة العلوم والحكم ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م، المدينة المنورة.
- (١٢) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- (١٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
- (١٤) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، للدكتور محمد أحمد لوح، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م)، دار الهجرة، الرياض.

(١٥) تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق: لمحمد أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية.

(١٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ)، الطبعة السابعة (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، المكتب الإسلامي، بيروت.

(١٧) التيجانية، لعلي بن محمد الدخيل الله الناشر دار طيبة الرياض.

(١٨) شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط / الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٩) جواهر المعاني وبلوغ الأماني، لعلي حراز بن العربي الفاسي، ط / دار الجليل، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢٠) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢١) الحكومة الإسلامية للخميني، نشر الحركة الإسلامية في إيران، مطبعة الخليج بالكويت.

(٢٢) خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

- (٢٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- (٢٤) ديوان البوصيري، لمحمد بن سعيد بن حماد بتحقيق سيد كيلاي، مطبعة الحلبي القاهرة (١٩٩٣م).
- (٢٥) الرد على الأخنائي، لشيخ الإسلام ابن تيمية ط الدار العلمية للطباعة والنشر، دلهي، الهند.
- (٢٦) السديج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لإبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ)، محمد الأحدي أبو النور، القاهرة، عام ١٣٥١هـ.
- (٢٧) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، نشر دار ابن حزم ببيروت، ودار المغني بالرياض.
- (٢٨) سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) ومعه حاشية السندي ومصباح الزجاجه للإمام البصري، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شياح، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، دار المعرفة، بيروت.
- (٢٩) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.

- (٣٠) سنن النسائي (المجتبى من السنن)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥ - ٣٠٣هـ)، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت.
- (٣١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- (٣٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للشيخ ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- (٣٣) الشرح بين القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا الهندي، ط / الأولى، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- (٣٤) الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض، ط / الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٣٥) الشفا بتعريف. حقوق المصطفى: للقاضي عياض أبي الفضل عياض بن موسى بن عباس اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) بتحقيق على محمد البجاوي الناشر دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ.
- (٣٦) شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي (٧٣١ - ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء وتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثامنة (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، المكتب الإسلامي، بيروت. وتحقيق: أحمد محمد شاكر، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية.



- (٣٧) شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٣١ - ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- (٣٨) شواهد الحق، للنبهاني الصوفي، ط / الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، سنة ١٣٨٥هـ.
- (٣٩) صحيح الأدب المفرد، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، مكتبة الدليل، الجليل الصناعية، السعودية.
- (٤٠) صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (١٩٤ - ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ)، المطبعة السلفية بالقاهرة. والطبعة الأولى (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٤١) صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط / الثانية، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- (٤٢) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط / الأولى، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- (٤٣) صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط / الأولى، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- (٤٤) صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط / الأولى، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- (٤٥) صحيح مسلم، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦هـ - ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
- (٤٦) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (٤٧) الصارم المنكي في الرد على السبكي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ) طباعة الإمام بمصر.
- (٤٨) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، للشيخ محمد بن صفى الدين الحنفي المتوفى سنة (١٢٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، دار عالم الكتب، الرياض.
- (٤٩) طبقات الشعراى (لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار)، لعبد الوهاب ابن أحمد الشعراى (ت ٩٧٣هـ)، القاهرة ١٣٥٥هـ.
- (٥٠) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الزهرى (١٦٨ - ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، بدون سنة الطباعة.
- (٥١) العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١٣هـ.
- (٥٢) فتاوى نور على الدرب، للشيخ عبد العزيز بن باز، ط / الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، رئاسة إدار البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، الرياض، السعودية.



- (٥٣) فتاوى محمد رشيد، جمع وتحقيق د. صلاح الدين المنجد، ط/ الأولى، دار الكتاب الجديد، ١٣٩٠ م.
- (٥٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- (٥٥) فتح القريب شرح التقريب، لجمال الدين أحمد بن الحسين، طباعة دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، بيروت ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
- (٥٦) فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- (٥٧) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق د/ ربيع بن هادي عمير المدخلي الناشر: مكتبة لينة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- (٥٨) قصيدة البردة، لمحمد سعيد البوصيري، تحقيق محمد سيد الكيلاني، القاهرة، ط/ الثانية، مطبعة الحلبي، عام (١٩٧٣ م)، ضمن ديوان البوصيري.
- (٥٩) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٢ هـ) الطبعة الأولى، الناشر دار الكتب العربي، بيروت.
- (٦٠) الكفاية في علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٣ - ٤٦٣ هـ)، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، بدون سنة.

- (٦١) لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية بالهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط / الثالثة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- (٦٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، بالمملكة العربية السعودية.
- (٦٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٦٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٦٥) مشكاة المصابيح، للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٣٨٠هـ / ١٩٦١م) المكتب الإسلامي، بيروت.
- (٦٦) الموضوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط / الثانية ١٤٠٣هـ.
- (٦٧) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، لصادق سليم صادق، الطبعة الأولى (١٣١٥هـ / ١٩٩٤م) مكتبة الرشد، الرياض.



- (٦٨) المغازي، للإمام الواقدي المتوفى ٢٠٧هـ تحقيق د. مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٦٩) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي المتوفى (٦٥٦هـ)، تحقيق محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي وغيرهما، طباعة دار ابن كثير، ط - الثالثة، دمشق ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- (٧٠) المنهاج في شعب الإيمان: للحليمي أبي عبد الله الحسين بن الحسن (ت ٤٠٣هـ) بتحقيق حلمي محمد فوده - دار الفكر.
- (٧١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨م.
- (٧٢) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣هـ.



لمحات من جهود الصحابة ومواقفهم في الدفاع عن النبي ﷺ

إعداد

د. صالح بن حامد الرفاعي

ایض



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد:

فمنذ القرن الأول الهجري والكتابات عن نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم تتوالى في جوانب حياته المختلفة، وقد عني بذلك المسلمون وغيرهم^(١).
ومهما كتب الكاتبون فلن يوفوا النبي صلى الله عليه وسلم حقه، ولن يعدموا جوانب أخرى من حياته صلى الله عليه وسلم للكتابة فيها.
وقد أحسنت «الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها» صنعاً في الدعوة إلى تنظيم مؤتمر دولي بعنوان: «نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم»، كما أحسنت اللجنة العلمية للمؤتمر في اختيار محاور هذا المؤتمر، فجزاهم الله خيراً.

(١) انظر: معجم ما أُلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للدكتور صلاح الدين المنجد.

ويجيء هذا المؤتمر في وقت اشتدت فيه الحملة الشرسة من أعداء الإسلام على نبينا محمد ﷺ، وهي جزء من الحملة الشرسة على الإسلام الذي أقص مضاجعهم انتشاره وتغلُّغه في مجتمعاتهم؛ ليصدوا الناس عنه.

ولن يضروا رسول الله ﷺ، بل ضروا أنفسهم، وازداد رسول الله ﷺ رفعةً وشرفاً ومحبةً في نفوس الناس، بل عاملهم الله ﷻ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ، فكانت تلك الهجمة الشرسة سبباً في التعريف بالإسلام وبرسول الله محمد ﷺ، ومن ثمَّ دخل كثير من الناس في الإسلام فالحمد لله على ذلك^(١).

وقد تلقيت دعوة كريمة من فضيلة رئيس اللجنة العلمية للمشاركة في هذا المؤتمر والكتابة في المحور السادس: «جهود السلف وعلماء المسلمين في الدفاع عن النبي ﷺ».

وقد اخترت الكتابة في هذا المحور بعنوان: «لمحات من جهود الصحابة ﷺ ومواقفهم في الدفاع عن النبي ﷺ».

وقد تضمن البحث نماذج من حفظ الله ﷻ وحمايته لنبيه محمد ﷺ ليوقن المؤمن بأن الله الذي حفظ نبيه محمد ﷺ من كيد الأعداء في حياته فهو يحميه

(١) انظر كتاب: «المعجزة المتجددة في عصرنا الإسلام»، بعض مظاهر انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر في العالم» لصالح اليافعي.



ويحفظه بعد مماته ﷺ.

وتضمن البحث أيضاً مواقف بعض الصحابة رضي الله عنهم في الدفاع عن النبي ﷺ وتقديم أرواحهم حماية لرسول الله ﷺ، وهذا يدل على مكانة النبي ﷺ في قلوبهم، وأنهم يحبونه - عليه الصلاة والسلام - أكثر من حبهم لأنفسهم وأهليهم، وهم قدوة لمن يأتي بعدهم من الأجيال المتعاقبة أن يسلكوا مسلكهم في تعظيم رسول الله ﷺ، ومعرفة حقه على أمته، استجابة لأمر الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتُعْزِرُوهُ وَتُقِرُّوهُ ۖ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ - ٩]، «أي: تعزروا الرسول ﷺ، ﴿وَتُقِرُّوهُ﴾ أي: تعظموه، وتجلوه، وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة بربابكم. ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله...»^(١).

ومن تعظيم رسول الله ﷺ تعظيم سنته والعمل بها، والعناية بسيرته والتخلق بأخلاقه ﷺ.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

- ذكرت في المقدمة سبب الكتابة في هذا الموضوع.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن سعدي (ص ٧٩٢).

- وفي التمهيد الكلام على قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ويتضمن ذكر بعض عجائب صنع الله ﷻ في حفظ رسوله ﷺ وحايته من أعدائه.

- وتناولت في الفصل الأول: لمحات من جهود الصحابة رضي الله عنهم في الدفاع عن شخصه - عليه الصلاة والسلام - وحايته من أعدائه.

- وفي الفصل الثاني: جهود الصحابة رضي الله عنهم في الرد على من آذى رسول الله ﷺ.

- ثم الخاتمة، ويتلوها فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

وأحمد الله ﷻ على توفيقه لإتمام هذا البحث وله الفضل والمنة، ثم الشكر لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - لموافقته السامية على عقد هذا المؤتمر، والشكر موصول إلى الإخوة العاملين والمشاركين في هذا المؤتمر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه:

د. صالح بن حامد الرفاعي

١٤٣١/٢/٦ هـ



التمهيد

من رحمة الله ﷻ ونعمته أن أرسل رسوله محمداً ﷺ لهداية الناس وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فقد جاءهم بما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وجعل الله ﷻ طاعته وطاعة رسوله ﷺ سبباً لرحمته ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وهذه الطاعة والاتباع لا تكون إلا بعد معرفة حقيقة ما يدعو إليه رسول الله ﷻ، لذلك أمر الله رسوله ﷻ بتبليغ الرسالة فقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فأمره الله ﷻ بتبليغ جميع ما أمر بتبليغه، وحذره من كتمان شيء من ذلك، ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؛ «لأن كتم البعض مثل كتم الجميع في الاتصاف بعدم التبليغ»^(١)، ووعد سبحانه بحفظه وتأييده ونصره^(٢).

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٦/ ٢٦٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٧٨).

وقد امثل ﷺ أمر ربه ﷻ فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، حتى كمل الدين، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

«وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً...»^(١).

وقد عصم الله ﷻ نبيه ﷺ وحفظه وصرف عنه كيد الكائدين، ومكر الماكرين بأمور عجيبة تدل على قدرة الله ﷻ وعنايته بنبيه ﷺ، وقد خاطبه الله ﷻ بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، أي: «بحيث نراك ونحفظك، وتحوطك ونحرسك ونرعاك»^(٢).

ومن أمثلة حفظ الله ﷻ لرسوله ﷺ ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهه^(٣) بين أظهركم؟ قال:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٧٧)، والحديث في صحيح مسلم (٢/ ٨٩٠، برقم: ١٢١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ٥٤٢).

(٣) المراد: سجوده ﷺ على التراب. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٢٦٢).



قيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهو لا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضوا عضوا»^(١).

فحفظ الله ﷻ رسول الله ﷺ من هذا الجبار المتكبر، فرجع خاسئاً، لم يستطع الاقتراب من رسول الله ﷺ.

ومن حفظ الله ﷻ لرسوله ﷺ ما حصل له مع سراقه بن مالك بن جُعشم المدلجي وهو في طريق هجرته من مكة إلى المدينة، حيث جعلت قريش جائزة كبيرة لمن جاء برسول الله ﷺ حياً أو ميتاً، مقدارها: مئة من الإبل^(٢)، وهي جائزة عظيمة جدية بالاهتمام، وصل خبرها إلى سراقه بن مالك فطمع في الظفر بها؛ لأن مساكنهم في قُديد بين مكة والمدينة^(٣)، فأخبر بأن رسول الله ﷺ

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٥٤، برقم: ٢٧٩٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/٢٤٠).

(٣) المصدر السابق، وتقع قديد على بعد: ١٣٠ كيلاً شمال مكة. انظر: معجم معالم الحجاز

للبلادي (٧/٩٧).

مرَّ بالقرب من ديارهم في طريقه إلى المدينة، فخرج سراقاً مسرعاً على فرسه خفية، حتى لا يلحقه أحد يريد أن يستأثر بالجائزة وحده، فانطلق في أثرهم، قال سراقاً: «... حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقتمت»^(١)، هكذا فسّر سراقاً سقوطه عن الفرس، أنها عثرت به فسقط، فقام مسرعاً فركبها دون أن يفكر في سبب آخر لسقوطه؛ لأن فكره كان مشغولاً بالجائزة، ويرى أن تحققها أصبح وشيكاً، ولم يعلم بالسبب الحقيقي لسقوطه.

وقد بين السبب الحقيقي لسقوطه أنس بن مالك رضي الله عنه في روايته عند البخاري: «.. فالتفت أبو بكر، فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: «اللهم اصصره» فصصره الفرس»^(٢). قام سراقاً فركب فرسه وهو يحدث نفسه: «أرجو أن أرده فأخذ المئة ناقة»^(٣)، فانطلق نحوهم حتى قرب منهم، وسمع قراءة رسول الله ﷺ، عندئذ دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت»^(٤)، «فساخ فرسه في

(١) صحيح البخاري (٢٣٨/٧)، برقم: (٣٩٠٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٩/٧)، برقم: (٣٩١١).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٩/٢).

(٤) رواه الإسماعيلي من حديث البراء كما في فتح الباري لابن حجر (٢٤١/٧).



الأرض إلى بطنه، وكان يمشي في جلد من الأرض»^(١).

كان يمشي في أرض صلبة فغاصت يدا فرسه في الأرض كما تغوص في ماء وطن^(٢)، فعلم سراقا أن رسول الله ﷺ دعا عليه، وأن ما حصل له إنما هو من الله ﻋﻠﻴﻚ؛ ليمنعه من الوصول إلى رسوله ﷺ ولذلك قال: «ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ»^(٣).

وفي رواية: «عرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر»^(٤)؛ أي: أن الله ﻋﻠﻴﻚ قد حفظه مني وأنه ناصره على أعدائه.

ونادى سراقا رسول الله ﷺ: «يا محمد، قد علمت أن هذا من عملك - أي: بسبب دعائك - فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه»^(٥)، «فدعا له رسول الله ﷺ فنجى»^(٦)، ثم قال: «يا نبي الله مرني بما شئت»، فقال ﷺ: «لا تترك

(١) صحيح مسلم (٢٣٧/٤)، برقم: (٢٠٠٩).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٥٤٢/٢٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٩/٧)، برقم: (٣٩٠٦).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٩/٢).

(٥) صحيح مسلم (٢٣١١/٤)، برقم: (٢٠٠٩).

(٦) صحيح مسلم (٢٣١٠/٤)، برقم: (٢٠٠٩).

أحداً يلحق بنا»^(١)، فرجع سراقه لا يلقي أحداً إلا قال: قد كفيتهم، ما هاهنا، فلا يلقي أحداً إلا ردّه»^(٢). فكان في أول النهار يطلبهم فصار يدافع عنهم، فسبحان الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والمأمل في القصتين السابقتين يجد الفرق واضحاً بين موقف سراقه وموقف أبي جهل، فكلاهما رأى معجزة للرسول ﷺ تدل على صدقه، وأن الله ﷻ حافظه وناصره، فانتفع بذلك سراقه، وصدق بنبوته -عليه الصلاة والسلام-، وصار جندياً يدافع عن رسول الله ﷺ ويصد العدو عنه.

وأما أبو جهل فلم ينتفع برؤية تلك المعجزات، بل زاده ذلك جحوداً وعناداً وحقداً؛ لأن قلبه قد امتلأ بغضاً وحسداً لرسول الله ﷺ، فلم تعد الآيات والمعجزات تؤثر فيه^(٣).

وهكذا تتكرر هذه المواقف إلى يومنا هذا، فمن الناس من تكفيه معجزة واحدة يتبين له بها صدق الرسول ﷺ، وأن ما جاء به إنما هو من عند الله ﷻ، فيعلن إسلامه، ومن الناس من تتوارد عليه الدلائل والبراهين على صدق

(١) صحيح البخاري (٢٤٩/٧)، برقم: (٣٩١١).

(٢) صحيح مسلم (٢٣١٠/٤)، برقم: (٢٠٠٩).

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر للدكتور عبد العزيز الحميدي (١٧٥/٣).



الرسول ﷺ فلا يزداد إلا عتوّاً وتكبراً وجحداً للحق، وتمادياً في محاربته وتكذيبه، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَئِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وأمثلة حفظ الله ﷻ وعصمته لرسوله ﷺ كثيرة، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «ومن عصمة الله لرسوله ﷺ: حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها، ومعانديها، ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طيبعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً.

ثم قيض الله له الأنصار، فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم، وهي المدينة، فلما صار إليها منعوه من الأحمر والأسود^(١)، وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ﷻ ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر، فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما

(١) المراد بذلك عموم الناس عربهم وعجمهم. انظر كنه النهاية في غريب الحديث لابن الأثير

سمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخير أعلمه الله به، وحماه منه، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها^(١).

ومن حفظ الله ﷻ لرسوله ﷺ أن قيض له أصحاباً يدافعون عنه ويحمونه من الأعداء، ويبدلون أنفسهم من أجل سلامته ﷺ ولهم في ذلك مواقف مشهورة وأخبار منشورة، وفي الفصل الآتي نماذج من تلك المواقف.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٧٩).



الفصل الأول

ملحات من جهود الصحابة رضي الله عنهم ومواقفهم في الدفاع عن النبي ﷺ

كثير من الصحابة رضي الله عنهم لهم جهود مشهورة ومواقف مشكورة في الدفاع عن النبي ﷺ لا يتسع المقام لسردها.

ومن كان له قصب السبق، وله القدح المعلن والحظ الأوفى، والمقام الأسنى في نصرته النبي ﷺ والدفاع عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لطول صحبته للنبي ﷺ واختصاصه به، وقربه منه، وملازمته له حضراً وسفراً، وكان أبو بكر رضي الله عنه أشد الصحابة حباً وتعظيماً وإجلالاً للنبي ﷺ، وكان رضي الله عنه يبادل ذلك الحب، ويعرف له حقه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصباً رأسه بخرقه، فقعده على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه ليس من الناس أحد آمن عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لآخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خُلّة الإسلام أفضل، سُدُّوا كل خوخة^(١) في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر». رواه البخاري^(٢).

(١) الخوخة: باب صغير.

(٢) صحيح البخاري (١/٥٥٨، برقم: ٤٦٧).

وقوله: «إنه ليس من الناس أحد آمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر»، معناها: ليس من الناس أحد أجود ولا أبذل لنفسه وماله لي من أبي بكر^(١). وهذه شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه تدل على بذله لنفسه دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وبذله لماله في سبيل الله ﷻ، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر، إن له عندنا يداً يكافئهُ الله به يوم القيامة، وما نفعتني مال أحد قط ما نفعتني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليلُ الله». رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»^(٢). وصححه الألباني^(٣).

ومن مواقف أبي بكر رضي الله عنه في الدفاع عن النبي ﷺ ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «رأيت عُقبة بن أبي مُعَيْط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءً في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر

(١) انظر: أعلام الحديث للخطابي (١/٤٠٣)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٥/٦١٥).

(٢) سنن الترمذي (٥/٦٠٩)، برقم: (٣٦٦١).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٠)، برقم: (٢٨٩٤).



حتى دفعه عنه، فقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [غافر: ٢٨] ^(١).

وفي حديث أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) - في هذه القصة -: «... فلُهِوا ^(٢) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأقبلوا على أبي بكر، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره ^(٣) إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

رواه أبو يعلى ^(٤)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر ^(٥).

وهذا الحديث يدل على شجاعة أبي بكر (رضي الله عنه) ووقوفه بحزم للدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غير مبالي بما يحصل له، فدفع عقبة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وحال بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لذلك ترك المشركون رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأقبلوا على أبي بكر حتى تمزق شعره من شدة ما لقيه منهم، وهو صابر محتسب (رضي الله عنه).

(١) صحيح البخاري (٢٢/٧)، برقم: (٣٦٧٨).

(٢) هُؤُوا: شُغِلُوا. المصباح المنير للفيومي (ص ٤٥٦).

(٣) الغدائر: ذوائب الشعر. النهاية لابن الأثير (٣/٣٤٥).

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١/٥٢)، برقم: (٥٢).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٧/١٦٩).

ومن الجهود المشكورة والمواقف المشهورة دفاع بعض الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد:

فقد وقعت غزوة أحد في شوال من السنة الثالثة من الهجرة، حيث جاءت قريش بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لغزو المدينة النبوية، والثأر لمن قتل منهم في غزوة بدر، فنزلوا بالقرب من جبل أحد في الناحية الجنوبية الغربية منه، ولذلك سميت الغزوة باسم غزوة أحد لوقوع أحداثها بالقرب منه.

فخرج إليهم رسول الله ﷺ في سبعمائة مقاتل، فنزلوا في الشعب وجعل ﷺ أحداً خلف ظهره، وجزءاً من أحد عن يمينه، وجبل عينين (جبل الرماة) عن يساره، وأمر ﷺ خمسين من الرماة أن يجلسوا على جبل الرماة؛ ليحموا ظهورهم من المشركين.

نشب القتال بين الجيشين فانتصر المسلمون في أول المعركة، فظن الرماة الذين على الجبل أن المعركة قد انتهت، فنزل أكثرهم من الجبل رغبة في الغنائم مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ، فالتف فرسان المشركين خلف الجبل المذكور فانقضوا على المسلمين من الخلف، ورجع المشركون الذين فروا فانقضوا على المسلمين من الأمام، فحصل اضطراب في جيش المسلمين، قُتل عدد منهم، وفر آخرون، وثبت طائفة منهم يقاتلون المشركين.



وكان رسول الله ﷺ في تسعة نفر من أصحابه في مؤخرة الجيش، فوصل إليهم المشركون الذي جاءوا من الخلف، يريدون قتل رسول الله ﷺ، وكانت ساعة من أخرج الساعات التي مرت بالنبي ﷺ وأصحابه ظهر فيها ثبات النبي ﷺ، وتغافى أصحابه في الذب عنه، وتجلت التضحية والحب والاستبسال في أسمى معانيها^(١).

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أُفِرِدَ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهَقُوهُ^(٢) قال: «من يردهم عنا وله الجنة - أو هو رفيقي في الجنة -» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رَهَقُوهُ - أيضاً - فقال: «من يردهم عنا وله الجنة - أو هو رفيقي في الجنة -» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قُتِل السبعة^(٣).

وهذان القرشيان هما طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، فقد روى

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٦٠ - ١٢٩)، الرحيق المختوم للمباركفوري

(ص ٢٤٨ - ٢٨٤)، السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري (٢/ ٣٧٨ - ٣٩٧).

(٢) رَهَقُوهُ: دنوا منه. النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٨٣).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٤١٥، برقم: ١٧٨٩).

البخاري ومسلم «أنه لم يبق مع النبي ﷺ إلا طلحة وسعد»^(١).

وروى النسائي عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «لما كان يوم أحد وولى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله فأدركهم المشركون، فالتفت رسول الله ﷺ، وقال: «مَنْ للقوم»، الحديث، وفيه أن الأنصار تصدوا للمشركين واحداً بعد واحد، حتى قتلوا جميعاً، دفاعاً عن رسول الله ﷺ: «حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ للقوم»، فقال طلحة: أنا، فقاتل قتال الأحد عشر حتى ضربت يده، فقطعت أصابعه، فقال: حس»^(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «إسناده جيد»^(٤).

- (١) صحيح البخاري (٣٥٩/٧)، برقم: (٤٠٦٠)، وصحيح مسلم (١٨٧٩/٤) برقم (٢٤١٤).
- (٢) حس: كلمة يقوها الإنسان إذا أصابه ما يؤمله على غفلة. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٨٥/١).
- (٣) سنن النسائي (٢٩/٦)، برقم: (٣١٤٩).
- (٤) فتح الباري لابن حجر (٣٦٠/٧)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٦/٦٩٩، برقم: ٢٧٩٦).



وروى البخاري عن قيس بن أبي حازم، قال: «رأيت يد طلحة شلاء^(١)،
وقى بها النبي ﷺ يوم أحد^(٢)».

أي: جعل يده ﷺ كالترس^(٣) يرد بها السهام عن رسول الله ﷺ.
وهذا يدل على عظيم حب طلحة لرسول الله ﷺ، وأن حبه له أعظم من
حبه لنفسه، ولذلك بذل نفسه وتعرض لما يصيبه من السهام وغيرها حماية
لرسول الله ﷺ.

وقد عرف النبي ﷺ له جميل صنيعه؛ فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه:
«سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ: «أوجب طلحة»، حين صنع برسول
الله ﷺ ما صنع». رواه الترمذي^(٤)، والإمام أحمد^(٥)، واللفظ له، وإسناده
حسن^(٦).

(١) اليد الشلاء: اليابسة التي لا يستطيع أن يعمل بها صاحبها كما يعمل باليد السليمة. انظر:

النهاية لابن الأثير (٢/٤٩٨)، والتوضيح لابن الملقن (٢١/١٦٤)

(٢) صحيح البخاري (٧/٣٥٩، برقم: ٤٠٦٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/٨٣).

(٤) سنن الترمذي (٤/٢٠١، ٥/٦٤٣، برقم: ١٦٩٢، ٣٧٣٨).

(٥) المسند (٣/٣٣، برقم: ١٤١٧).

(٦) صحيح سنن الترمذي (٢/١٣٨، برقم: ١٣٨٣).

ومعنى: «أوجب»: عمل عملاً أوجب له الجنة^(١).

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يرد المشركين بسهامه، وكان رامياً ماهراً، روى البخاري ومسلم عن سعد رضي الله عنه قال: نثل^(٢) لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد، فقال: «ارم فداك أبي وأمي»^(٣) ^(٤).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له يوم أحد: «ارم فداك أبي وأمي». رواه البخاري ومسلم^(٥).

وهذا يدل على الإسهام الكبير الذي قام به سعد رضي الله عنه في صدّ المشركين

(١) النهاية لابن الأثير: (١٥٣/٥).

(٢) نثل كنانته: أخرج ما فيها من سهام، والكنانة: الوعاء الذي توضع فيه السهام. انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٥٩/٧).

(٣) «فداك أبي وأمي»: كلمة تقولها العرب على الترغيب، أي: إن كان إلى الفداء سبيل فديتك بهما جميعاً. التوضيح لابن الملتن (١٦٢/٢١).

(٤) صحيح البخاري (٣٥٨/٧، برقم: ٤٠٥٥)، - واللفظ له -، وصحيح مسلم (١٨٧٦/٤)، برقم: ٢٤١٢.

(٥) صحيح البخاري (٣٥٨/٧، برقم: ٤٠٥٨)، ومسلم، (١٨٧٦/٤)، برقم: ٢٤١١، واللفظ له.



والنكاية بهم، ومعلوم أن سلاح الرماية أمضى في العدو من سلاح المواجهة خصوصاً إذا كان الرمي من رامٍ ماهر كسعد رضي الله عنه^(١).

روى مسلم عن سعد رضي الله عنه قال: «كان رجل من المشركين قد أحرق^(٢) المسلمين، فقال النبي ﷺ: ارم فذاك أبي وأمي»، فنزعت له بسهم ليس فيه نصل^(٣)، فأصبت جنبه، فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه^(٤).

وهذا يدل على شدة رمي سعد رضي الله عنه، فإذا فعل سهمه الذي لا نصل له هذا الفعل في الرجل فكيف إذا كان له نصل؟!.

ومن كانت له مواقف محمودة في الدفاع عن رسول الله ﷺ: أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه، فقد روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ

(١) انظر: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي (١٧١/٥).

(٢) «أحرق المسلمين»: أي: أثنى فيهم وعمل فيهم نحو عمل النار. شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٥/١٥).

(٣) النصل: الحديد التي تكون في رأس السهم. المعجم الوسيط (ص ٩٢٧).

(٤) صحيح مسلم (٤/١٨٧٦، برقم: ٢٤١٢).

مُجَوَّبٌ عليه بِحَجَفَةٍ^(١)، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديداً النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه بجعبة^(٢) من النبل فيقول النبي ﷺ: «انثرها لأبي طلحة».

قال: ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تُشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك...»^(٣).

وقوله: «انهزم الناس عن النبي ﷺ»، المراد: البعض بدليل الأحاديث السابقة، وقد جاء مصرحاً به في رواية مسلم لهذا الحديث، قال: «لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ».

وهذا الحديث يصور مشهداً من مشاهد الساعة الحرجة التي طوق فيها المشركون رسول الله ﷺ ومن بقي معه من أصحابه، فقد حصل في تلك الساعة كرفر، وتقدم وتأخر، في أرض وعرة فيها حفر وصخور، ومحور

(١) أي: كان يحمي النبي ﷺ بترس يدفع به سلاح الكفار، ويسمى الترس جوبة، والحجفة هي: الترس. فتح الباري لابن حجر (٣٦٢/٧).

(٢) الجعبة: وعاء يوضع فيه السهام. النهاية لابن الأثير (٢٧٤/١).

(٣) صحيح البخاري (٣٦١/٧)، برقم: (٤٠٦٤) — واللفظ له —، ومسلم (١٤٤٣/٣)، برقم:



الصراع يدور حول رسول الله ﷺ فالمشركون سنحت لهم فرصة نادرة لتحقيق الغرض الذي جاءوا من أجله، وهو القضاء على رسول الله ﷺ، وبذلوا كل ما أوتوه من قوة وبأس لأجل ذلك.

والمسلمون كان همهم الأكبر في تلك اللحظة نجاة رسول الله ﷺ، وبذلوا رقابهم لأجل ذلك، وفي مشهد من مشاهد ذلك الصراع العنيف المحتدم حول رسول الله كان أبو طلحة رضي الله عنه يدافع عن رسول الله ﷺ وفي يده ترس يدفع به سلاح الكفار عن رسول الله ﷺ، فإذا خفت وطأة السلاح عنهم أخذ قوسه وسهامه يرمي بها العدو، وكان رامياً شديداً البأس، تفعل سهامه في العدو فعلها، جعلت رسول الله ﷺ يرفع رأسه لينظر مواقع سهامه، وأبو طلحة رضي الله عنه يخشى أن يند عنه سهم من سهام الكفار فيصيب رسول الله ﷺ فيقول: «بأبي أنت وأمي»، لا تُشرف يصيبك سهم من سهام القوم، فهو لا يبالي بنفسه في سبيل سلامة رسول الله ﷺ، ويقول: «نحري دون نحر».

أي: تصيب السهام نحري دون نحر، والمعنى: أفديك بنفسي يا رسول

الله.

ومع هذا الصمود والتفاني في الدفاع عن رسول الله ﷺ في تلك المعركة الرهيبة فقد خلص الكفار إلى رسول الله ﷺ فكسرت رباعيته، وجرح في

وجبهه، وكسرت البيضة^(١) على رأسه ﷺ^(٢).

وهذا لا ينافي العصمة التي تقدم الكلام عليها في التمهيد؛ لأن العصمة الموعود بها عصمة النفس من القتل، لا عصمته ﷺ من الأذى بالكلية، بل أبقى الله - تعالى - لرسوله ﷺ ثواب ذلك الأذى، ولأمته حسن التأسي به ﷺ؛ إذا أؤذي أحدهم نظر إلى ما جرى على رسول الله ﷺ فتأسى وصبر، وللمؤذنين الأشقياء العذاب الأليم^(٣).

(١) البيضة: الخوذة التي تلبس على الرأس لحمايته. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٧٢).

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٣٧٢، برقم: ٤٠٧٥).

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١١٧٤).



الفصل الثاني

جهود الصحابة رضي الله عنهم في الرد على من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذم الله عز وجل الذين يؤذون رسوله صلى الله عليه وسلم وتوعدهم بأشد العذاب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وقد استقر في أذهان الصحابة رضي الله عنهم بغض من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء بالقول أو بالفعل، ومواقفهم في ذلك معلومة. فمن ذلك:

ما رواه مسلم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثه أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع^(١) منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي^(٢) سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر،

(١) أضلع منهما: أقوى منهما.

(٢) سوادي: أي شخصي.

فقال: مثله. قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟»، فقال كل واحد منهما: أنا قتلت، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟»، قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. (والرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء)^(١).

فهذان الشابان معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء كانا يسمعان من المهاجرين رضي الله عنهم عداوة أبي جهل للنبي ﷺ وإيذاءه له، فامتألت قلوبهما بغضاً له، وقررا الانتقام منه، فلما سنحت لهما الفرصة ابتدراه فقتلاه.

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول^(٢) فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجلها طفل، فلطخت ما هناك بالدم.

فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناس، فقال: «أنشد الله رجلاً

(١) صحيح مسلم: (٣/ ١٣٧٢ برقم ١٧٥٢).

(٢) حديدة دقيقة حادة، انظر النهاية لابن الأثير: (٣/ ٣٩٧).



فعل ما فعل، لي عليه حق إلا قام»، فقام الأعمى يتخطى الناس، وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول، فوضعت في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «ألا تشهدوا أن دمها هدر»^(١). والحديث صححه الألباني^(٢).

فهذا الصحابي أخذته الحمية لرسول الله ﷺ ولم يصبر على شتمها لرسول الله ﷺ مع أنها أم ولديه ومع ذلك قتلها؛ انتصاراً لرسول الله ﷺ، وفعله هذا حصل في مجتمع الإسلام فيه ظاهر، والأحكام الشرعية تطبق، والدولة فيه للمسلمين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، وليس لأحد أن يحتج بهذا الفعل في زماننا هذا فيقوم بأعمال فردية تضر بالإسلام والمسلمين، وتتخذ ذريعة لتشويه صورة الإسلام والتضييق على المسلمين.

وكان لشعراء الصحابة رضي الله عنهم مواقف جليلة في الذب عن رسول الله ﷺ، ومن أشهرهم حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وقد كان رسول الله ﷺ يحشه على ذلك:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن عمر مر بحسان وهو ينشد

(١) سنن أبي داود: (٤/٥٢٨ برقم ٤٣٦١).

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني: (٣/٨٢٤ برقم ٣٦٦٥).

الشعر في المسجد، فلاحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس»؟ قال: اللهم نعم^(١).

وروى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: (اهْجُئْهُمْ - أو هاجِهم - وجبريل معك)»^(٢).
وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً. فإنه أشد عليها من رشق بالنبل» فأرسل إلى ابن رواحة^(٣) فقال «اهجهم» فهجاهم فلم يُرض. فأرسل إلى كعب بن مالك. ثم أرسل إلى حسان بن ثابت. فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذيئِهِ^(٤). ثم أذْلَعَ لسانه فجعل يحركه. فقال: والذي بعثك بالحق! لأفريتنهم

(١) صحيح البخاري: (٦/٣٠٤ برقم ٣٢١٢)، صحيح مسلم: (٤/١٩٣٢ برقم ٢٤٨٥) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري: (٦/٣٠٤ برقم ٣٢١٣)، صحيح مسلم: (٤/١٩٣٣ برقم ٢٤٨٦) واللفظ له.

(٣) عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) شبه نفسه بالأسد، وشبه لسانه بذيئِهِ لأن الأسد إذا غضب يضرب بذيئِهِ جنبيه. شرح مسلم للنووي (٤٩/١٦).



بلساني فَرَيَ الأَديم^(١). فقال رسول الله ﷺ « لا تَعْجَلْ . فَإِن أبا بكر أعلمُ قريشٍ بأنسابها . وإن لي فيهم نسباً . حتى يُلَخَّصَ لك نَسَبِي » فأتاه حسان . ثم رجع فقال : يارسول الله ! قد لَخَّصَ لي نَسَبَكَ . والذي بعثك بالحق ! لَأَسُئَلَنَّكَ مِنْهُمْ كما تُسَلُّ الشعرة من العجين .

قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافخت عن الله ورسوله». وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هَجَاهُمْ حسان فَشَفَى واشْتَفَى».

قال حسان رضي الله عنه :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا * رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي * لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
تَكَلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا * تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفِي كَدَاءٍ^(٢)
يُبَارِيزُنَ الْأَعِنَّةَ مُضْعِدَاتٍ * عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظِّمَاءُ

(١) لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد.

(٢) كذا بكسر الهجمة وفي ديوان حسان (ص ٩): «موعدھا كداء» وهو موافق لبعض نسخ

صحيح مسلم كما في شرح مسلم للنووي (١٦ / ٥٠).

- تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ * ثَلَطْمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا * وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَالَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ * يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا * يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا * هُمْ الْأَنْصَارُ عُرَضَتْهَا اللَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ * سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ * وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا * وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ^(١)

(١) صحيح مسلم: (٤ / ١٩٣٥ برقم ٢٤٩٠) والقصيدة في ديوان حسان (ص ٧) في ٣٢ بيتاً.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات وعلى آله وأصحابه المناصرين له في الملهمات.

أما بعد: فقد ذكرت في هذا البحث بعد المقدمة تمهيداً أشرت فيه إلى أن الله ﷻ أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وأنه ﷻ أمره بتبليغ الرسالة ووعده بالنصر والحفظ والتمكين، وذكرت نماذج من قصص حفظ الله ﷻ لرسوله ﷺ تدل على صدق نبوته ﷺ.

وذكرت في الفصل الأول نماذج من جهود الصحابة رضي الله عنهم في الدفاع عن رسول الله ﷺ تدل على كمال حبهم لرسول الله ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم، ولذلك بذلوا أرواحهم، وظهر عظيم تفانيهم في حماية رسول الله ﷺ والدفاع عنه، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وتبين من خلال هذا الفصل الإشادة بمن قدموا أعمالاً متميزة اعترافاً بفضلهم وتقديراً لجهودهم، وشحذاً لهممهم ليقدموا مزيداً من العطاء، وتحفيزاً لغيرهم ليقتمدوا بهم ويسلكوا مسلكهم، ويعرفوا لهم حقهم، ولذلك أشاد

النبي ﷺ بأبي بكر فقال: «ليس من الناس أحد آمن علي في نفسه وماله من ابن أبي قحافة» وقال ﷺ: «أوجب طلحة» وقال ﷺ لسعد: «ارم فداك أبي وأمي».

وذكرت في الفصل الثاني نماذج من مواقف الصحابة رضي الله عنهم في التصدي لمن آذى رسول الله ﷺ، وأن شعراء الصحابة رضي الله عنهم كانت لهم مواقف جلييلة في الذب عن رسول الله ﷺ، ومن أشهرهم حسان بن ثابت رضي الله عنه.



قائمة المراجع

- (١) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري. للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، نشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٩ هـ.
- (٢) بدائع الفوائد. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، نشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٢٥ هـ.
- (٣) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر. د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، نشر: دار الدعوة الإسكندرية، ودار الأندلس الخضراء، جدة، ط: ١، ١٤١٨ هـ.
- (٤) تفسير التحرير والتنوير. لمحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، نشر: دار سحنون، تونس.
- (٥) تفسير القرآن العظيم. لعلماد الدين إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، طبع: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- (٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح. لأبي حفص عمر بن علي المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: ١، ١٤٢٩ هـ.

- (٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، اعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
- (٨) الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٢٧ هـ.
- (٩) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ دار بيروت للطباعة والنشر.
- (١٠) الرحيق المختوم. لصفي الرحمن المباركفوري (١٤٢٧ هـ)، نشر: الوكالة الإسلامية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٣ هـ.
- (١١) سلسلة الأحاديث الصحيحة. لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، والدار السلفية، الكويت، ودار المعارف، الرياض.
- (١٢) سنن الترمذي. لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وغيره، طبع مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط: ٢، ١٣٩٨ هـ.
- (١٣) سنن النسائي (الصغرى). لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط: ٤، ١٤١٤ هـ.
- (١٤) السيرة النبوية. لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه.
- (١٥) السيرة النبوية الصحيحة. د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ١٤١٢ هـ.



- (١٦) شرح صحيح مسلم. لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، طبع المطبعة المصرية، القاهرة.
- (١٧) صحيح البخاري. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، ضمن كتاب (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، تصحيح: عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب، نشر: دار المعرفة، بيروت.
- (١٨) صحيح سنن الترمذي. لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط: ١، ١٤٠٨ هـ.
- (١٩) صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٢٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري. لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تصحيح: عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب، نشر: دار المعرفة، بيروت.
- (٢١) مسند أبي يعلى الموصلي. لأحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث، دمشق، ط: ١، ١٤٠٤ هـ - ١٤٠٩ هـ.
- (٢٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٤٢٩ هـ.
- (٢٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، اعتنى به عادل مرشد.

- (٢٤) المعجزة المتجددة في عصرنا: الإسلام، بعض مظاهر انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر في العالم. لصالح بن محمد بن حليس اليافعي، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
- (٢٥) معجم ما ألفت عن رسول الله ﷺ. لصلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: ١، ١٤٠٢هـ.
- (٢٦) معجم معالم الحجاز. لعاتق بن غيث البلادي، نشر: دار مكة المكرمة، ط: ١، ١٣٩٨هـ، ١٤٠٤هـ.
- (٢٧) المعجم الوسيط. إخراج: إبراهيم مصطفى وزملائه، نشر: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
- (٢٨) النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد الزاوي وزميله، نشر: المكتبة الإسلامية.



جهد المحدثين في الدفاع عن النبي ﷺ

إعداد

د. نادر السنوسي العمراني

أستاذ الحديث وعلومه بقسم الدراسات الإسلامية
جامعة ٧ أكتوبر - كلية الآداب - مصراتة ليبيا

المقدمة

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد؛

فإن الدفاع عن النبي ﷺ واجب على كل مؤمن، بل هو جزء من الإيمان

به ﷺ، من فرط فيه فقد فرط في أصل من أصول الإيمان العظيمة.

وقد تولى الصحابة رضي الله عنهم مهمة الدفاع عن النبي ﷺ في حياته، فأدّوا واجبه على أكمل وجه.

- فمنهم الذاب عنه بنفسه وسيفه، كما فعل طلحة بن عبيد الله ﷺ يوم أُحُد، حيث كان أحد الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ^(١)، وشَلَّتْ يده وهو يتترس بها على رسول الله ﷺ^(٢)، وعندها قال النبي ﷺ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»^(٣).

(١) روى البخاري (كتاب فضائل الصحابة/ باب ذكر طلحة بن عبيد الله / رقم ٣٧٢٢) عن أبي عثمان النهدي عن طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص قال: «لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد».

(٢) روى البخاري (كتاب فضائل الصحابة/ باب ذكر مناقب طلحة بن عبيد الله / رقم ٣٧٢٣) عن قيس بن أبي حازم قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شَلَّتْ».

(٣) روى ابن إسحاق (كما في السيرة لابن هشام ٤/ ٣٥)، ومن طريقه الترمذي (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ / باب مناقب طلحة بن عبيد الله / رقم ٣٧٣٨)، والإمام أحمد (١/ ١٦٥)، والحاكم (رقم ٤٣٦٨) ثنا يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: «كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى صخرة فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وحسن إسناده الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦)، وهو كما قال =

وكما فعل الأنصار الذي آووا رسول الله ﷺ، وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم.

- ومنهم الذابُّ عنه ﷺ بهاله، كما فعل عثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العُسرة^(١)، حتى قال النبي ﷺ حينها: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢).

= للكلام المشهور في ابن إسحاق.

(١) روى النسائي (كتاب الأحباس/ باب وقف المسجد/ رقم ٣٦١١)، وأحمد (١/ ٥٩)، والدارقطني (٤/ ١٩٨)، والضياء في المختارة (رقم ٣٩٥-٣٩٦) بإسناد صحيح عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنَّ عثمان رضي الله عنه أشرف عليهم حين حصروه، فقال: أنشد بالله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول -يوم الجبل حين اهتز فركله برجله وقال-: اسكن، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان -وأنا معه-؟ فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلاً شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان يقول: هذه يد الله، وهذه يد عثمان؟ فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول: يوم جيش العسرة يقول: من ينفق نفقة متقبلة؟ فجَهَّزَت نصف الجيش من مالي؟ فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول: من يزيد في هذا المسجد بيت في الجنة؟ فاشتريته من مالي؟ فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلاً شهد رومة تباع، فاشتريتها من مالي فأبحتها لابن السيل؟ فانتشد له رجال».

(٢) رواه الترمذي (أبواب المناقب/ مناقب عثمان/ رقم ٣٧٠١)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٢٧٩)، والحاكم (رقم ٤٦٠٩) عن عبد الرحمن بن سمرة. قال الترمذي: «هذا»

وكما صنع أبو بكر الصديق رضي الله عنه، الذي قال عنه النبي ﷺ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالٌ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

- ومنهم الذابُّ عنه بلسانه، كما فعل حسان بن ثابت رضي الله عنه في هجائه لكفار قريش، وقد قال له النبي ﷺ: «اهْجُئْهُمْ - أَوْ هَاجِئْهُمْ - وَجِرِيلٌ مَعَكَ»^(٢). وقالت عائشة رضي الله عنها: «اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَكَيْفَ بِنَسَبِي؟ فَقَالَ حَسَّانُ: لَا سُلْتَنَكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ»^(٣).

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ

=حديث حسن غريب من هذا الوجه». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(١) رواه ابن ماجه (المقدمة/ باب فضل أبي بكر/ رقم ٩٤)، والنسائي في الكبرى (كتاب المناقب/ فضل أبي بكر/ رقم ٨١١٠)، والإمام أحمد (٢/ ٢٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله». وإسناده صحيح كما قال الألباني في الصحيحة (رقم ٢٧١٨).

(٢) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة/ رقم ٣٢١٣)، ومسلم (كتاب الفضائل/ باب فضائل حسان ابن ثابت رضي الله عنه / رقم ٦٣٣٧) عن البراء بن عازب.

(٣) رواه البخاري (كتاب الأدب/ باب هجاء المشركين/ رقم ٦١٥٠)، ومسلم (كتاب الفضائل/ باب فضائل حسان ابن ثابت رضي الله عنه / رقم ٦٣٤٣).



أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: اهْجُؤْهُمْ، فَهَجَّاهُمْ، فَلَمْ يَرْضَ. فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ أَنْ لَكُمْ أَنْ تُرْسَلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ أَذْلَعَ لِسَانَهُ، فَجَعَلَ يُجَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا فَرِيئَتَهُمْ بِلِسَانِي فَرِي الْأَدِيمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي. فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ لَخِّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَأَسْأَلَنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: هَجَّاهُمْ حَسَّانُ، فَشَفَى وَاشْتَفَى^(١).

وقد نهج المسلمون عموماً، والعلماء خصوصاً، نهج الصحابة الكرام في الدفاع عنه ﷺ بعد مماته، كلُّ حسب جهده، وبحسب تخصصه وفنّه الذي يحسنه.

فالفقيه يذبُّ التحريف عن دينه، والتلاعب بالأحكام التي جاء بها.

(١) رواه مسلم (كتاب الفضائل/ باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه) / رقم ٦٣٤٥.

والأصولي يذبُّ عنه بالتأصيل للقضايا الفقهية، ممَّا يمنع وصول الفساد لشرعه.

والمحدث يذبُّ عنه بالذود عن حياض سنته، والكشف عمَّا اخترعه المخترعون، ودسَّه الوضاعون في سنته.

وكلُّ هذا يُعدُّ دفاعاً عن النبي الكريم ﷺ، لا يقلُّ بحال عن الدفاع عن نفسه وعرضه صلوات ربي وسلامه عليه.

ولمَّا كنتُ ممنَ منَّ الله عليهم بالتخصص في علم الحديث -وأُتيحت لي فرصة المشاركة في هذا المؤتمر المبارك- أحببتُ أن تكون مشاركتي حول جهود المحدثين في الدفاع عن النبي ﷺ؛ إبرازاً لجهودهم المباركة، وليكونوا مثلاً يُحتذى به.

خطة البحث:

وقد رأيتُ أن أقسم البحث إلى ثلاثة مباحث، وخاتمة.

- المبحث الأول: الغاية من التأليف في علوم الحديث، وابتكار علم مصطلح الحديث.
- المبحث الثاني: تطور التأليف في علوم الحديث.



- المبحث الثالث: المميزات العامة لمنهج المحدثين في الدفاع عن النبي

ﷺ

- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

الغاية من التأليف في علوم الحديث، وابتكار علم مصطلح الحديث

إنَّ أعظمَ ما يُميِّزُ المحدثين في رحلة دفاعهم عن النبي ﷺ وسنته: هو تأسيسهم لفنِّ مصطلح الحديث، أو قواعد علوم الحديث؛ إذ بواسطته يتمكن أهل العلم من الردِّ على من يحاول الطعن فيه ﷺ. وذلك، لأنَّ الطعن بأيِّ شخص، له حالتان:

الأولى: أن يكون مجرد استخفاف وسخرية، كما فعل أصحابُ تلك الصور المشؤومة، التي سخروا فيها من النبي ﷺ.

والردُّ على هذه الطائفة، يكون من خلال إثبات نبوته ﷺ، وبيان مكانته وفضائله، وبيان حكم من نال منه، أو استهزأ به، أو أساء إليه ﷺ.

الثانية: أن يكون بالطعن فيه، من خلال تتبع سيرته، ومحاولة الوقوف على ما يمكن أن يكون طعنًا وشيناً فيه وفي أخلاقه.

ولمَّا كان رسولنا الكريم ﷺ أفضلَ الخلق خُلُقاً، ووصفاً، وكمالاً، فإنَّه لا يمكن لأحد أن يجد في سيرته ما يصلح متمسكاً للطعن فيه والنيل منه.

ومن هنا، فمن أراد الطعن فيه ﷺ، فإنَّه سيسلكُ أحدَ مسلكين، لا

ثالث لهما.

الأول: الكذب عليه ﷺ، ومحاولة دسّ أحاديث تغضّ من مكانته، وتحطّ من قدره ﷺ.

الثاني: حمل بعض أحاديثه على معانٍ محرّفة، غير ما سيقّت من أجله، عسى أن يكون فيها مطعناً^(١).

وقد تصدّى المحدثون لهذه المحاولات، فوضعوا قواعد وأصولاً، يُميّزُ المسلم من خلالها ما صحّ عن النبي ﷺ ممّا لم يصح، حتى يسدوا على المغرضين الطريق.

فكان هذا العلم - أعني أصول الحديث أو علومه - بحق، كما سمّاه الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة: منطق المنقول، وميزان تصحيح الأخبار^(٢). ولما قلّ العارفون بهذه القواعد، احتاج الناس إلى تأليف كتب خاصة تعرّفهم بها.

ومن هنا جاءت فكرة التأليف في علوم الحديث، كحلقة من حلقات هذا

(١) ومن تأمل في تلك الافتراءات التي افتراها أعداء النبي ﷺ، وجدها لا تخرج عن هذين الأمرين.

(٢) سمّاه بذلك في مقدمته للباحث الحثيث (١/ ٧٧).

الدفاع المبارك.

ويمكن إجمال السبب، وراء ابتكار المحدثين لهذا الفن في سببين اثنين، هما:

الأول: الدفاع عن سنة النبي ﷺ، وتمييز صحيحها من ضعيفها.

الثاني: الدفاع عن منهج تلك العصابة التي تولت الدفاع عن النبي ﷺ

وسنته.

قال أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) - مبيناً سبب تأليفه كتابه معرفة علوم الحديث -: «أما بعد، فإني لما رأيت البدع في زماننا كثرت، ومعرفة الناس بأصول السنن قد قلت، مع إمعانهم في كتابة الأخبار، وكثرة طلبها على الإهمال والإغفال، دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف، يشتمل على أنواع علم الحديث، مما يحتاج إليه طلبة الأخبار المواظبون على كتابة الآثار، وأعمد في ذلك سلوك الاختصار، دون الإطناب في الإكثار، والله الموفق لما قصدته، والمأن في بيان ما أردته، إنه جواد كريم رءوف رحيم»^(١).

فبينَ ﷺ - وهو من أوائل من صنّف في علوم الحديث - أن سبب تأليفه

في هذا الفن هو شيوخ البدع في الناس، مع كتابتهم لأخبار المصطفى ﷺ، وما ذلك إلا لعدم تمييزهم بين صحيحها وضعيفها.

(١) معرفة علوم الحديث (ص ١٠٦-١٠٧)، وانظر: علوم الحديث لابن الصلاح (ص ٦).

وهذا أبو محمد عبد الرحمن بن الحسن الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) وهو أول من خصَّ علوم الحديث بكتاب، ألَّف كتابه المحدث الفاضل؛ دفاعاً عن أهل الحديث، وعلَّل ذلك بأنَّهم أفنوا أعمارهم في خدمة سنة النبي ﷺ، والدفاع عنها، ونقلها على الوجه اللائق بها.

فقال رحمه الله: «اعترضت طائفة ممن يشنُّ الحديث ويبغض أهله، فقالوا بتنقص أصحاب الحديث والإضرار بهم، وأسرفوا في ذمِّهم والتقوُّل عليهم، وقد شَرَّف الله الحديث، وفَضَّل أهله، وأعلى منزلته، وحكَّمه على كلِّ نِحْلة، وقَدَّمه على كلِّ علم، ورفع من ذكر مَنْ حمَّله وعُني به، فهم بيضة الدين، ونازُ الحجة. وكيف لا يستوجبون الفضيلة، ولا يستحقون الرتبة الرفيعة؟ وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين، وأخبروا عن أنباء التنزيل، وأثبتوا ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وما عظمه الله ﷻ به من شأن الرسول ﷺ، فنقلوا شرائعه، ودونوا مشاهده، وصنَّفوا أعلامه ودلائله، وحَقَّقوا مناقب عترته، ومآثر آبائه وعشيرته؟!... فمن عرف للإسلام حقَّه، وأوجب للرسول حرمة، أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه، وأعلى مكانه، وأظهر حجته، وأبان فضيلته، ولم يرتق بطعنه إلى حزب الرسول ﷺ وأتباع الوحي، وأوعية الدين ونقله الأحكام والقرآن، الذين ذكرهم الله ﷻ في التنزيل فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾

[التوبة: ١٠٠] فَإِنَّكَ إِن أَرَدْتَ التَّوَصُّلَ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا الْقَرْنِ، لَمْ يَذْكُرْهُمْ لَكَ إِلَّا رَأُوهُ لِلْحَدِيثِ، مُتَحَقِّقًا بِهِ، أَوْ دَاخِلًا فِي حَيْزِ أَهْلِهِ، وَمَنْ سِوَى ذَلِكَ فَرُبُّكَ بِهِمْ أَعْلَمُ^(١).

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَنَا لِحُبِّ نَبِيِّهِ ﷺ، وَحُبِّ مَنْ يُحِبُّهُ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ، وَعَنْ سُنَّتِهِ، آمِينَ.

المبحث الثاني

تطور التأليف في علوم الحديث

لقد مرَّ التأليفُ في الحديث وعلومه بمراحل، نظرَ فيها المحدثون إلى كلِّ زمانٍ نظرته الخاصة، فأقاموا لكلِّ زمانٍ ما يناسبه، ولكلِّ عصرٍ ما يلائمُ المشاكل التي تواجه السنة النبوية.

فاكتفى الصحابة رضي الله عنهم بنقل أحاديثه ﷺ إلى من بعدهم من التابعين، بل لم يكونوا يذكرون الإسناد إلاَّ أحياناً؛ إذ لم يكن فيهم ولا منهم متهمٌ على رسول الله ﷺ. كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «وَاللَّهِ مَا كُلُّ مَا نَحْدُثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْنَاهُ مِنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ بَعْضُنَا بَعْضاً»^(١).

وقال البراء بن عازب: «لَيْسَ كُلُّنَا كَانَ يَسْمَعُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٨١٦)، والطبراني في الكبير (١/٢٤٦/٢٩٩) بإسناد صحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٥٩): «ورجاله رجال الصحيح». وقال الألباني في ظلال الجنة (ص ٣٤٧): «إسناده صحيح على شرط الشيخين». ورواه ابن سعد في الطبقات (٧/٢١)، والحاكم في المستدرک (رقم ٦٥١٧)، والخطيب في الجامع (١/١١٧-١١٨) بلفظ: «وَاللَّهِ مَا كُلُّ مَا نَحْدُثُكُمْ بِهِ سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ كَانَ يَحْدُثُ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَلَا يَتَّهِمُ بَعْضُنَا بَعْضاً».

كَانَتْ لَنَا ضَيْعَةٌ وَأَشْغَالٌ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَكْذِبُونَ يَوْمَئِذٍ، فَيَحْدُثُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(١).

ثم لما ظهرت البدع في آخر زمن الصحابة وأوائل زمن التابعين، وركب الناس الصعب والذلول، وصار أهل البدع يكذبون على النبي ﷺ، التزموا وألزموا غيرهم نقل السنة بالأسانيد، وتتبعوا أحوال النقلة، فما كان عن ثقة قبلوه، وما لم يكن كذلك ردّوه.

قال محمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ): «لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ»^(٢).

ثم لما طال الزمن، وكثر الرواة في آخر زمن أتباع التابعين وبداية زمن تبع الأتباع، بدأوا تأليف كتب ضمّت أسماء الرواة وأخبارهم، ومن يُحتج به منهم

(١) رواه الراهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٢٣٥)، والحاكم في المستدرک (رقم ٤٤٩)، والخطيب في الجامع (١/١١٧). قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ورواه الإمام أحمد (٤/٢٨٣) بلفظ: «ما كل ما نحدثكموه سمعناه من رسول الله، ولكن حدثنا أصحابنا، وكانت تشغلنا رعية الإبل». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٥٩): «ورجاله رجال الصحيح».

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (رقم ٢٧).

مَنْ يُرد، وكتبٍ أخرى في تمييز ما صحَّ من أخبار النبي ﷺ ممَّا لم يصح. وهم في ذلك كلُّه يسيرون وفق قواعد مدروسة، وضوابط مقننة، وإطار منهجي متقن، تداولوه بينهم - وإن لم يصرحوا به - حتى صار الجاهل بهذه القواعد يظن أنه ضربٌ من السحر. ولَمَّا امتد الزمن، وضعفت أهلية العامة في تمييز صحيح السنة من ضعيفها، احتاج الناس إلى معرفة تلك القواعد، فتجرَّد لذلك علماء أفذاذ على مرِّ العصور، فجمعوا تلك القواعد، وحرَّروها، ونشروها، وسمَّوها علوم الحديث^(١)، أو أصول الحديث^(٢)، أو مصطلح الحديث^(٣).

مراحل التصنيف في علوم الحديث:

مرَّ التصنيف في علوم الحديث بمراحل، يمكن تلخيصها في ثلاث مراحل:

- (١) مَنْ سَمَّى كتابه بذلك: أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، فسماه: معرفة علوم الحديث. وابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) فسمَّاه: معرفة أنواع علوم الحديث.
- (٢) مَنْ سَمَّى كتابه بذلك: العلاء بن النفيس (ت ٦٨٩هـ)، فسماه: أصول علم الحديث. والطبي (ت ٧٤٣هـ)، فسماه: الخلاصة في أصول الحديث.
- (٣) مَنْ سَمَّى كتابه بذلك: ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، فسماه: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر.

المرحلة الأولى: وامتدت طيلة القرنين الثاني والثالث^(١)، حيث كانت قواعد هذا العلم منشورة في مصنفات شتى، ولم تُفرد بكتاب مخصوص، بل كان المحدثون يذكرون بعض هذه القواعد في مقدّمات كتبهم، أو ضمن كتب متعلقة بعلم الحديث.

ولعلّ من أوائل من ذكر جملة من قواعد هذا العلم في مصنف:

- الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، حيث تعرّض في كتابه الرسالة إلى بعض المباحث المتعلقة بحجية السنة، والاحتجاج بالمرسل، والتدليس، والمنقطع، وشروط من تُقبل روايته.

- والإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) في مقدمة صحيحه، فقد تعرّض فيها إلى أنواع من علوم الحديث، كمشروعية الجرح والتعديل وتصنيف الرواة إلى ثقات وضعفاء، والحديث المعنعن وشرط قبوله، والمنكر، وغيرها من الأنواع.

- وأبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) في رسالته إلى أهل مكة، التي شرح

(١) بدأت بالقرن الثاني؛ لأن التدوين والتصنيف في السنة لم يظهر إلّا في النصف الثاني من القرن الثاني، على يد جماعة متعاصرين من الأئمة، كمعمر بن راشد (ت ١٥٤هـ) في جامعه، وسفيان الثوري (ت ١٦١هـ) في جامعه، وحماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ) في مصنفه، والإمام مالك (ت ١٧٩هـ) في موطئه.

فيها طريقته في كتابه السنن، وقد ذكر فيها أنواعاً من علوم الحديث؛ كالغريب، والمرسل، والاحتجاج بالضعيف.

- ومحمد بن إسماعيل الترمذي (ت ٢٧٩هـ) حيث ختم كتابه السنن بكتاب العلل، ذكر فيه جملة ليست بالقليلة من مباحث هذا الفن، فذكر الصحيح، والحسن، والغريب، والمرسل، وذكر مباحث في الجرح والتعديل وطبقات الرواة.

وغير هؤلاء كثر، مَن تناثرت هذه القواعد في ثنايا كتبهم. كما أفردت بعض الكتب في بيان نوع من أنواع علوم الحديث خاصة، مثل: كتب الجرح والتعديل^(١)، وكتب العلل^(٢)، وكتب المراسيل^(٣). ومنهم من أفرد كتاباً في موضوع خاص منها، كالأقران للإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، ورسالة في التسوية بين حدثنا وأخبرنا للطحاوي

(١) مثل كتاب التاريخ الكبير للبخاري (ت ٢٥٦هـ)، وأحوال الرجال للجوزجاني (ت ٢٥٩هـ).

(٢) مثل كتاب العلل لعليل بن المديني (ت ٢٣٤هـ)، وكتاب العلل للإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)، وكتاب التمييز لمسلم (ت ٢٦١هـ).

(٣) مثل كتاب المراسيل لابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).

(ت ٣٢١هـ)^(١).

وهذه المباحث في مجملها هي ما كَوَّن كتب المصطلح أو علوم الحديث، في المراحل اللاحقة.

المرحلة الثانية: وامتدت من منتصف القرن الرابع إلى نهاية القرن السادس تقريباً، حيث بدأت قواعد هذا الفن تتعدّد وتنوع، وضاعت مؤلفات الحديث عن استيعابها، فاحتاج الناس إلى إفرادها في كتب مستقلة، جمعت القواعد المقررة في المرحلة الأولى وما قبلها.

- وقد كانت أولى تلك المحاولات: محاولة القاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ)، حيث ألّف كتاباً سمّاه المَحَدُّثُ الفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاويِ وَالوَاعِي. قال عنه الحافظ ابن حجر: «وهو أوّل كتاب صُنّفَ في علوم الحديث في غالب الظن، وإن كان يوجد قبله مصنفات مفردة، في أشياء من فنونه، لكن هذا أجمع ما جُمع في ذلك في زمانه، ثم توسّعوا في ذلك»^(٢).

لكنّه لم يستوعب أنواع علوم الحديث، بل اقتصر على شيء قليل منها،

(١) والكتاب مطبوع ضم خمس رسائل في علوم الحديث، بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

(٢) المعجم المؤسس (١/١٨٦).

وهي ما يتعلق بكتابة الحديث وروايته، وآداب طالب الحديث، فكان كما قال أبو السعادات ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ): «كُلُّ مبتدئٍ لشيءٍ لم يُسبق إليه، ومبتدعٍ أمراً لم يُتقدَّم فيه عليه، فإنَّه يكون قليلاً ثمَّ يكثر، وصغيراً ثمَّ يكبر»^(١).

- ثم تلاه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)، فألَّف كتابه (معرفة علوم الحديث)، وهو أوَّل كتاب متوسع في علوم الحديث، حيث ذكر اثنين وخمسين نوعاً من أنواع علوم الحديث، غير أنَّه كما قال الحافظ ابن حجر: «لم يُهذَّب، ولم يُرتَّب»^(٢).

- ثم تلاه أحمد بن عبد الله أبو نُعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) صاحب حلية الأولياء، فعمل مستخرجاً على كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم، قال عنه

(١) النهاية في غريب الحديث (١/٢٣).

وقال في مقدمة جامع الأصول (١/٣٢): «كل نوع من أنواع العلوم والصنائع والدول وغيرها، فإنه يبتدئ قليلاً قليلاً، ولا يزال ينمي ويزيد ويعظم، إلى أن يصل إلى غاية هي منتهاه، ويبلغ إلى أمد هو أقصاه، ثم يعود».

(٢) نزهة النظر (ص ٣٨).

وهذا بخلاف ما قاله ابن خلدون في المقدمة (ص ٣٧١): «وهو الذي هذَّبَه، وأظهر محاسنه». فلعلَّ مراد ابن خلدون ما ذكرنا: من كونه أوَّل من توسع في ذكر أنواع علوم الحديث، وأظهر أهمية جمع هذه القواعد، وضرورة بسطها.

ابن حجر: «وأبقى أشياء للمتعبِّ»^(١).

- ثم جاء المرجوع إليه في هذا الفن^(٢)، والجامع لأوصاره المتفرقة، وهو أبو بكر أحمد ابن علي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ)، فصنَّف كتابين جامعين: (الكفاية في قوانين الرواية)، و(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، وقُلَّ فنٌّ من فنون الحديث إلَّا وقد صنّف فيه كتاباً مفرداً^(٣)، حتى قال أبو بكر بن نقطة (ت ٦٢٩ هـ): «لا شبهة عند كل لبيب: أنَّ المتأخرين من أصحاب الحديث عيالٌ على أبي بكر الخطيب»^(٤).

- ثم وُجدت مؤلفات بعد هذه. قال ابن حجر: «ثم جاء بعض من تأخر عن الخطيب، فأخذ من هذا العلم بنصيب، فجمع القاضي عياض كتاباً لطيفاً، سمَّاه الإلماع»^(٥).

(١) نزهة النظر (ص ٣٨).

(٢) وصفه بذلك ابن حجر في فتح الباري (١٠/٥٣).

(٣) تجاوزت مصنفاته في علوم الحديث المائة وأربعين مصنفًا، منها: الرحلة في طلب الحديث، والفصل للوصل المدرج في النقل، والأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، والمتفق والمفترق. وله كتاب في المقلوب، وآخر في المعلول، وآخر في المزيد في متصل الأساني، وفي من حدث ونسي، وفي رواية الصحابة عن التابعين، وفي متشابه النسب، وغيرها.

(٤) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص ١٥٤).

(٥) اسمه: الإلماع في أصول الرواية وتقييد السماع. وهو مختص ببيان طرق تحمل الحديث وكتابته.

وأبو حفص المياني جزءاً، سمّاه: ما لا يسع المحدث جهله^(١).

وقد تميّزت هذه المرحلة بنقل أقوال أئمة الحديث في المرحلتين السابقتين بالأسانيد، ثم استخلاص القواعد منها. أو العكس؛ بأن تُذكر القواعد أولاً، ثم ينقل تقريرها عمّن قال بها من الأئمة.

المرحلة الثالثة: وهي ما بعد القرن السادس، حيث جُمعت القواعد والأقوال المنقولة في كتب المرحلة الثانية، مرتّبة مهذبّة، مع حذف أسانيدھا إلى قائلھا، وصياغة القاعدة على هيئة ضوابط وصور، يسهل على الطالب المبتدئ دراستھا.

ومن أهم كتب هذه المرحلة: كتاب معرفة أنواع علوم الحديث للحافظ أبي عمرو ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، ألّفه لما ولي تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية^(٢)، وذكر فيه خمسة وستين نوعاً من أنواع علوم الحديث، هي خلاصة ما

(١) نزّهة النظر (ص ٣٩).

(٢) قال ابن حجر في نزّهة النظر (ص ٤٠): «وأملّاه شيئاً بعد شيء، فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المناسب».

وقال ابن كثير في اختصار علوم الحديث (١/ ٩٨): «في بسطه هذه الأنواع إلى هذا العدد نظر؛ إذ يمكن إدماج بعضها في بعض، وكان أليق مما ذكره. ثم إنه فرق بين متماثلات منها بعضها عن بعض، وكان اللائق ذكر كل نوع إلى جانب ما يناسبه».

ذُكِرَ في كتب من سبقه، اعتنى فيه بكتب الخطيب المفرقة، فجمع شتات مقاصدها، وضمَّ إليها من غيرها نُحَبَ فوائدها، فاجتمع في كتابه ما تفرَّق في كتب غيره، فكان بحقَّ المهذب لهذا الفن، والمقنن له. وصار عمدة لمن جاء بعده، احتذوا حذوه، ولزموا غرضه، ووافقوه علي ترتيبه.

قال الحافظ ابن حجر: «فلهذا عكف الناس عليه من بعده، وساروا بسيره، فلا يُحصى كم ناظم له^(١)، ومختصر^(٢)، ومستدرک عليه ومقتصر،

(١) من نظم كتاب ابن الصلاح: الشهاب الخُوَّيِّ (ت ٦٩٣هـ) في منظومة سماها أقصى الأمل والسؤل في علوم أحاديث الرسول.

وزين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ) في كتابه ألفية الحديث.
وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في ألفيته.

(٢) من اختصر كتاب ابن الصلاح: محي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) في كتابه إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق. ثم اختصر الإرشاد في التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير.

وبدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) في كتابه المنهل الروي في علوم الحديث النبوي.
والشرف الطيبي (ت ٧٤٣هـ) في الخلاصة في كتابه أصول الحديث.
وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في كتابه اختصار علوم الحديث.

وبرهان الدين الأبناسي (ت ٨٠٢هـ) في الشذى الفياح من علوم ابن الصلاح. والسراج ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، في كتابه المقنع. وابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) في كتابه الاقتراح.

ومعارض له ومنتصر^(١)»^(٢).

واستمر الحال على اعتماد ابن الصلاح، والسير بسيره في الترتيب والتبويب، حتى جاء أمير المؤمنين في الحديث: الحافظ أحمد بن علي بن حَجَر (ت ٨٥٢هـ)، فألف كتابه نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، وشرحه في نزهة النظر، فرتبّه على غير ما رتب به ابن الصلاح كتابه، ووضع كتابه النكت على ابن الصلاح، فهذب كثيراً من تعاريف ابن الصلاح، وقيد بعض ما أطلقه، وأطلق بعض ما قيده، فصار العمدة في هذا الفن.

قال عنه المناوي^(٣) (ت ١٠٣١هـ): «فريد زمانه... إمام هذا الفن للمقتدين، ومقدم عسكر المحدثين، مرجع الناس في التضعيف والتصحيح، وأعظم الشهود والحكام في التعديل والتجريح، قضى له كل حاكم بارتقائه في علم الحديث إلى أعلى الدرج، حتى قيل: حدث عن البحر ولا حرج»^(٤).

(١) يسمى هذا النوع من الكتب: بالنكت، منها: إصلاح ابن الصلاح لمغلطاي (ت ٧٦٢هـ).

ومحاسن الاصطلاح لسراج الدين البلقيني (ت ٨٠٥هـ).

والتقييد والإيضاح لما أطلق أو أغلق من مقدمة ابن الصلاح للعراقي (ت ٨٠٦هـ).

والنكت على ابن الصلاح لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ).

والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (ت ٨٥٢هـ).

(٢) انظر: نزهة النظر (ص ٤٠).

(٣) اليواقيت والدرر (١/ ١١٧).

- ثم قامت في عصرنا الحاضر بعض الدراسات الجادة، التي تمثّل محاولة الرجوع إلى كلام الأئمة، وجمع أقوال أئمة النقاد، وتحقيق أقوالهم في بعض المسائل المتعلقة بعلوم الحديث.

المبحث الثالث

المميزات العامة لمنهج المحدثين في الدفاع عن النبي ﷺ

لم يسبق في تاريخ العلم أن وُجد منهج في توثيق النصوص، أقوم ولا أدق من منهج المحدثين في حراسة السنة النبوية، فقد شيدوا لذلك منهجاً علمياً محكماً ورصيناً، ساروا عليه، ولم يحدوا عنه^(١).

وقد تميّز هذا المنهج بأصول عامة، هي التي منحت هذه المكانة، وبوأته هذه

(١) وهذا مراعاة منهم -رحمهم الله- لما امتن الله به على هذه الأمة، واختصها به من نعمة الإسناد. قال محمد بن حاتم بن المظفر: «إن الله أكرم هذه الأمة، وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد، إنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياءهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات. وهذه الأمة إنما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه، المشهور بالصدق والأمانة، عن مثله حتى تنتهي أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة. ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهاً أو أكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدوه عدداً. فهذا من أفضل نعم الله تعالى على هذه الأمة، نستوزع الله شكر هذه النعمة». انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص ٨٥).

المنزلة، وسأعرض في هذا المبحث بإذن الله إلى أبرز هذه الأصول، حتى تكون منهجاً عاماً لنا في دفاعنا عن نبينا صلوات ربي وسلامه عليه.

أولاً: إخلاص النية لله جل وعلا:

من الأصول الأولى التي اعتمد عليها المحدثون في رحلة دفاعهم عن السنة النبوية: إخلاص العمل لله، فمن أخلص لله في عمله أعانه عليه. لذا حرص المحدثون على حث طالب الحديث وراوييه على هذا الأصل العظيم. قال ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ): «فأول ما عليه: تحقيق الإخلاص، والحذر من أن يتخذة وصلة إلى شيء من الأغراض الدنيوية»^(١). وحذر غير واحد منهم، من مغبة طلب الحديث لغير الله، فقال حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ): «من طلب الحديث لغير الله مكر به»^(٢).

ثانياً: الجلد وقوة الصبر والاحتمال:

فقد علموا أن هذا الأمر الذي انتصبوا إليه، لم يكن ليتم لهم إلا بالجهد

(١) علوم الحديث (ص ٢٤٥).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (١/ ٨٥)، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥٣٥).

والصبر، فراضوا أنفسهم على الصبر عليه، وتواصوا به. قال البخاري (ت ٢٥٦هـ): «أفضل المسلمين: رجل أحيا سنة من سنن الرسول ﷺ قد أميتت، فاصبروا يا أصحاب السنن رحمكم الله، فإنكم أقل الناس»^(١).
وقال يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): «أربعة لا يؤنس منهم رشداً - فذكر منهم -: ورجل يكتب في بلده، ولا يرحل في طلب الحديث»^(٢).
وقد تمثل ذلك في:

أ- صبرهم في جمع المرويات، وفي أثناء الرحلة في طلب الحديث، فكان الواحد منهم يقطع المسافات الطوال من أجل سماع الحديث، والتنقل بين الشيوخ. وكانوا بحق كما وصفهم منصور بن عمار الخراساني: «ووكّل بالآثار المفسّرة للقرآن والسنن القوية الأركان عصابة منتخبة، ووفّقهم لطلابها وكتابها، وقوّاهم على رعايتها وحراستها، وحبّ إليهم قراءتها ودراستها، وهوّن عليهم الدأب والكلال، والحلّ والترحال، وبذل النفس مع الأموال، مع ركوب المخوف من الأهوال، فهم يرحلون من بلاد إلى بلاد، خائضين في العلم خائضين

(١) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (١/١١٢).

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ١١٩)، والرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (رقم ١٤).

في العلم كل واد، شعث الرؤوس، خلقان الثياب، خمص البطون، ذبل الشفاء، شحب الألوان، نحل الأبدان، قد جعلوا لهم همّاً واحداً، ورَضُوا بالعلم دليلاً ورائداً، لا يقطعهم عنه جوع ولا ظمأ، ولا يملُّهم منه صيف ولا شتاء، مائزين الأثر صحيحه من سقيمِه، وقويّه من ضعيفِه، بألباب حازمة، وآراء ثاقبة، وقلوب للحقّ واعية، فأمنت من تمويه المموّمين، واختراع الملحدين، وافتراء الكاذبين، فلو رأيتَه في ليله وقد انتصبوا لنسخ ما سمعوا، وتصحيح ما جمعوا، هاجرين الفرش الوطيء، قد غشيهم النعاس فأنامهم، وتساقطت من أكفهم أقلامهم، فانتبهوا مذعورين قد أوجع الكد أصلاهم، وتيّه السهر ألبابهم، فتمطّوا ليريحوا الأبدان، وتحولوا ليفقدوا النوم من مكانٍ إلى مكانٍ، ودلّكوا بأيديهم عيونهم، ثم عادوا إلى الكتابة حرصاً عليها، وميلاً بأهوائهم إليها؛ علمت أنهم حرّاس الإسلام، وخزّان الملك العلّام^(١).

بل كان بعضهم يرحل من بلد إلى بلد، من أجل حديث واحد، بل الكلمة الواحدة يَسْتَثْبِت فيها^(٢).

(١) المحدث الفاضل للرامهرمزي (ص ٢٢٠-٢٢١). وانظر: مصداق هذا في الجرح والتعديل

لابن أبي حاتم (١/٣٥٩-٣٦٠).

(٢) انظر: المجروحين لابن حبان (١/٣١).

ب- سماع الحديث على الوجه مرّات وكُرّات، ليطمئنّ الوهم فيه ممّن.

قال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ): «سمعت محمد بن إبراهيم بن أبي شيخ الملقب يقول: جاء يحيى بن معين إلى عفّان ليسمع منه كتب حماد بن سلمة، فقال له: ما سمعتها من أحد؟ قال: نعم، حدّثني سبعة عشر نفساً عن حماد بن سلمة. فقال: والله لا حدّثتك. فقال: إنّها هو درهم، وأنحدر إلى البصرة فأسمع من التبوذكي. قال: شأنك. فانحدر إلى البصرة، وجاء إلى موسى بن إسماعيل، فقال له موسى: لم تسمع هذه الكتب عن أحد؟ قال: سمعتها على الوجه من سبعة عشر نفساً، وأنت الثامن. فقال: وما تصنع بهذا؟ فقال: إنّ حماد بن سلمة كان يخطئ، فأردت أن أُميّز خطأه من خطأ غيره، فإذا رأيت أصحابه قد اجتمعوا على شيء علمتُ أنّ الخطأ من حماد نفسه، وإذا اجتمعوا على شيء عنه، وقال واحد منهم بخلافه، علمتُ أنّ الخطأ منه لا من حماد، فأُميّز بين ما أخطأ هو بنفسه، وبين ما أخطأ عليه»^(١).

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري (ت ٢٥٠هـ تقريباً): «كلُّ حديث لا

يكون عندي من مائة وجه، فأنا فيه يتيّم»^(٢).

بل كان بعضهم لا يعتدُّ بسماع الحديث إذا سمعه مرة واحدة.

(١) المجروحين (١/ ٣٤-٣٥).

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٩٤)، وتهذيب الكمال (٢/ ٩٧).

قال أبو الوليد الطيالسي (ت ٢٢٧هـ): «سألتُ شعبة عن حديث، فقال: والله لا حدّثتك به، لم أسمعهُ إلاّ مرّةً واحدة»^(١).

قال ابن حبان (ت ٣٥٦هـ): «فهذا كان دأبُ شعبة في تفتيش الأخبار والبحث عن سقيم الآثار، ولم يكن يعدُّ السماع من الشيخ إلا بعد أن يسمعه مراراً. وكذلك كان زائدة بن قدامة، إذا سمع الحديث مرّةً لم يحز عليه، فإذا سمعه أخرى لم يحزه، فإذا سمعه ثالثة أجاز عليه، وقال: قد صحَّ»^(٢).

ثالثاً: الدقّة في التمييز بين المتشابهات:

تميَّز منهج المحدثين بالدقّة المتناهية، حتّى إنهم فرّقوا بين أمور، قد لا يبدو فيها فرقٌ لغير المتأمل، أو يكون الفرق واضحاً، لكن لا تبدو حاجة إلى التفريق بينها، وما ذلك إلاّ لشدة التشابه بينها.

فمن ذلك: وضعهم لسُلم الجرح والتعديل، وتصنيفهم الرواة في مراتب وفقاً لدرجة وثاقتهن أو ضعفهن، فليس كل الرواة في مرتبة واحدة، بل منهم الثقة والأوثق، والضعيف والأضعف^(٣).

(١) المجروحين (١/ ٣٤).

(٢) المجروحين (١/ ٣٣).

(٣) انظر هذا التصنيف البديع مجدولاً في ضوابط الجرح والتعديل لشيخنا د. عبد العزيز =

وهذا إنصافٌ منهم للرواة، وإنزالُ لهم منازلهم التي يستحقونها.
وتظهر ثمرة هذا السلم في جانبيين:

الأول: الترجيح بين الثقات عند الاختلاف، فإذا خالف الراوي من هو
أوثق منه خُطّي، وحُكِم على روايته بالوهم.

قال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): «وأهل الحديث متباينون، فمنهم
المعروف بعلم الحديث؛ بطلبه وسماعه من الأب والعم وذوي الرحم والصديق،
وطول مجالسة أهل التنازع فيه. ومن كان هذا كان مقدماً في الحفظ، إن خالفه من
يقصر عنه، كان أولى أن يُقبل حديثه ممن خالفه من أهل التقصير عنه»^(١).
وقال ابن عقيل (ت ٥١٣هـ): «ووجه ذلك: أن الأتقن والأحفظ، النفس
إلى روايته أسكن، والظن بصحتها أغلب؛ لأنه يكون عن السهو والشبهة
أبعد»^(٢).

والثاني: إمكانية اعتضاد الرواية في حق الضعفاء، فإنها تتقوى الرواية إن
جاءت من طريق راوٍ سيء الحفظ، دون من كان متَّهماً، أو فاحش الغلط.

=العبد اللطيف ﷺ (ص ١٧١، ١٧٣).

(١) الرسالة (ص ٣٨٢-٣٨٣).

(٢) الواضح في أصول الفقه (٨١ / ٥).

قال ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ): «ليس كلُّ ضعف في الحديث يزول بمجئيه من وجوه، بل ذلك يتفاوت، فمنه ضعف يُزيله ذلك؛ بأن يكون ضعفه نائشاً من ضعف حفظ راويه، مع كونه من أهل الصدق والديانة، فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنه مما قد حفظه، ولم يختل فيه ضبطه له... ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك؛ لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعيف الذي ينشأ من كون الراوي متَّهماً بالكذب، أو كون الحديث شاذاً»^(١).

رابعاً: الثبوت وعدم المجازفة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].
وقد تمثل هذا في:

أ- عدم المجازفة بالطعن في الراوي بمجرد التوهم والظن، بل كانوا لا يتكلمون في الراوي إلاً بيقين. قال السخاوي (ت ٩٠٢هـ) -وهو يعدد الشروط الواجب توافرها في الجرح-: «لا يأخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف؛ خوفاً من

(١) علوم الحديث (ص ٣٤)، وانظر: اختصار علوم الحديث لابن كثير (١/ ١٣٣-١٣٤).

الدخول تحت قوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١).

وقال -أيضاً-: «وإذا كان الذي بلغه فيه احتمالٌ مستوي الطرفين، لا يجزم بأحدهما، بل يقفُ ويحتاطُ فيما يمكن المخلص عنه بتأويل صحيح»^(٢).

فهذا ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) -وهو معدودٌ من متشدّدي المحدثين في الجرح- كثيراً ما يتوقف في جرح الراوي إذا كان متردداً في تمييز حاله، ويقول: هو ممن أستخير الله فيه.

ومن ذلك: قوله في خُصيف بن عبد الرحمن: «وكان خُصيف شيخاً صالحاً، فقيهاً عابداً، إلا أنه كان يخطئ كثيراً فيما يروي، وينفرد عن المشاهير بما لا يُتابع عليه، وهو صدوقٌ في روايته، إلا أن الإنصاف في أمره: قبولُ ما وافق الثقات في الرواية، وتركُ ما لا يُتابع عليه، وإن كان له مدخلٌ في الثقات، وهو ممن أستخير الله فيه»^(٣).

(١) رواه البخاري (كتاب الأدب/ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير/ رقم ٦٠٦٤)، ومسلم

(كتاب البر والصلة/ باب تحريم الظن والتجسس/ رقم ٦٤٨٢) عن أبي هريرة.

(٢) الإعلان بالتوبيخ (ص ٧٠).

(٣) الإعلان بالتوبيخ (ص ٦٩).

(٤) المجروحين (١/ ٣٥٠)، وانظر: (١/ ٢٢٢) ترجمة بهز بن حكيم، (١/ ٢٥١) ترجمة جعفر

ابن الحارث، (١/ ٣٤٦) ترجمة خالد بن يزيد بن أبي مالك، وغيرها.

ب- التَّشْبُّتُ في إصدار الأحكام على الأحاديث، وعدم المسارعة إلى تصحيحها أو تضعيفها.

فمن ذلك: قول البخاري (ت ٢٥٦هـ): «صَنَّفْتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلْتُ فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقَّنت صحته»^(١).

فهذا في جانب التصحيح.

أمَّا في جانب التضعيف، فقد قال ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ): «إذا رأيت حديثاً بإسناد ضعيف، فلك أن تقول: هذا ضعيف، وتعني بذلك الإسناد ضعيف. وليس لك أن تقول: هذا ضعيفٌ، وتعني به ضعف متن الحديث؛ بناء على مجرد ضعف ذلك الإسناد، فقد يكون مروياً بإسناد آخر صحيح يثبت بمثله الحديث، بل يتوقف جواز ذلك على حكم إمام من أئمة الحديث بأنه لم يُروَ بإسناد يثبت به، أو بأنه حديثٌ ضعيف، أو نحو هذا مفسراً وجه القدح فيه»^(٢).

ج- التَّشْبُّتُ فيما يروونه عن النبي ﷺ، فلا يحدثون إلا بما تيقَّنوه، فإن اضطروا إلى التحديث بما لم يتيقَّنوه، أظهروا شكَّهم.

(١) هدي الساري (ص ٥١٣).

(٢) علوم الحديث (ص ١٠٢-١٠٣).

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم في هذا أروع الأمثلة، فلم يكونوا يحدثون عن النبي ﷺ، إلا بما تيقنوا إتيانه.

فمن ذلك: قول أنس بن مالك رضي الله عنه: «إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

وما رواه عبد الله بن الزبير قال: قلت للزبير: «إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ. قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَفَارِقْهُ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): «والمخطئ وإن كان غير مأثوم بالإجماع، لكن الزبير خشي من الإكثار أن يقع في الخطأ وهو لا يشعر؛ لأنه وإن لم يَأْثُم بالخطأ، لكن قد يَأْثُم بالإكثار؛ إذ الإكثار مظنة الخطأ، والثقة إذا حَدَّثَ بالخطأ، فحمل عنه وهو لا يشعر أنه خطأ، يُعْمَلُ به على الدوام للوثوق بنقله، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع، فمن خشي من الإكثار الوقوع في الخطأ، لا يؤمن عليه الإثم إذا تعمَّد الإكثار، فمن تَمَّ توقُّفَ الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث. وأمَّا من أكثر منهم، فمحمولٌ على أنَّهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبت، أو طالت

(١) رواه البخاري (كتاب العلم/ باب إثم من كذب على النبي ﷺ / رقم ١٠٨).

(٢) رواه البخاري (كتاب العلم/ باب إثم من كذب على النبي ﷺ / رقم ١٠٧).

أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم، فسئلوا، فلم يُمكنهم الكتان ﷺ»^(١).

خامساً: الورع وعدم الأنفة من التراجع عن الخطأ:

وهذه من أعظم صفات المحدثين ومنهجهم، فلم يكونوا يأنفون من الاعتراف بالخطأ، والتراجع عنه، إذا تبين لهم الصواب. بل كانوا يتعدون ذلك، إلى جرح من يُبَيِّن له خطؤه فلم يرجع.

فقد سُئل شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ): متى يُترك حديث الرجل؟ فقال: «إذا حدَّث عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون، وإذا أكثر الغلط، وإذا اتَّهم بالكذب، وإذا روى حديثاً غلطاً مجتمِعاً عليه فلم يتَّهم نفسه فيتركه طُرَح حديثه، وما كان غير ذلك فارووا عنه»^(٢).

وقال الإمام أحمد - جواباً لمن سألته: عمَّن نكتب العلم -: «عن الناس كلَّهم، إلَّا ثلاثة: صاحب هوى يدعو إليه، أو كذاب؛ فإنَّه لا يُكتب عنه قليل ولا كثير، أو عن رجل يغلط، فيُرَّدُّ عليه فلا يقبل»^(٣).

قال الخطيب البغدادي: «وليس يكفيه في الرجوع أن يُمسك عن رواية

(١) فتح الباري (١/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٢) الجرح والتعديل (٢/ ٣٢).

(٣) الكفاية للخطيب البغدادي (١/ ٤٢٩).

ذلك الحديث في المستقبل حسب، بل يجب عليه أن يظهر للناس أنه كان قد أخطأ فيه وقد رجع عنه»^(١).

وللمحدثين قصص مشهورة في اعترافهم بالخطأ وإعلان تراجعهم، سواء كان في نقدهم للرواة، أو رواياتهم.

فمن تراجعهم في نقد الرواة: ما حكاه أبو بكر بن أبي الأسود قال: «كنت أسمع الأصناف من خالي عبد الرحمن بن مهدي، وكان في أصول كتابه قوم قد ترك حديثهم، منهم الحسن بن أبي جعفر، وعباد بن صهيب، وجماعة نحو هؤلاء. ثم أتيت بعد ذلك بأشهر، فأخرج إلى كتاب الديات، فحدثني عن الحسن بن أبي جعفر، فقلت له: أليس قد كنت ضربت على حديثه؟ فقال: يا بني تفكرت فيه إذا كان يوم القيامة، قام الحسن بن أبي جعفر، فتعلق بي، وقال: يا رب سل عبد الرحمن بن مهدي فيم أسقط عدالتي؟ وما كان لي حجة عند ربّي، فرأيت أن أحدث عنه»^(٢).

ومن تراجعهم في نقد الأحاديث: ما رواه ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) قال: «رأيت في كتاب كتبه عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني -

(١) الكفاية للخطيب البغدادي (١/ ٤٣١).

(٢) المجروحين (١/ ٢٨٧).

المعروف برسته - من أصبهان إلى أبي زرعة بخطه: وإني كنت رويت عنكم عن ابن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أبردوا بالظهر؛ فإنَّ شدة الحر من فيح جهنم» فقلت: هذا غلط، الناس يروون عن أبي سعيد عن النبي ﷺ. فوقع ذلك من قولك في نفسي، فلم أكن أنساه، حتَّى قدمت ونظرت في الأصل، فإذا هو عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، فإن خف عليك، فأعلم أبا حاتم عافاه الله ومن سألك من أصحابنا، فإنك في ذلك مأجور إن شاء الله، والعار خير من النار»^(١).

سادساً: تنوع القواعد بحسب الأزمنة والمستجدات:

إنَّ من أبرز ما يميّز منهج المحدثين في ذبّهم عن سنة المصطفى ﷺ: أنهم أعطوا لكل عصر ما يناسبه، وذلك بحسب ما يستجد فيه من قضايا ومسائل. ومن أبرز المسائل التي تظهر اعتماد المحدثين هذا الأصل: كيفية الرواية عن النبي ﷺ، فقد تنوع أسلوب المحدثين في الرواية عن النبي ﷺ أنواعاً، راعوا فيها لكل زمان ما يناسبه.

فقد كانت رواية الصحابة رضي الله عنهم أولاً بدون تدقيق في الإسناد؛ اعتماداً منهم

(١) الجرح والتعديل (١/٣٣٦).

على عدالة الصحابة جميعاً، وحرصهم في الثبوت فيما يروونه عن النبي ﷺ^(١).
ثم لما ظهرت البدع وفشا الكذب (وهذا في أواخر زمن الصحابة وأوائل
زمن التابعين)، التزموا وألزموا غيرهم ذكر الأسانيد، فلم يعودوا يقبلون إلا ما
كان مروياً بالإسناد المتصل.

قال ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ): «سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: لا يُحتجُّ
بالمراسيل، ولا تقوم الحجة إلا بالأسانيد الصحاح المتصلة. وكذا أقول أنا»^(٢).
ولما تأخر الزمن وطالت الأسانيد (وهذا في النصف الثاني من القرن
الثاني)، خشوا ضياع السنة وتداخل أسانيدها، فشرعوا في جمع السنة وتدوينها
في دواوين، ولم يميزوا بين ما صحَّ منها ممَّا لم يصحَّ؛ اعتماداً منهم على ذكر
الإسناد، ومعرفة أهل ذاك العصر.

ولما امتد الزمن، وقلَّت معرفة الناس بالصحيح والضعيف (وهذا في
منتصف القرن الثالث تقريباً)، ظهرت كتبُ الصحاح، التي جرّدوا فيها ما صحَّ

(١) وهذا ظاهر أنَّهم راعوا فيه خصائص عصرهم، من قلة الكذب وكثرة الثبوت.

(٢) المراسيل (رقم ١٥). فإن قيل: إنهم اختلفوا في قبول المراسيل. قلنا: هذا أيضاً دليل على ما
نقول من اعتبار خصائص كل عصر ووقت، وذلك أنَّ الخلاف بين المحدثين محصور في
مرسل التابعين دون غيرهم ممَّن بعدهم، ومن قبله منهم، علَّل قبوله بسلامة ذلك العصر
من الكذب.

عن النبي ﷺ من أحاديث.

وهم في هذا كله معتمدون على الرواية بالإسناد، لا يستجيزون الرواية بدون إسناد؛ إلا لضرورة التأليف أحياناً؛ طلباً للاختصار.

فلما تأخر الزمان جداً (وهذا في القرن السادس تقريباً)، وطالت الأسانيد طولاً بالغا، وكان في التزام ذكر الأسانيد طولاً مملاً، ورأى المحدثون أنهم أمّنوا على ذهاب السنة وضياها بما ألف من دواوين مسندة: حذفوا الأسانيد، وصار جلُّ ما يُنقل من الأسانيد رغبة في إبقاء سلسلة الإسناد التي ميّز الله بها هذه الأمة.

ولما صار الاعتماد على ما في الدواوين دون الأسانيد المروية خارجها، خفف المحدثون في شروط الرواة، ولم تعد هناك حاجة ملحّة للتوثق من رواة الأسانيد؛ إذ العبرة برجال الأسانيد في الكتب المدونة، وقد جرحوا وعُدّلوا.

وفي هذا يقول ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ): «أعرض الناس في هذه الأعصار المتأخرة عن اعتبار مجموع ما بيّنّا من الشروط في رواة الحديث ومشايخه، فلم يتقيّدوا بها في رواياتهم؛ لتعذر الوفاء بذلك على نحو ما تقدّم، وكان عليه من تقدّم.

ووجه ذلك: ما قدّمنا في أول كتابنا هذا: من كون المقصود آل آخر إلى

المحافظة على خصيصة هذه الأمة في الأسانيد، والمحاذرة من انقطاع سلسلتها. فليُعتَبَر من الشروط المذكورة ما يليق بهذا الغرض على تجربته، وليُكتَفَ في أهلية الشيخ بكونه: مسلماً، بالغاً، عاقلاً، غير متظاهر بالفسق والسخف. وفي ضبطه: بوجود سماعه مُثَبَّتاً بخط غير متهم، وبروايته من أصل موافق لأصل شيخه. وقد سبق إلى نحو ما ذكرناه الحافظ الفقيه البيهقي رحمته الله، فإنه ذكر - فيما رُوينا عنه - مَنْ تَوَسَّع في السماع من بعض محدثي زمانه الذين لا يحفظون ولا يحسنون قراءته من كتبهم، ولا يعرفون ما يُقرأ عليهم بعد أن يكون القراءة عليهم من أصل سماعهم. وَوَجَّه ذلك بأنَّ الأحاديث التي قد صحت، أو وُقِفَتْ بين الصحة والسقم قد دُونَتْ وَكُتِبَتْ في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث، ولا يجوز أن يذهب شيء منها على جميعهم، وإن جاز أن يذهب على بعضهم؛ لضمان صاحب الشريعة حفظها. قال: فَمَنْ جاء اليوم بحديث لا يُوجَد عند جميعهم لم يُقبل منه، ومن جاء بحديث معروف عندهم، فالذي يرويه لا ينفرد بروايته، والحجَّة قائمةٌ بحديثه برواية غيره، والقصد من روايته والسماع منه: أن يصير الحديث مسلسلاً بحدثننا وأخبرنا، وتبقى هذه الكرامة التي حُصِّت بها هذه الأمة شرفاً لنبينا المصطفى ﷺ والله أعلم^(١).

(١) علوم الحديث (ص ١٢٠-١٢١).

ثم لما خفي على كثير من الناس مواقع هذه الأحاديث محذوفة الأسانيد، احتاجوا إلى من يكشف لهم عن مواقعها في دواوين السنة، فألفت كتبُ التخريج، ولعلَّ أوَّل محاولة من هذا النوع هي التي قام بها أبو بكر الحازمي (ت ٥٨٤هـ)، حيث قام بإسناد أحاديث المذهب للشيرازي^(١)، وكان ازدهار التأليف فيه في القرنين الثامن والتاسع.

ثم قلَّ العلمُ في أهل عصرنا، وقلَّت معرفتهم بدواوين السنة ومناهجها، فاحتجنا إلى تصنيف كتب تُعنى ببيان طريقة الكشف عن الحديث في دواوين السنة، وقواعد الحكم على الحديث، وهو العلم المعروف في زماننا بتخريج الحديث النبوي ودراسة الأسانيد.

سابعاً: مراعاة مقدار الحاجة:

للمحدثين ميزانٌ دقيقٌ يستعملونه في نقد الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ، ابتعدوا فيه عن الإفراط والتفريط؛ الإفراط الذي يؤدي إلى ردِّ ما ثبت عنه ﷺ، والتفريط المؤدي إلى قبول ما لم يصح عنه ﷺ.

ولهذا فإنَّهم وضعوا ضوابط وقواعد، تمنع الكذب على النبي ﷺ، لكن

(١) سير أعلام النبلاء (١٦٩/٢١).

بدون أن يتجاوزوا الحدَّ، فاحترزوا لحماية السنة، واحتاطوا من كل ما من شأنه أن يُدخل فيها ما ليس منها، ومع ذلك لم يعمّموا الحكم حتى لا ينفوا ما صح عنه ﷺ.

ولهذا الأصل نماذج كثيرة في تطبيقات المحدثين، فمن ذلك:

أ- أنّهم أجازوا الجرح والتعديل، لبيان من تُقبل روايته ومن تُردُّ. ومع ذلك، فإنّهم لم يفتحوا الباب على مصراعيه، ومنعوا الزيادة على مقدار الحاجة، فقالوا: يقتصر فيه على الأمور المخلة بالشهادة والرواية دون غيرها، وإنّ أمكن جرح الراوي بأمر لم يجرّ ذكر أمرين. بل لم يأذنوا في تفسير الجرح ما لم تكن ثمة حاجة إلى التفسير. وإليك أقوالهم في ذلك:

قال القرافي (ت ٦٨٤هـ): «واشترط أيضاً في هذا القسم: الاقتصار على القوادح المخلة بالشهادة أو الرواية، فلا يقول: هو ابن زنا، ولا: أبوه لاعن منه، إلى غير ذلك من المؤلمات التي لا تعلق لها بالشهادة والرواية»^(١).

وقال السخاوي (ت ٩٠٢هـ): «وإذا أمكنه الجرح بالإشارة المفهمة، أو بأدنى تصريح، لا تجوز له الزيادة على ذلك، فالأمر المرخص فيها للحاجة، لا

(١) الفروق (٤/٢٠٧/ الفرق ٢٥٣).

يرتقي فيها إلى زائد على ما يُحصّل الغرض»^(١).

وقال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) - عند حكايته الخلاف في قبول الجرح المبهم -: «لا نطلب التفسير من كل أحد، بل إنما نطلبه حيث يحتمل الحال شكاً؛ إما لاختلاف في الاجتهاد، أو لتهمة يسيرة في الجراح، أو نحو ذلك مما لا يوجب سقوط قول الجراح، ولا ينتهي إلى الاعتبار به على الإطلاق، بل يكون بين بين. أمّا إذا انتفت الظنون واندفعت التهمة، أو كان المجروح مشهوراً بالضعف متروكاً بين النقاد، فلا نتلعثم عند جرحه، ولا نحوج الجراح إلى تفسير، بل طلب التفسير منه والحالة هذه: طلب لغيبة لا حاجة إليها»^(٢).

ب- أئهم لم يعدّوا التدليس جرحاً في الراوي يستوجب ردّ روايته^(٣)، كما أئهم لم يعاملوه معاملة غير المدلس، فلم يقبلوا حديثه مطلقاً، بل اشترطوا تصريحه بالسماع.

قال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) - جواباً لمن سأله: ما بالك قبلت ممّن لم

(١) الإعلان بالتوبيخ (ص ٦٩).

(٢) طبقات الشافعية (٢/ ٢١-٢٢)، وقاعدة في الجرح والتعديل (ص ٥٨-٥٩).

(٣) وقد حكى ابن الصلاح عن فريق من أهل الحديث والفقهاء أنهم عدّوه جرحاً، لكنه لم يسم هذه الطائفة. انظر: علوم الحديث (ص ٧٥).

تعرفه بالتدليس أن يقول عن، وقد يمكن فيه أن يكون لم يسمعه-: «المسلمون العدول عدول أصحاب الأمر في أنفسهم، وحالهم في أنفسهم غير حالهم في غيرهم، ألا ترى أنني إذا عرفتهم بالعدل في أنفسهم قبلت شهادتهم، وإذا شهدوا على شهادة غيرهم لم أقبل شهادة غيرهم حتى أعرف حاله، ولم تكن معرفتي عدلهم معرفتي عدل من شهدوا على شهادته. وقولهم عن خبر أنفسهم وتسميتهم على الصحة، حتى نستدل من فعلهم بما يخالف ذلك فنحترس منهم في الموضع الذي خالف فعلهم فيه ما يجب عليهم... ومن عرفناه دلس مرة، فقد أبان لنا عورته في روايته، وليس تلك العورة بالكذب فنرد بها حديثه، ولا النصيحة في الصدق فنقبل منه ما قبلنا من أهل النصيحة في الصدق. فقلنا: لا نقبل من مدلس حديثاً، حتى يقول فيه: حدثني أو سمعت»^(١).

ولما كان المدلسون أنواعاً وأنماطاً، ولم يكونوا على حال واحد، لم يعاملوهم معاملة واحدة أيضاً، بل جعلوهم مراتب^(٢)، منهم من تُقبل روايته ولو عَنَنَ،

(١) الرسالة (فقرة ١٠٢٩-١٠٣٥).

(٢) انظر: جامع التحصيل للعلائي (ص ٩٩-١٠٠)، وطبقات المدلسين لابن حجر (ص ٢١)، حيث جعلوا المدلسين خمس طبقات: الأولى: من لم يوصف به إلا نادراً. والثانية: من احتمل الأئمة تدليسه؛ إما لإمامته، أو لكونه لا يدلس إلا عن ثقة. والثالثة: من أكثر من التدليس=

ومنهم من تُقبل عنعنته إذا روى عن شيوخ معينين^(١)، ومنهم من تقبل عنعنته إذا جاءت من طريق طائفة من أصحابه^(٢)، ومنهم من لا تُقبل روايته إلا إذا صرح بالسماع في روايته عن شيخه وشيخ شيخه^(٣).

ثامناً: الواقعية والبعد عن الخيال:

وذلك من خلال التوقعيات التي قَعَدوها، والتي ابتعدوا فيها عن الاحتمالات العقلية المجردة، بل اعتبروا فيها الواقع المشاهد أو غلبة الظن، الذي

=واختلف في قبول عنعنته. والرابعة: من أكثر من التدليس واتفق على ردّ عنعنته. والخامسة: من ضَعَفَ بأمر آخر سوى التدليس.

(١) منهم سليمان بن مهران الأعمش، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٢٢٤): «وهو يدلّس، وربما دلّس عن ضعيف ولا يدري به، فمتى قال: حدثنا فلا كلام، ومتى قال: عن تطرّق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم، كإبراهيم، وأبي وائل، وأبي صالح السمان؛ فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال».

(٢) قال البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ٨٦): «وروينا عن شعبة أنه قال: كنت أتفقد فم قتادة، فإذا قال: حدثنا وسمعت حفظته، وإذا قال: حدث فلان تركته. وروينا عنه أنه قال: كفيتمكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، وعتادة».

(٣) ومن هؤلاء: الوليد بن مسلم، فإنه كثير التدليس والتسوية، ويتوقف تصحيح حديثه على تصريحه بالسماع في شيخه وشيخ شيخه. انظر: تقريب التهذيب (رقم ٧٤٥٦)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٢٩٣، ٤٥٨).



لا يخالف فيه ذو عقل ومنطق سليم.

قال عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ): «خصلتان لا يستقيم فيهما حسن

الظن: الحكم والحديث»^(١).

وقال ابن القيم (ت ٧٥١ هـ): «وهذه التجويزات لا يلتفت إليها أئمةُ

الحديث وأطباء علّله... ولهم ذوق لا يحول بينه وبينهم فيه التجويزاتُ

والاحتمالات»^(٢).

(١) الضعفاء للعقيلي (١/٧٣).

(٢) تهذيب السنن (١/١٠٩)، وانظر أيضاً: جامع التحصيل للعلائي (ص ١٣٢).

الخاتمة

وبعد هذه الجولة المباركة مع المحدثين، فإني أجمل أهم ما سبق في صورة توصيات لي ولأخواني، أسأل الله أن ينفع بها.

أولاً: أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله، والحرص على القيام بواجب الدفاع على نبينا محمد ﷺ وعلى سنته، مخلصين فيما نفعل لله جل وعلا.

ثانياً: الصبر وتحمل الصعاب في سبيل الدفاع عن سنة نبينا محمد ﷺ، وأن تتمثل في ذلك منهج أسلافنا المحدثين، وليكن لسان حالنا ما تمثل به نبينا ﷺ:

«هَلْ أَنْتَ إِلَّا إَصْبَعٌ دَمِيَتْ * وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ»^(١)

(١) رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير/ باب من ينكب في سبيل الله/ رقم ٢٨٠٢)، ومسلم (كتاب المغازي/ باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين/ رقم ٤٦٣٠) عن جندب بن سفيان رضي الله عنه، قال: «دميت إصبع رسول الله ﷺ في بعض المشاهد، فقال: ...». فذكره.

قال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٥٧): «وقد اختلف هل قاله النبي ﷺ متمثلاً، أو قاله من قبل نفسه غير قاصد لإنشائه فخرج موزوناً».

ثالثاً: أن يكون دفاعنا عن النبي ﷺ دفاعاً محكماً مُنْهَجاً، بعيداً عن ردود الأفعال المجردة.

رابعاً: الحرص على نشر الوعي الحديثي بين أفراد المجتمع المسلم، حتى لا تنطلي عليهم الشُّبه التي يلقيها أعداء الإسلام.

خامساً: استكتاب أعلام علماء المسلمين، بإقامة مثل هذا المؤتمر، لبيان سنة النبي ﷺ وفضائله.

سادساً: الحرص على الابتكار في طريقة الدفاع عن النبي ﷺ، مواكبين في ذلك مستجدات العصر.

سابعاً: تفعيل دور الجامعات الإسلامية في الدفاع عن النبي ﷺ وسنته، وذلك من خلال ما يلي:

أ- إنشاء كليات متخصصة في دراسة السنة النبوية، على غرار كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، لما تعطيه من دراسات معمّقة في السنة، بخلاف الكليات التي فيها شيء من العموم، ككليات أصول الدين.

ب- إنشاء أقسام خاصة بالدراسات الاستشرافية في الجامعات الإسلامية، فقد صار إنشاؤها ضرورة عصرية، لردّ المكايد المُحاكة من قِبَل

المستشرقون وأعداء الإسلام عموماً.

ج- تشجيع الدراسات المقارنة للأديان، لما فيها من إظهار مزايا ديننا الحنيف. على أن تُبنى هذه الدراسات على المصادر الحديثة، مع الإفادة من كتابات المتقدمين.

هذا آخر ما أحببت أن أذكر به نفسي وإخواني، أسأل الله أن يوفقنا لخدمة ديننا، والدفاع عن سنة نبينا ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: المصادر والمراجع:

- (١) الأحاديث المختارة، لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق أ.د. عبد الملك ابن دهيش، مكتبة الأسد، مكة، ط الخامسة ١٤٢٩هـ.
- (٢) اختصار علوم الحديث، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، حققه وتم حواشيه علي بن حسن عبد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- (٣) الإعلان بالتوخيخ لمن ذم التاريخ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، دار الجليل، بيروت.
- (٤) تاريخ بغداد، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- (٥) تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

- (٦) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- (٧) تهذيب السنن، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مطبوع في حاشية مختصر السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ.
- (٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- (٩) جامع الترمذي (محمد بن إسماعيل ت ٢٧٩هـ)، حققه وراجع أحاديثه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ط الثانية ١٩٩٨ م.
- (١٠) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط السابعة ١٤٢٧هـ.
- (١١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لخليل بن عبد الله العلاني (ت ٧٦١هـ)، حققه وقدم له حمدي عبد المجيد السلفي، دار عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة ١٤٢٦هـ.
- (١٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

- (١٣) الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٤) الرحلة في طلب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٥هـ.
- (١٥) الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط الثانية ١٤٠٧هـ.
- (١٧) السنن، لعلي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، حققه وعلق عليه عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١٨) السنن، لمحمد بن يزيد بن ماجه (ت ٢٧٥هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- (١٩) السنن، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، ط الخامسة ١٤٢٢هـ.
- (٢٠) السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
- (٢١) السنة لابن أبي عاصم (أحمد بن عمرو ت ٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الخامسة ١٤٢٦هـ.

- (٢٢) سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط السابعة، ١٤١٠هـ.
- (٢٣) السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
- (٢٤) شرف أصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، حققه وخرج أحاديث عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية ١٤٢٨هـ.
- (٢٥) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) مع الفتح، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ.
- (٢٦) صحيح مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، مع شرح النووي، تحقيق خليل مأمون شياح، دار المعرفة، بيروت، ط الخامسة عشرة ١٤٢٩هـ.
- (٢٧) الضعفاء، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت ٣٢٢هـ)، قرأه وعلق عليه د. مازن السرساوي، دار ابن عباس، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٩هـ.
- (٢٨) ضوابط الجرح والتعديل، للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- (٢٩) طبقات الشافعية، لتاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية.

- (٣٠) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٣١) طبقات المدلسين، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد بن علي الأزهرى، دار البيان العربى، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٥هـ.
- (٣٢) ظلال الجنة في تخرج السنة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامى، ط الخامسة ١٤٢٦هـ.
- (٣٣) علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق وشرح نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط الثالثة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٣٤) فتح الباري بشرح صحيح البخارى، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ.
- (٣٥) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، لأحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، بيروت.
- (٣٦) قاعدة في الجرح والتعديل، لتاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافى السبكى (ت ٧٧١هـ)، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط السابعة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- (٣٧) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق وتعليق أبي إسحاق إبراهيم بن مصطفى الدمياطى، مكتبة ابن عباس، سمنود مصر، ٢٠٠٢م.

- (٣٨) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لمحمد بن حبان البستي (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الرياض، ط الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- (٣٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٤٠) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.
- (٤١) المراسيل، لعبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، بعناية شكر الله بن نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٤٢) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد علوش، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ.
- (٤٣) المسند، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٢٩هـ.
- (٤٤) المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط الثانية ١٤٠٤هـ.
- (٤٥) معرفة السنن والآثار، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

- (٤٦) معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، شرح وتحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٤٧) مقدمة الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، حققه وتم حواشيه علي بن حسن عبد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- (٤٨) مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الرابعة ١٣٩٨هـ.
- (٤٩) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، حققه نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق ط الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (٥٠) النكت على كتاب ابن الصلاح، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق ودراسة د. ربيع بن هادي، دار الراية، الرياض، ط الرابعة ١٤١٧هـ.
- (٥١) النهاية في غريب الحديث، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط الثالثة ١٤٣٠هـ.
- (٥٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ.
- (٥٣) الواضح في أصول الفقه، لعلي بن عقيل الحنبلي (ت ٥١٣هـ)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

(٥٤) اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، لمحمد المدعو عبد الرؤوف المناوي
(ت ١٠٣١هـ)، دراسة وتحقيق د. المرتضى الزين أحمد، مكتبة الرشد، ط الثانية
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.



السنة في دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله

إعداد

د. عبد العزيز بن محمد السعيد

رئيس الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا هو الحق المبین، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي الأمي الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد ففي القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية، في العام الخامس عشر بعد المائة والألف ولد الإمام الرباني شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ابن سليمان بن علي من آل مشرف من بني تميم، فطلب العلم ورحل فيه إلى الأقطار، والتقى بالعلماء وأخذ عنهم، ودارسهم، وتفنن في العلوم والمعارف، حتى أضحى علما في علماء الأمة، ورزقه الله - مع هذا العلم بصيرة نافذة وورعا وزهدا، وخشية وإخباتا، وصبرا واحتسابا، فقام يدعو إلى الله على بصيرة؛ اتباعا لتوجيه الله لنبيه ﷺ في قوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)، وقوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، فدعا بلسانه وكتب ببنانه الرسائل والمؤلفات إلى الشرق والغرب والقريب والبعيد، وعقد مجالس العلم ودعا الناس إلى اتباع

الكتاب والسنة ولزوم منهج السلف الصالح الذين هم خير القرون، من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ومن تبعهم بإحسان من علماء هذه الأمة وأئمتها، وكانت دعوته قائمة على العلم الصحيح: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإجماع سلف هذه الأمة، تعلمًا وتعليمًا ودعوة وعملاً، عقيدة وشريعة وسلوكًا ومنهاجًا، تأصيلًا واستدلالًا واستنباطًا؛ فلذا جاءت دعوة موافقة لمنهج أهل السنة والجماعة الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهدى والدين.

وكان لهذه الدعوة السنية السلفية آثار مباركة في الدين والدنيا، لم يزل المسلمون في العالم يتفيؤون ظلها، وينهلون من معينها، ويوقنون بفضلها. فنسأله تعالى الثبات على الإسلام والسنة، كما نسأله أن يجزي أئمة الدعوة وعلماءها خيرا.

ولقد وقع اختياري على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لعدة أمور:

أحدها: أن هذه الدعوة النجدية دعوة سنية سلفية لأنها قامت على أصول أهل السنة والجماعة، واتبعت منهاجهم حذو القذة بالقذة، في الأصول والفروع، والتأصيل والتطبيق، ومسائل الإجماع والاجتهاد، ولهذا لم تؤثر عنهم مسألة

واحدة خرجوا بها عن هذا المنهج، ولم يثبت عنهم تناقض ولا تحريف، بل العلم والصدق والأمانة فيما أصلوا وقرروا وأجابوا وردوا وحكموا وأفتوا، فرحمهم الله وسائر علماء المسلمين. وكانت مصادرهم التي يصدرون عنها وأدلتهم التي يستدلون بها هي الأدلة الأربعة الشهيرة المعتمدة عند أهل العلم، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح المستوفي أركانه السالم من معارضة النص.

الثاني: أن عناية علماء الدعوة بالسنة أمر ظاهر لا يخفى على كل مطالع لمؤلفاتهم وسيرهم، ممن قصد الحق وتجرد له، وكان عالماً بما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وأئمة الهدى والدين، ولم تغلبه نفسه، أو يقع في حبال الشيطان، فيرمي هذه الدعوة بالعظائم، وهو في حقيقة الأمر إنما يدفع الحق، ويحني على نفسه.

الثالث: تميز هذه الدعوة على كثير من الدعوات بجمعها بين التنظير والتطبيق العملي، وكله ذلك على منهاج النبوة. فإنك لا تكاد تقف على مسألة يذكرونها إلا وهي مقرونة بدليلها، بل ربما يستدلون على المسألة الواحدة بعشرات الأدلة ويحيلون القارئ إلى نظائرها؛ وهذا يعطيك أيها المؤمن الكريم الفرق الكبير بين هذه الدعوة، وبين كثير من الدعوات التي تزعم أنها إصلاحية، وتزعم أنها تريد رد المسلمين إلى الأمر الأول الذي كان عليه رسول الله ﷺ.

وأصحابه الكرام والتابعون لهم رضوان الله عليهم أجمعين، وأنت إذا قرأت مؤلفاتهم - يا للأسف - فإنك تجدها تغلب عليها الحكايات والقصص والحديث عن النفس وما يزعمونه من مغامرات وبطولات وجدالات عقيمة، أو التحليلات والظنون لا تجدي على أهلها شيئاً، أما العلم النافع فنزير يسير، بل ترى فيها من النصوص ما يحرفونه أو يردونه بعقولهم أو بما جلبوه من الأمم الكافرة، والفرق المنحرفة البائدة، مع محاولة إلباسه لباس الشرع؛ جهلاً أو هوى؛ ولهذا لم تقم لهم دولة، ولم يستقم لهم منهج، بل أهم المهمات، وأعظم الواجبات - وهو توحيد الله وإفراده بالوحدانية وتنزيهه بصفات الكمال التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسول الله ﷺ - ليس له ذكر فيه مؤلفات، ولا دعوة إليه في واقعهم، وخاصة أن كثيراً من البلدان التي يقطنونها وتقوم دعواتهم فيها تشكي من فشو الشرك وتعطيل الرب جل جلاله، فقبور يدعى أهلها ويستغاث بهم وينذر لهم ويدبح، وأولياء يعتقد فيهم أنهم ينفعون ويضرون بمحض إرادتهم، ويتخذون بينهم وبين الله وسائط من خلقه، والرب ﷻ تنفى عنه صفاته بدعوى تنزيهه وقد أثبتها لنفسه. بل هذه الدعوات تجد في مؤلفات أصحابها تقرير ما يخالف منهج السلف الصالح وانتحاله، من مذاهب الصوفية القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد والتناسخ، أو المذاهب الصوفية



القائمة على الأوراد البدعية، والمحدثات والضلالات، ويرون أن هذا طريق الوصول إلى الله، وتحقيق محبته ومحبة رسوله ﷺ، فأقاموا الشرك مقام التوحيد، والبدعة مقام السنة، والتفويض والتحريف والتعطيل مقام التنزيه.

والحديث عن السنة في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله متشعب وطويل، ولضيق المقام عن الإتيان على أطراف الموضوع، واستجماع جزئياته، رأيت حصر الحديث عنه في خمسة مباحث، وهي:

- المبحث الأول: الحالة العلمية والدينية عند قيام دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.
 - المبحث الثاني: الثناء على الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله ودعوته إلى السنة.
 - المبحث الثالث: من مظاهر العناية بالسنة في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.
 - المبحث الرابع: من معالم فقه السنة في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.
 - المبحث الخامس: آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في نشر السنة.
- وقد رأيت الاختصار في غالب هذه المباحث على النقول عن إمام الدعوة

وعلمائها وغيرهم؛ ليكون البيان توثيقاً من خلال النصوص المنقولة؛ فإنه أبلغ في الدلالة على المطلوب، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد.



المبحث الأول

الحالة العلمية والدينية عند قيام دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

قبل الشروع في الحديث عن أصل هذا الموضوع، يحسن أن أعرج على الحالة الدينية والعلمية، التي كانت عليها نجد، بل وكثير من بلاد المسلمين إبان قيام دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله؛ لتظهر للقارئ الدعوة التجديدية بصورتها المشرقة، في الدعوة إلى الاستمسك بالسنة والعمل بها، وإصلاح ما فسد من أحوال الناس، على المنهاج النبوي، الذي لا يختلف عليه مسلمان، ولا يمارى فيه مؤمنان، ولتبرز للقارئ - كذلك - ثمرات الدعوة وآثارها الإيجابية في أصقاع الأرض.

لقد نهض الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله بهذه الدعوة في عصر كثرت فيه البدع والمحدثات والخرافات والشركيات؛ حتى باتت السنة - في بعض الجهات - بدعة، والبدعة سنة، والتوحيد شركاً، والشرك توحيداً، والمنكر معروف، والمعروف منكراً، بل منهم من أتى ما ينافي العقول الصحيحة، والفطر السليمة، فضلاً عن منافاته للشرع المطهر، والقائم بدين الله قليل، وصحب ذلك فوضى سياسية واجتماعية وأمنية، وسنة الله الماضية أن فساد دين الناس له أثر في

معايشهم، كما قال الله جل وعلا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)، وصلاح الناس في دينهم له أثر في دنياهم كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥).

ولا أجد أبلغ من سياق عدة نصوص مختلفة البلدان ممن عاصر الدعوة، أو اطلع على أحوال ذلك العصر وسجل خلاصة ذلك من العلماء والباحثين؛ ليرى القارئ الكريم تشابه الصورة الواقعية للعالم الإسلامي في تلك الحقبة الزمنية، وخلاصة ما دلت عليه هذه النصوص:

١ - الانحراف في الاعتقاد.

٢ - التصوف البدعي الطرقي في السلوك.

٣ - التعصب المذهبي في الأحكام.

٤ - قراءة كتب السنة للبركة لا للعمل.

وهذه الحالة التي كان المسلمون يعيشونها جاء بيانها في كتابات أهل العلم والمؤرخين والباحثين، إما على سبيل الخبر المحض، وإما على سبيل النقد



الإصلاحي.

قال العلامة منصور بن يونس البهوتي، شيخ الحنابلة في مصر في وقته، وعصره قريب من عصر الشيخ محمد (ت ١٠٥١ هـ) على قول صاحب الإقناع نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: (قول القائل: ما ثم إلا الله، إن أراد ما يقوله أهل الاتحاد من أن ما ثم موجود إلا الله، ويقولون: إن وجود الخالق هو وجود المخلوق، ويقولون: الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، والعبد هو الرب، والرب هو العبد، ونحو ذلك من المعاني التي قام الإجماع على بطلانها، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وكذلك الذين يقولون: إن الله تعالى بذاته في كل مكان، ويجعلونه مختلطاً بالمخلوقات يستتاب فإن تاب وإلا قتل) قال: (وقد عمت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيراً من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية)^(١).

وقال علامة الشام محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨ هـ): (فما بالك بعصرنا هذا الذي نحن فيه، وقد انطمست معالم الدين، وطفئت إلا من بقايا حفظة الدين، وحاكمهم متماد في غفلاته، وأميرهم لا حلم لديه، ولا دين، وغنيهم لا رأفة عنده، ولا رحمة للمساكين، وفقيرهم متكبر، وغنيهم متجبر...

(١) كشف القناع (٦ / ١٧٠).

فلو رأيت جموع صوفية زماننا، وقد أوقدوا النيران، وأحضرُوا آلات المعازف بالدفوف المججلة، والطبول والنايات والشباب، وقاموا على أقدامهم يرقصون ويتمايلون، لقضيت بأنهم فرقة من بقية أصحاب السامري وهم على عبادة عجلهم يعكفون؛ أو حضرت مجمعا وقد حضره العلماء بعمائمهم الكبار والفراء المثمنة، والهيئات المستحسنة، وقدموا قصاب الدخان، التي هي لجامات الشيطان، وقد ابتدر ذو نعمة ينشد من الأشعار المهيجة، فوصف الحدود والنهود والقُدود، وقد أرخى القوم رءوسهم ونكسوها، واستمعوا للنغمة واستأنسوها، لقلت وهم لذلك مطرقون: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. فإننا لله وإنا إليه راجعون. وكل هذا بالنسبة لطائفة زعمت العرفان يهون، فإنهم مع انكبابهم على الشهوات، وارتكابهم المعاصي وانتحالهم الشبهات، يزعمون الاتحاد والحلول، يزعمون أنهم الطائفة الناجية، وأنهم هم الأئمة والفحول^(١). وقال السفاريني - أيضا -: (ولم يبق من آثار هذا البيان إلا حكايات تتزين بها الطروس، ككان وكان، والعلم قد أفلت شموسه، وتقوضت محافله ودروسه، وربعه المأهول أمسى خاليا، وواديه المأنوس أضحى موحشا داويا، وغصنه الطيب غدا ذاويا، وبرده القشيب صار باليا، فالعالم الآن قلت مضاربه،



وضاقت مطالبه، وعالت معاطيه، وسددت مذهبها، فليس له في هذا الزمان ومنذ أزمان إلا الالتجاء إلى عالم السر والإعلان... فلا جرم ذهبت الراحة والسرور، والبهجة والحبور، مع الرعيل الأول، والسرب الذي عليه المعول، ولم يبق لأبناء هذا العصر إلا الشدة والحصر، والندم والتأسف، والتأوه والتلهف، والاشتغال بالقليل والقال، وإضاعة العمر في اللهو والمحال، وإذا كان الزمان قد فسدت ملوكه، وتهتك صعلوكه، وضل عالمه وجار حاكمه، وبخل مياسيره، وانكمش مشاهيره، ولم يبق من الكرم إلا اسمه، ومن العلم إلا رسمه، ومن العدل إلا ذكره، ومن البذل إلا حكره، ومن المساواة إلا حكاياتها، ومن المؤاخاة إلا نكاتها، وكلح في وجوه أهل العلم وعبس، وأعرض عن إنصافهم ونكس، ومال لأهل المال، وذهب مع أهل الذهب والحال، فلا لوم على العالم إن خمدت ناره، وانطمست آثاره، وخفيت شارته، وبردت شرارته، وصار بعد أن كان تابعا متبوعا، وصار جلس بيته واقعا، وذوى غصن عزمه بعد أن كان يانعا، وفل فِرند حزمه بعد كونه قاطعا^(١).

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني اليماني (ت ١١٨٢) في مفتاح كتابه (تطهير الاعتقاد): (وبعد، فهذا تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، وجب

(١) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد (١ / ٤ - ٥).

علي تأليفه، وتعين علي ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته يقينا من اتخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد: من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجدا، ولا يرى لله راکعا ولا ساجدا، ولا يعرف السنة ولا الكتاب، ولا يهاب البعث ولا الحساب. فوجب علي أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره^(١) ثم ذكر جملة مما يناقض التوحيد ويقدح في كماله الواجب مما عم وانتشر ثم قال: (وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه؛ لما عمّت البلوى، واتبعت الأهواء، وأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا إلى ما مالت العامة إليه، وصار المنكر معروفا والمعروف منكرا، ولم نجد من الأعيان ناهيا عن ذلك ولا زاجرا)^(٢).

وقال الشيخ حسين بن مهدي النعمي اليمني (ت ١١٨٧ هـ) - بعد ما ذكر جملة من القوادح في الاعتقاد -: (وبالجملة فأمر العامة في هذا النحو غريب بالنسبة إلى الإسلام، كل من عرف الحقيقة ونظر ماصاروا عليه من ذلك وجد

(١) ص ٤٨.

(٢) ص ٨٤.



المضادة لله وتوحيدته فاشية في كثير من أفعالهم وأقوالهم وتقلبهم وتصرفاتهم... وهذا شيء لا يختص به الواحد والاثنان، ولا البلدة والبلدتان، ولا القطر والقطرن، بل عم أمر المشاهد وعقائد الأموات حتى آل الأمر إلى أن جني الشرك غضا طريا^(١).

وقال العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني رحمه الله (ت ١٢٥٠ هـ): (وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالما ولا متعلما ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعم

(١) معارج الألباب (٢/ ٦٢٢ - ٦٢٣).

وتلكأ وأبى، واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة^(١).

وقال المؤرخ المصري الشيخ عبدالرحمن بن حسن الجبرتي رحمته الله (ت ١٢٣٧هـ) في حوادث سنة سبع وعشرين ومائتين وألف: (وصل كثير من كبار العسكر إلى قبة النصر، ودخلت عساكرهم المدينة شيئاً فشيئاً، وهم في أسوأ حال من الجوع وتغير الألوان وكآبة المنظر، ثم دخل أكابرهم إلى بيوتهم، وقد سخط عليهم الباشا، ومنع أن لا يأتيه منهم أحد ولا يراه، وكأنهم كانوا قادرين على النصر والغلبة، وفرطوا في ذلك، ويلومهم على الانهزام والرجوع. وطفقوا يتهم بعضهم البعض في الانهزام. ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع: أين لنا بالنصر، وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا يتحل مذهباً، وصحبنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عَرَضِينَا^(٢) أذان، ولا تقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم^(٣) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وينتظمون صفوفاً

(١) نيل الأوطار (٤ / ٩٥).

(٢) كلمة تركية بمعنى المعسكر. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية (ص ٣٢٠).

(٣) يعني به من كان على العقيدة السلفية أتباع الإمام محمد بن عبد الوهاب.



خلف إمام واحد، بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذن، وصلوا صلاة الخوف، فتتقدم طائفة للحرب، وتتأخر الأخرى للصلاة، وعسكرنا يتعجبون من ذلك؛ لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته^(١).

وقال الشيخ المؤرخ حسين بن غنام الإحسائي رحمه الله (ت ١٢٢٥هـ):
(كان أكثر الناس في مطلع القرن الثاني عشر الهجري قد ارتكسوا في الشرك، وارتدوا إلى الجاهلية، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى لغلبة الجهل عليهم، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة، وقد ظنوا أن آباءهم أدرى بالحق، وأعلم بطريق الصواب، فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين أمواتهم وأحيائهم، يستغيثون بهم في النوازل والحوادث ويستعينونهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد، بل إن كثيرا منهم كان يرى في الجمادات كالأحجار والأشجار القدرة على تقديم النفع ودفع الضرر... وظلوا يعكفون على أوثانهم حتى صدق فيهم قوله تعالى: ﴿كُفُّوا أَلْسِنَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩)، وأحدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور، وصرف الذنوب إليهم،

(١) عجائب الآثار (٣/ ٣٤١).

والابتغال بالدعاء لهم، ما زادوا به على أهل الجاهلية^(١).

وقال المؤرخ عثمان بن بشر النجدي (ت ١٢٩٠ هـ) رحمه الله في وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه، ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وكان الشرك إذ ذاك قد فشى في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن والنذر لهم، ووضع الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر^(٢)).

ويصف الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله (ت ١٢٩٣ هـ) ذلك الزمن بقوله: (كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشبَّ الصغير

(١) روضة الأفكار والأفهام (١ / ١٠) طبعة د. الأسد.

(٢) عنوان المجد (١ / ٣٣ - ٣٤).



وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل البلدان، وهمم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريق الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مرودة ولا مدفوعة، حتى خلعوا ربقة التوحيد، والدين وجدوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق على غير الله من الأولياء الصالحين والأوثان والأصنام والشياطين. وعلماءهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن بحر الأجاج شاربون، وبه راضون، وإليه مدى الزمان داعون، قد أعشتهم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والآيات البينات. يحتاجون بما رأوه من الآثار الموضوعات، والحكايات المختلقة والمنامات، كما يفعل أهل الجاهلية وغبر الفترات، وكثير منهم: يعتقد النفع والضرر في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار والقبور، في جميع الأوقات، ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة، والمذاهب الضالة، والعوائد الجائرة، والطرائق الخاسرة، قد فشت وظهرت، وعمت وطمت، حتى بلاد الحرمين الشريفين، وأما بلاد مصر وصعيدها وفيومها، وأعمالها، فقد جمعت من الأمور الشريكة، والعبادات الوثنية، والدعاوى الفرعونية، ما لا يتسع له كتاب، ولا يدنو له خطاب، كذلك ما يفعل

في بلدان اليمن جار على تلك الطريق والسنن، وكذلك حلب ودمشق وسائر بلاد الشام، فيها من تلك المشاهد، والنصب، والأعلام ما لا يجامع عليه أهل الإيمان والإسلام، من أتباع سيد الأنام، وهي تقارب ما ذكرنا من الكفریات المصرية، والتلطن بتلك الأحوال الوثنية الشركية، وكذلك الموصل وبلاد الأكراد، ظهر فيها من أصناف الشرك والفجور والفساد، وفي العراق من ذلك بحرته المحيط بسائر الخلق. وبالجملة فهم شر تلك الأمصار، وأعظمهم نفوراً عن الحق واستكباراً، وكذلك جميع قرى الشط والمجرة على غاية من الجهل، وفي القطيف والبحرين من البدع الرافضية، والأحداث المجوسية، والمقامات الوثنية، ما يضاد ويصادم، أصول الملة الحنيفية. فمن اطلع على هذه الأفاعيل، وهو عارف بالإيمان والإسلام، وما فيها من التفرع والتأصيل تيقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السبيل، وخرجوا عن مقتضى القرآن والدليل، وتمسكوا بزخارف الشيطان، وأحوال الكهان، وما شابه هذا القبيل، فازداد بصيرة في دينه، وقوي بمشاهدته إيمانه و يقينه، وجد في طاعة مولاه وشكره، واجتهد في الإنابة إليه، وإدامة ذكره، وبادر إلى القيام بوظائف أمره، وخاف أشد الخوف على إيمانه، من طغيان الشيطان، وكفره، فليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا، ولقد أحسن العلامة: محمد بن إسماعيل، الأمير،

فيا أبداه عن أهل وقته، من التبديل والتغيير. وهذه الحوادث المذكورة، والكفريات المشهورة، والبدع المزبورة، قد أنكرها أهل العلم والإيمان، واشتد نكيرهم، حتى حكموا على فاعلها بخلع ربة الإسلام والإيمان؛ ولكن لما كانت الغلبة للجهال والطغام انتقضت عرى الدين، واثلمت أركانه، وانطمست منه الإعلام، وساعدهم على ذلك من قل حظه ونصيبه من الرؤساء والحكام والمتسبين من الجهال إلى معرفة الحلال والحرام، فاتبعهم العامة والجمهور من الأنام، ولم يشعروا بما هم عليه من المخالفة، والمباينة لدين الله، الذي اصطفاه لخاصته وأوليائه، وصفوته الكرام^(١).

وقال الشيخ حمد بن معمر النجدي (ت ١٢٢٥ هـ) رحمته الله: (وأما كتب الحديث كالأهيات الست، وغيرها من كتب الحديث وشروحها، وكتب الفقه الكبار التي يذكر فيها خلاف الأئمة وأقوال الصحابة والتابعين، فهي عندهم مهجورة، بل هي في الخزانة مسطورة للتبرك بها لا للعمل، ويعتذرون بأنهم قاصرون عن معرفتها، فالأخذ بها وظيفة المجتهدين، والاجتهاد قد انطوى بساطه من أزمنة متطاولة، ولم يبق إلا التقليد، والمقلد يأخذ بقول إمامه، ولا ينظر إلى دليله وتعليله، ولم يميزوا بين المجتهد المطلق الذي قد اجتمعت فيه

(١) الدرر السنية (١ / ٣٧٨ - ٣٨٧) باختصار.

شروط الاجتهاد، فهو مستقل بإدراك الأحكام الشرعية من غير تقليد ولا تقييد،
وبين المجتهد في مذهب إمامه، أو في مذاهب الأئمة الأربعة من غير خروج
عنها...^(١).

وتناول الباحثون والكتاب المعاصرون هذه الحقبة الزمنية بالدراسة
والتحليل^(٢)، مؤكدين ما سلف ذكره عن جماعة من العلماء والمؤرخين، ومن ذلك
ما قاله الدكتور عبدالرحيم عبدالرحيم: (والناظر في أحوال نجد قبيل ظهور
المصلح السلفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله يجد أن الناس أصبحوا
يقدمون الأولياء، ويحجون إلى قبورهم، ويتمسحون بأضرحتهم، ويقدمون لهم
الندور، ويستشفعون بهم لجلب منفعة أو لدفع ضرر، وأضحت هذه الأمور

(١) الدرر السنية (٤ / ٥٨ - ٥٩).

(٢) انظر: كتاب الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر
الهجريين، الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية
الدولة السعودية الأولى (ص ٣ - ١٠٥)، كتاب الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب
ومنهجه في مباحث العقيدة د. آمنة نصير (ص ٤٢ - ٦١)، تاريخ الجزيرة العربية في عصر
الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٤٠ - ٤٦)، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه: حياته
ودعوته (٦ - ١٤)، الإمام محمد بن عبد الوهاب: مفكر، ومصلح، ومجدد (ص ٣٥ - ٥١)،
رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٦ - ٤٠).



عقيدة راسخة عندهم... والحقيقة أن هذه الحالة لم تكن مقصورة على أهل نجد دون بقية سكان شبه الجزيرة العربية وما يجاورها من أقطار العالم العربي^(١).

وما قاله الأستاذ أمين سعيد: (وكانت البلاد العربية كلها تعيش وسط ضباب كثيف من الجهل، والتعليم يوشك أن يكون مفقوداً ومعدوماً، وكان عدد الذين يقرؤون ويكتبون في داخل المدن لا يتجاوز العشرات... في حين أن الإقبال على البدع والخرافات كان مشهوداً)^(٢).

وما قاله الأستاذ حسن فتح الباب بقوله: (انهارت في عصر العثمانيين جميع المقومات التي تنهض عليها حياة المجتمعات السوية، ولم ينبج من هذا الانهيار مجتمع واحد من مجتمعات العالم الإسلامي) ثم فصل ذلك تفصيلاً طويلاً^(٣). ولعل في هذه النقول ما يحلي تلك الحقبة الزمنية في أوضاعها الدينية والعلمية؛ ليرى القارئ بعدها التحول إلى الأحسن الذي صارت إليه نجد وغيرها من الديار بسبب الدعوة النجدية.

وفي ظل هذه الأجواء الدينية والعلمية القائمة، هدى الله الإمام محمد بن

(١) الدولة السعودية الأولى (٢٦ - ٢٧).

(٢) تاريخ الدولة السعودية (ص ٣٣).

(٣) انظر كتاب الدرعية (ص ٢٣١ - ٢٧٩).

عبد الوهاب ﷺ بما آتاه من ميراث النبوة: العلم النافع والعمل الصالح، وبما منَّ به عليه من نفاذ في البصيرة، فأدرك غربة الإسلام، وما عليه كثير من الناس من الخطأ والضلال، بسبب الجهل وغلبة الهوى، ولبس الحق بالباطل، وقلة القائم بأمر الله، فاستن بسنة النبي ﷺ، فدعا إلى الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ونصح لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، ودعا إلى الاجتماع، وحذر من التفرق والاختلاف، وأحيا السنن، وأنكر البدع، ونهى عن الغلو في الدين.



المبحث الثاني

الثناء على الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله ودعوته إلى السنة

بعد قيام الدعوة، وذيوع صيتها، وظهور آثارها، وتواتر دعوة الإمام محمد إلى الكتاب والسنة، والعمل بهما، والبراءة مما يخالفهما، ووقوف العلماء والباحثين والمفكرين في مختلف الأقطار على مر السنين على حقيقة الدعوة وتراثها، وما بلغهم عنها بالخبر الصادق، سجلت مداد أقلامهم وصفا يطابق الحال، ويشهد للدعوة بلزوم المنهج الإسلامي السلفي في أصوله وفروعه وتطبيقاته ومنهجه ومواقفه، المبنية على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد كثرت الكتابات عن الدعوة في الشرق والغرب حتى قال أحد الكتاب وهو الأستاذ عبدالله بوقس: (ما من دعوة إصلاحية في سبيل الإسلام لقيت صدى عظيما في الشرق والغرب، وتناولها علماء الإسلام، وكبار رجال الفكر والفلسفة بالدراسة والتحليل، مثل دعوة الحق التي غرس بذورها الأولى محمد بن عبد الوهاب رحمته الله).^(١)

(١) دعوة الحق (ص ١٠٧).

ولكثرة مادون في ذلك من قبل العلماء والباحثين والمفكرين في الشرق والغرب^(١)، التقطت في هذا المبحث جملة منها؛ لأن المقام يضيق عن استقصائها، لعل فيما يذكر دلالة على ماطوي منها:

قال علامة اليمن الشهير الشيخ محمد بن علي الشوكاني رحمه الله (ت ١٢٥٠هـ) بعد أن ذكر اطلاعه على رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة)^(٢)، ثم ذكر أنه اطلع على أجوبة للإمام عن أسئلة لجماعة من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وبيجاعة من الصحابة، وقال: (فأجاب عليهم جوابات محررة مقرررة محققة، تدل على أن المجيب من العلماء المحققين، العارفين بالكتاب والسنة، وقد هدم عليهم جميع ما بنوه، وأبطل جميع ما دونوه)^(٣).

(١) انظر لمزيد من ذلك: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء المشرق والمغرب للشيخ محمود استانبولي، تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد (ص ٢٨ - ٢٩)، سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمين سعيد (ص ١٩١ - ٢١٥)، دعوة الحق (ص ١٠٧ - ١٢١)، الإمام محمد بن عبد الوهاب: حياته، آثاره، دعوته السلفية للدكتور محمد السكاكر (٢٧١ - ٢٩٧)، الدرعية (ص ١٣٩ - ١٦٠).

(٢) البدر الطالع (٧/٢).

(٣) البدر الطالع (٧/٢).

وقال العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي (ت ١٢٣٧ هـ) رحمه الله: (وإن ممن قوي إيمانه، وانبسط على البسيطة سلطانه، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، أجزل الله له الأجر والثواب، وحصل له من التجديد ما يجيل عن التعديد، خصوصا في إخلاص التوحيد، وصرف العبادات كلها للغني الحميد، وترك دعوة غيره من العبيد، والعمل بالكتاب والسنة لله، وترك البدع المضلة... ولما انبعثت دعوته، وفاضت من وجه الأرض بركته، وانتفع بذلك الخاص والعام، وارتفعت قواعد الإسلام...) (١).

وقال الشيخ المحقق صديق خان القنوجي الهندي (ت ١٣٠٧ هـ) رحمه الله: (كان محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عالما متبعا للسنة، يغلب عليه حب اتباع السنة المطهرة) (٢). وقال - أيضا -: (فإن دعوته هي الدعوة إلى اتباع النبي ﷺ لا مخالفته، ومنهجها يوافق منهج السلف الصالح لا المبتدعة، كما لا يخفى ذلك على من كان له معرفة صحيحة بأحواله) (٣).

(١) اللجام المكين والزمام المتين (ص ٣٨، ٤٤).

(٢) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية (ص ٤٥) نقلا عن هداية السائل.

(٣) هداية السائل إلى أدلة المسائل، نقلا عن كتاب دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيه (٥٧).

وقال الشيخ المحدث محمد بشير السهسواني الهندي (ت ١٣٢٦ هـ) رحمته الله:
(من المعلوم عند كل عاقل، خبر الناس وعرف أحوالهم، وسمع شيئاً من أخبارهم وتواريخهم: أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة، والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل، ولا يجادل فيه عارف، كانوا من أمر دينهم في جاهلية، ويدعون الصالحين، ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران، يطوفون بقبور الأولياء، ويرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفر الاتحادية والحولية وجاهالة الصوفية ما يرون أنه من شعب الإيمان والطريقة المحمدية، وفيهم من إضاعة الصلوات ومنع الزكاة وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور، فمحا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده، وهدم به بيوت الكفر الشرك ومعابده، وكبت الطواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا، وأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات، ونهى عن الابتداع في الدين، وأمر بمتابعة السلف الماضين، في الأصول والفروع من مسائل الدين، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وقام الأمر بالمعروف



والنهي عن المنكر، وحدت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته، وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ولأئمتهم، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها، وتألّفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمة الله إخوانا، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفياfi والصخور^(١).

ووصف علامة الشام الشيخ عبدالقادر بن بدران (ت ١٣٤٦ هـ) رحمه الله الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: (العالم الأثري والإمام الكبير) ثم قال: (ولما امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة، وبرع في مذهب أحمد، أخذ ينصر الحق، ويحارب البدع، ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين الحنفي والشرعية السمحاء، وأعانه قوم أخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص والدعاية إليه، وإخلاص الوجدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده... ولم يزل مثابرا على الدعوة إلى دين الله تعالى حتى توفاه الله تعالى)^(٢).

(١) صيانة الإنسان (٤٢٣).

(٢) المدخل (ص ٤٤٦ - ٤٤٧).

وقال العلامة محمد المكي بن عزوز التونسي (ت ١٣٣٤ هـ) رحمه الله: (وقد كنت طالعت الرسائل المؤلفة من محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأصحابه، ورأيت ما كتبه الجبرتي في تاريخه، من عقائدهم وسيرتهم فما هي إلا طريق السنة ليس فيها ما ينكر)^(١)، وقد ذكر رحمه الله أنه لما سأل العلامة الشيخ عبدالرزاق البيطار (ت ١٣٩٦ هـ) عن الوهابية^(٢)، أفاده بأنهم سائرون على منهاج الكتاب والسنة وعقيدة السلف^(٣).

وقال علامة العراق أبوالمعالی محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢ هـ) رحمه الله عن الإمام محمد: (وكان شديد التعصب للسنة، كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء)^(٤).

وقال في مقدمة شرحه للمسائل التي خالف فيها رسوله الله ﷺ أهل الجاهلية: (ألفها الإمام العالم العلامة، والقُدوة الفهامة، محيي السنة السنية، ومجدد الشريعة النبوية، محدث عصره، وحافظ دهره، تذكرة السلف، وعمدة

(١) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي (ص ١٠٥).

(٢) لفظ الوهابية أحدثه بعض من عارض الدعوة تنفيراً عنها، وهو باطل لفظاً ومعنى.

(٣) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي (ص ١٠٧).

(٤) تاريخ نجد للألوسي (ص ١١٤).

الخلف أبو عبدالله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله النجدي الحنبلي^(١) وقال - أيضا - بعد أن ذكر كتاب (ثلاثة الأصول) للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (فانظر أيها النبھاني إليها، وقرأها من أولها إلى آخرها، فهل الذي يعتقد هذا الاعتقاد يعد من المبتدعين السالكين غير سبيل الرشاد؟! أم المبتدع هو الذي غير وبدل، وحرف وأول، واتبع غير سبيل المؤمنين... فيأياها الشيخ النبھاني، والشيخ الشيطاني، من الأحق أن يكون من المبتدعين؟! أنت ومن على شاكلتك من الغواة الضالين؟ أم حزب الرسول الذين سمعت عقيدتهم في الدين المبين)^(٢).

وقال علامة مصر الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) رحمه الله: (وكان الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله مجدداً للإسلام في بلاد نجد، بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة، على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية)^(٣).

وقال الشيخ العلامة محدث مصر أحمد شاکر (ت ١٣٧٧هـ) رحمه الله في كتابه للعلامة محمد حامد الفقي رحمه الله: (تزامننا وتأخينا منذ أكثر من خمس

(١) (ص ٥١).

(٢) غاية الأمانی (٢/ ٧٦).

(٣) مجلة المنار - (٢٧ / ١٧٦).

وأربعين سنة، لله وفي سبيل الله، نصدّر عن رأي واحد وعقيدة سليمة صافية في الاستمساك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لانحيد عنهما ما استطعنا... وكان من أعظم المصادر العلمية التي استضأنا بنورها بعد الكتاب الكريم والسنة المطهرة: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ثم كتب شيخ الإسلام مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله^(١).

وقال علامة مصر الشيخ محمد حامد الفقي (ت ١٣٧٨ هـ) رحمه الله بعد كلام سابق: (من هذا يتبين واضحاً حقيقة هذه الدعوة، وأنها أولى أن تسمى الدعوة السلفية المحمدية؛ لأنها لم تخرج في جملتها وتفصيلها عن الإسلام الصحيح الذي بعث به جميع الأنبياء، وخصوصاً خاتمهم وأشرفهم سيدنا محمد ﷺ)^(٢).

وقال العلامة القاضي أحمد بن حجر آل بوطامي القطري (ت ١٤٢٣ هـ) رحمه الله: (ولقد كان الشيخ الكبير والمصلح الشهير الداعي إلى توحيد الله العلي الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله التميمي النجدي رحمه الله من أولئك العدول والمجددين والمصلحين والمخلصين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين

(١) جمهرة المقالات (١/٣٩٣).

(٢) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني (ص ٤١).



ﷺ، كما قام يدعو إلى نبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصلحاء...^(١).

وقال العلامة محمد بهجة الأثري (ت ١٤١٦ هـ) رحمه الله في وصف الإمام محمد: (واتبع في مساره الفكري والعملي خطا الرسول الأعظم ﷺ خطوة خطوة، وما حاد عن هذا المسار القويم قيد شعرة في شيء ما من عقيدته ومن عمله)^(٢).

وقال الأستاذ مسعود الندوي (ت ١٣٧٣ هـ) رحمه الله في معرض رده على من طعن في الإمام (فالرجل الذي يقوم ويقعد وينام تحت ظل ظليل من سنة رسول الله ﷺ، وكأنها غطاءه وفراشه...)^(٣).

وقال الشيخ الدكتور محمد خليل هراس (ت ١٣٩٥ هـ) رحمه الله عن دعوة الإمام: (وبالجملة قرأنا كان أو سنة، فهي لا تنحرف عنه شرقا ولا غربا، متمثلة دائما قول الله تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣)^(٤).

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية (ص ١٦ - ١٧).

(٢) محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث ص ٣٠.

(٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه ص ١٧٣.

(٤) الحركة الوهابية ص ٧١.

وقال الشيخ الأديب علي الطنطاوي (ت ١٤٢٠هـ) رحمه الله بعد كلام سابق: (وأراد الله له الخير فقدّر أن يكون أحد الذين أخبر الرسول أنهم يبعثون ليجددوا لهذه الأمة أمر دينها، بل لقد كان أحق بهذا الوصف من كل من وصف به في تاريخنا، فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح، والدين الحق، والألفة بعد الاختلاف، والوحدة بعد الانقسام)^(١).

وقال الدكتور وهبة الزحيلي: (وخلاصة القول أن آراء الإمام محمد بن عبد الوهاب السابقة هي إسلامية المبدأ والهدف، والنزعة والمصير)^(٢).

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب: (ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلك الدعوات الطيبة المباركة الداعية إلى الله تعالى، والهادية إلى صراطه المستقيم، والضاربة في وجه البدع والضلالات التي تداعت على الدين الحنيف من داخل أوطان المسلمين، فكان من أولئك الركب المجاهد الكريم المنافع عن دين الله)^(٣).

(١) محمد بن عبد الوهاب (ص ١٢).

(٢) تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، منشور في بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٢ / ٣١٧.

(٣) الشبهات التي أثيرت حول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب والرد عليها، منشور في بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢ / ٢٣٣).

وقال الدكتور منير العجلاني: (وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة إلى الإسلام في أول أمره، ومطلع فجره... وحركة محمد بن عبد الوهاب رحمته الله هي حركة تجديد وتطهير، تجديد وإحياء لما أهمله المسلمون من أمور الإسلام وأوامره، وتطهير للإسلام مما أدخلوه عليه من الشراكيات والبدع)^(١).

وقال الدكتور حمدي الطاهري بعد ذكره المبادئ الرئيسة التي دارت حولها دعوة الإمام محمد: (كل ما ذكرته لم يكن خلقاً أو إبداعاً خلقه وتغنى به محمد بن عبد الوهاب، لقد أسند كل لفظ وكل عمل ذكره واعتمده في شرحه له على القرآن وأحاديث سول الله) ثم قال: (وتدور الدعوة الوهابية في رأيي، وبعد دراسة ما لها وما عليها بأنها تريد الإسلام الخالص، والإيمان المحض للمسلمين، كما كان عليه الحال في عهد النبي ﷺ)^(٢).

وسجل الأستاذ عبدالرحمن الرافي خلاصة الدعوة في قوله عن الإمام محمد: (وحدثته نفسه أن ينقي الدين، ويخلصه مما دخله من البدع، فدعا قومه إلى نبذها، وطرح كل ما لم يرد في الكتاب والسنة من الأحكام والتعاليم، والرجوع

(١) تاريخ البلاد السعودية (١/ ٢٤٠-٢٤١).

(٢) المملكة العربية السعودية تاريخ وواقع (ص ١١٧-١١٨).

بالدين إلى فطرته وبساطته الأولى^(١).

وقال الدكتور علي عبدالحليم محمود في وصف الدعوة: (هي العمل على تصحيح عقائد الناس مما ران عليها من زيغ وضلال وأباطيل وترهات؛ لتعود هذه العقائد إلى التوحيد الخالص، والعبادة الصحيحة، هي العمل على أن يستمسك الناس بشريعة الإسلام منهجا ونظاما لحياتهم في صغير الأمور وكبيرها، ابتداء من التزام أدب الإسلام في أبسط الأمور على مستوى الفرد وسلوكه، وانتهاء بأن يحكم الناس بما أنزل الله، بحيث يكون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الأساس الوحيد لمنهج الحياة الإنسانية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تجديد لأمر الدين في نفوس المسلمين، وإحياء له في عقولهم وأعمالهم، تجديد لأمر الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، كما أوضحه كلام النبي وفعله وتقريره... وهي في كل مجالاتها اقتداء بالسلف الصالحين رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وما خرجت الدعوة عن منهج السلف في شيء يؤخذ على الدعوة أو الداعية)^(٢).

(إن ما سجله المنصفون من رجال العلم من شرقيين وغربيين هو ضياء

(١) عصر محمد علي (١٢٢).

(٢) السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٥١ - ٥٣).

ساطع، وبرهان مضيء، على ما كان لتلك الدعوة الدينية، والنهضة الإصلاحية، في عالمها الماضي، ودنيانا الحاضرة من زخم وسطوع وتجديد وارتقاء وشموخ^(١). وهذا الشهادات المسجلة (مجرد مؤشر من مؤشرات كثيرة تزكي هذه الدعوة، وتظهر معدنها الأصيل، وتدلل على أنها دعوة عالمية إسلامية)^(٢).

وبعد هذا الطرف المشار به إلى نظائره مما لم يذكر لا يرتاب منصف - إذا ضم إلى ذلك الاطلاع على مصنفات إمام الدعوة وعلمائها ورسائلهم بتجرد - أنهم على هدي النبي ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً، بل إنه لظهور تمسكهم بالسنة وعملهم بها صار كثير من الناس - في بعض الأقطار - يطلق على المتمسك بالسنة، النابذ للبدعة أنه وهابي.

ومن المناسب أن أذكر في هذا المقام نقولاً تعزز هذا، فقد قال الشيخ محمد المكي بن عزوز التونسي رحمه الله: (واعلموا أن من البلايا المتسلطة على الدين وإيمان المسلمين: أنه صار الذي يصدع بالحديث النبوي الصحيح، مقدماً له على عصارة المتفقهين يقال له: أنت وهابي... وقد سمعت كثيراً من الناس يقولون: من يتبع الحديث فهو وهابي، ومن يعتقد عقيدة السلف فهو وهابي، فقلت لهم:

(١) أعضاء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث (١٠٣).

(٢) لمحات عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٦٤).

أنا لا أعرف الوهابية، وكلامكم يدل على أنهم سنيون صرفا، فقد مدحتهم مدحا صرفا من حيث قدحتم فيهم، نتمنى أن يكون مقلدة المذاهب كلهم هكذا إن كنتم صادقين فيما تقولون^(١).

وفي مقال للشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله قال: (ويستفيد المشتغلون بالحديث من سائر الأحاديث آدابًا وحكمًا وعلومًا لا يجدونها في كتب الفقه ولا في غيرها من كتب العلم. وقد كان من تأثير الاشتغال بها أن صار في الهند طائفة كبيرة تعمل بها، وبما يتبادر من الكتاب العزيز لا يقلدون دينهم أحدًا، وإنما يستعينون بكلام العلماء على فهم الكتاب والسنة. وهم يسمون أنفسهم أهل الحديث، ويطلق عليهم عوام الحنفية لفظ (وهابية)، وقد يكون فيهم من لم يطلع على شيء من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله الذي ينسبونهم إليه. وسيرة هؤلاء الشخصية أحسن من سيرة سائر فرق المسلمين المتتمين إلى المذاهب، فهم يجتنبون الفواحش والمنكرات والبدع كلها ولا سيما بدع القبور، فإذا زاروها وقفوا عند حدود السنة الماثورة من الدعاء والاعتبار، ويحافظون على صلواتهم وغيرها من الفرائض، ويصدقون في معاملاتهم الدنيوية وينصحون)^(٢).

(١) الرسائل المتبادلة بين القاسمي والآلوسي (ص ١٠٦).

(٢) مجلة المنار (١٥ / ٦١٩).



ولما ذكر الشيخ محمد بهجة الأثري عن شيخة العلامة محمود شكري
الألوسي رحمه الله أنه طفق يأخذ بالكتاب والسنة، وما يوافقهما من كلام سلف
الامة من غير تحزب لشيعة أو مذهب، بل يأخذ بالحق حيث وجدته، ويعززه
حيث ألفاه، وأنه كسر قيود التعصب الذميم، وفك من عنقه ربة التقليد
الأعمى، ذكر بعده أنه لما كان كذلك صار أهل التعصب يشنعون عليه في
مجالسهم، وينبذونه بأنه وهابي^(١).
وقال الشيخ إسماعيل أحمد: (ولما دعوناهم إلى نبذ تلك البدع والخرافات
ردوا علينا بأن دعوتنا وهابية)^(٢).

(١) أعلام العراق (ص ٩٦).

(٢) تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،
منشور ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢ / ٣٧٨).

المبحث الثالث

من مظاهر العناية بالسنة في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله عقيدته في النبي ﷺ، من وجوب الإيمان به، وتصديقه، وطاعته، ومحبته، واعتقاد أنه خاتم النبيين، وأفضل الخلائق أجمعين، مع وجوب القيام بحقوقه ونصرتة، في مواضع كثيرة، بعبارات جامعة، منها قوله في ذكر عقيدته: (وأؤمن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته)^(١)، وذكر إجماع أهل العلم على من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء آخر فهو كافر حلال الدم والمال^(٢)، وبين معنى شهادة أن محمداً رسول الله بقوله: (ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)^(٣)، وقرر أن كل ما قاله النبي ﷺ حق لا يشوبه باطل، وفي هذا يقول: (الذي يجب العلم به أن كل ما قال الرسول حق

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، الرسالة الأولى ص ١٠).

(٢) كشف الشبهات (١١).

(٣) الأصول الثلاثة، وأدلتها (ص ١٢).



يجب الإيـان به، ولو لم يعرف الإنسان معناه^(١).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله: (وقد قرر رحمته الله - يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله - على شهادة أن محمداً رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من: تجريد المتابعة، والطاعة، وتقديم سنته على كل سنة النبوية: من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة، وتقديم سنته على كل سنة وقول، والوقوف معها حيثما وقفت، والانتهاز حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره، خفيه وجلية، كليه وجزئية، ما ظهر به فضله، وتأكد علمه ونبله...) ^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمته الله: (والذي نعتقد: أن رتبة نبينا محمد عليه السلام أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره، حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسبب زيارته، إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته، بالاشتغال بالصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - الواردة عنه، فقد فاز بسعادة

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٤٤).

(٢) منهاج التأسيس (ص ٦٤).

الدارين، وكفي همهم وغمه، كما جاء في الحديث عنه^(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: (ومضمون شهادة أن محمدا رسول الله: وجوب اتباعه والرضى به نبيا ورسولا، ونفي البدع، والأهواء المخالفة لما جاء به ﷺ، فلا غنى لأحد عن معرفة ذلك وقبوله ومحبته والانقياد له قولا وعملا باطنا وظاهرا)^(٢).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمته الله: (وشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به، وطاعته واتباعه في كل ما أمر به، فما أثبتته وجب اتباعه، وما نفاه وجب نفيه)^(٣).

وكلام أئمة الدعوة في تقرير توحيد المتابعة طويل جدا، بل لا تكاد تقف على صحيفة من مؤلفاتهم إلا وفيها ما يدعو إلى ذلك ويحققه ويبينه.

وبناء على هذا المعتقد الصحيح في رسول الله ﷺ، وتفسير الشهادة له بالرسالة، جاء تعظيم السنة النبوية في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، بوجوه شتى، وفي مناسبات مختلفة، وظهر ذلك ظهورا جليا في تاريخ الدعوة،

(١) الدرر السنية - (١/ ٢١٦).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢٧٤).

(٣) الدرر السنية (١٠/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

والكتب والرسائل التي دونها علماء الدعوة. وليس باستطاعة الباحث حصر ذلك^(١)، ولكن سأذكر جملة منها على وجه الإيجاز في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تأصيل وجوب طاعة الرسول ﷺ واتباعه.

عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه العظيم (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ (النساء: ٦٠).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في بيان هذه الترجمة: (لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملا على الإيمان بالرسول ﷺ، مستلزما له، وذلك هو الشهادتان، ولهذا جعلهما النبي ﷺ ركنا واحدا في قوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا» نبه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد، واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع؛ إذ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، ولازمها الذي لا بد منه لكل مؤمن؛ فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلا بد من الانقياد لحكم الله،

(١) انظر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية (١/ ٤٢٢ - ٤٤٠).

والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ، فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته، وإن شئت قلت: لما كان التوحيد مبنياً على الشهادتين إذ لا تنفك إحداهما عن الأخرى لتلازمهما، وكان ما تقدم من هذا الكتاب في معنى شهادة أن لا إله إلا الله التي تتضمن حق الله على عباده، به في هذا الباب على معنى شهادة أن محمداً رسول الله التي تتضمن حق الرسول ﷺ؛ فإنها تتضمن أنه عبد لا يعبد، ورسول صادق لا يكذب، بل يطاع ويتبع؛ لأنه المبلغ عن الله تعالى، فله عليه الصلاة والسلام منصب الرسالة والتبليغ...^(١).

وفي رسالته (الأصول الثلاثة) ذكر الأصل الثالث من الأصول التي يجب تعلمها فقال: (اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن... الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ) ثم ذكر شيئاً من أحواله. وكان قبل ذلك في الأصل الثاني وهو (معرفة دين الإسلام بالأدلة) قال: (ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)^(٢). وفي كتابه (أصول

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٥٤).

(٢) (ص ٧، ١٥، ٢٠).

الإيمان) عقد بابا في حقوق النبي ﷺ، وبابا بعده هو باب تحريضه ﷺ على لزوم السنة والترغيب في ذلك، وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك^(١).

وذكر الإمام في رسالته (نواقض الإسلام) (الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر. الخامس: من أبغض شيئا مما جاء به النبي ﷺ ولو عمل به كفر. التاسع: ما اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ فهو كافر)^(٢). وفي ستة الأصول ذكر الأصل السادس بقوله: (الأصل السادس: رد الشبه التي وضعها الشيطان، في ترك القرآن، والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفها إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو: الموصوف بكذا وكذا، أو صافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر! فان لم يكن الإنسان كذلك، فليعرض عنها فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق وإما مجنون؛ لأجل صعوبة فهمهما! فسبحان

(١) (ص ٦٥، ٦٨).

(٢) (ص ١٧٧ - ١٧٨) ضمن مجموعة التوحيد.

الله وبحمده: كم بين الله سبحانه شرعا وقدرًا، خلقًا وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حد الضروريات العامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَبُهِتَ إِلَى الْأُذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ (يس: ٧ - ٨) إلى قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (يس: ١١)^(١).

وطاعته ﷺ طاعة مطلقة لكونه لا ينطق عن الهوى، قال إمام الدعوة: (فأنا - والله الحمد - لم آت الذي أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته إن أتاني منه - يعني عبد الله بن عيسى وهو ممن رد الإمام عليهم افتراءهم عليه - أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يفارق الحق)^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمهما الله: (الذي ندين الله به عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بعبادة غيره، ومتابعة الرسول النبي الأمي، حبيب الله، وصفيه من خلقه، محمد ﷺ؛ فأما عبادة الله، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

(١) (ص ١٨٢) ضمن مجموعة التوحيد.

(٢) الدرر السنينة (٢ / ٥٧).

أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ۖ ﴿النحل: ٣٦﴾... وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات، والأقوال، والأفعال؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها قبل، وما خالف رد على فاعله كائناً من كان، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به وطاعته، ومتابعته في كل ما أمر به. وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، رحمهم الله أجمعين؛ لكي تتبع آثارهم. وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة، ولا إجماع الأمة، ولا قول جمهورها^(١).

(١) الدرر السنية - (١/ ٢٢٩).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمته الله: (ونحن - بحمد الله - من أعظم الناس إيجاباً لرعاية الرسول ﷺ تصديقا له فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بمعرفة ما بعث به، واتباع ذلك دون ما خالفه؛ عملا بقوله تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٥)^(١).

وقال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رحمته الله لما سئل عما أشكل على بعض الناس من كبر الأهله: (وأنت فاهم حفظك الله غربة الإسلام، وما وقع في أنفسهم من الحرج عند الوقوف على الأمر والنهي، والعبادات مبناها على الاتباع، والمشرع الرسول ﷺ، ومن أراد الاحتياط لنفسه في أمر العبادات بأمر لم يحتط به الرسول ولم يحكم به، فلازم اعتقاده وفعله ومقاله نقص البلاغ من المشرع، وهذه مصيبة عظمى، وداهية كبرى، علق رسول الله ﷺ الصوم والفطر بالرؤية أمرا ونهيا، لا على المنازل وكبر الأهله، قال ﷺ في الأمر: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» وقال في النهي «لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه»^(٢).

(١) الدرر السنية (١٠ / ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٢) الدرر السنية (٥ / ٣٠٦ - ٣٠٧).



المطلب الثاني: حصر الطريق إلى الله فيما جاء به النبي ﷺ.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (فهنا قاعدة مجمع عليها، وهي أنه لا يجوز لأحد بعد الرسول ﷺ أن يشرع شيئاً من الواجبات ولا من المستحبات، بل يكون ذلك العمل بدعة وضلالة يضر ولا ينفع، والدليل ليس على النافي، بل على المثبت)^(١).

وقال الإمام في المسائل التي لخصها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان، وطريق شرعي، فالشرعي النظر فيما جاء به الرسول ﷺ والاستدلال بأدلته والعمل به، فلا يكفي علم بلا عمل، ولا عمل بلا علم)^(٢).

ونقل الإمام عن صاحب الإقناع قوله - مقرأه -: (ومن اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ، أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجاً عن اتباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، كفر في هذا كله)^(٣).

(١) الدرر السنية (٧ / ٣٣).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (ملحق المصنفات ص ١٦٦).

(٣) الدرر السنية (١٠ / ١٩).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله - نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية -:
(فليس لأحد طريق إلى الله إلا بمتابعة الرسول، بفعل ما أمر وترك ما حذر، ومن
جعل إلى الله طريقا غير متابعة الرسول للخاصة والعامة فهو كافر بالله
ورسوله)^(١).

**المطلب الثالث: تقرير أن المتابعة ركن لصحة العمل، فلا يقبل
عمل مهما كان وممن كان إلا إذا كان موافقا للكتاب والسنة.**
قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله: (وفرض الله علينا الإخلاص
في عبادته، واتباع سنة نبيه، ولا يقبل لأحد شيئا من الأعمال، إلا بالقيام بهذين
الركنين: الإخلاص والمتابعة؛ فالإخلاص أن يكون لله، والمتابعة أن يكون متبعا
لأمر رسوله، لأن كل عبادة حدها الشرع: ما أمر به الرسول ﷺ من غير اطراد
عرفي، ولا اقتضاء عقلي، ليست العبادة ما درج عليه عرف الناس، وما اقتضته
مقاييسهم وعقولهم، لها حد يقف المؤمن والخائف من عقاب الله عنده، وهو ما
أمر به الرسول، قال ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، وقال: «من
أحدث شيئا ليس عليه أمرنا فهو رد»، وما خرج أحد عن طريقته إلا سلك أحد

(١) القول الفصل النفيس (ص ١٠٧ - ١٠٨).



طريقين، إما جفاء وإعراض، وإما غلو وإفراط، وهذه مصائد الشيطان التي يصطاد بها بني آدم^(١).

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: (والأصل الثاني - أي من شروط صحة العمل - هو طاعة النبي ﷺ في أمره، وتحكيمه في دقيق الأمور وجليلها، وتعظيم شرعه ودينه، والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه)^(٢).

وقال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: (فالرسول ﷺ جعله الله إماماً للناس، فكما أنزل عليه القرآن، أنزل عليه السنة، موافقة للقرآن، مبينة له، فما وافق هديه، فهو الصراط المستقيم، وما خالفه، فهو البدعة والضلال الوخيم، وكل بدعة ضلالة، إذ لا طريق إلى الحق إلا من طريقه، ولا شرب إلا من حوضه ورحيقه، وجميع الطرق مسدودة، وجميع الآراء مردودة، إلا ما وافق الكتاب والسنة). ثم قال: (والمقصود أن طاعة الرسول ﷺ واجبة الاتباع، وطاعة الغير سائغة الاتباع، وقد عكس الناس القضية بآراء غير مرضية)^(٣).

(١) الدرر السنية (٩ / ٨٩).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١ / ٧٤٣).

(٣) الدرر السنية (٣ / ٣٣٦).

المطلب الرابع: اعتماد السنة دليلاً في العقائد والأحكام؛ ذلك أن التفريق بين المسائل العلمية والعملية في الاحتجاج بالسنة قول محدث، لا يدل عليه كتاب ولا سنة، ويخالف ما قرره السلف.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله: (قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة والمقروءة عليه، وما ثبت بخطه، وعرف واشتهر من أمره ودعوته، وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته، أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز، وصحت بها الأخبار النبوية، وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم، يثبتونها ويؤمنون بها ...) (١).

وقال - أيضاً -: (فاعلم أن مستند المسلمين في العقائد ومرجعهم في أصول الدين وفروعه إلى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع من سلف من علماء الأمة) (٢). وقال: (ولا تذكر أقوال أهل العلم إلا تبعا وبيانا، لا أنها المقصودة بالذات والأصالة) (٣).

(١) منهاج التأسيس (ص ٥٦).

(٢) منهاج التأسيس (ص ١٨).

(٣) منهاج التأسيس (ص ٧٩).

وقال الشيخ عبداللطيف كذلك في رسالة أملاها مبينا منهج أئمة الدعوة: (وأما السنة ففيها من أدلة التوحيد ما لا يمكن حصره) ثم قال: (وأدلة التوحيد في الكتاب والسنة أبين من الشمس في نحر الظهيرة، لكن لمن له فهم ثاقب، وعقل كامل، وبصر نافذ، وأما الأعمى فلا يبصر للشمس ضياء، ولا للقمر نورا)^(١)، وقال: (وبالجملة، فعقيدة القوم: تحكيم الكتاب، والسنة، والأخذ بأقوال سلف الأمة، وأئمتها، كالأئمة الأربعة، وأمثالهم، في باب: وجوب إخلاص العبادة لله ومحبته، والإنابة إليه، وتعظيمه، وطاعته؛ وفي باب: معرفته بصفات كماله، ونعوت جلاله، فيثبتون له ما أثبتته الله تعالى لنفسه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل؛ فهم على طريقة السلف)^(٢).

وذكر الشيخ حسن بن حسين رحمه الله معتقد السلف نقلا عن حرب الكرمانى صاحب أحمد رحمهما الله، وفيه: (والدين إنما هو كتاب الله ﷻ وآثار وسنن، وروايات صحاح عن الثقات، والأخبار الصحيحة القوية المعروفة، ويصدق بعضها بعضا، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين، المقتدى بهم،

(١) الدرر السنية (١/ ٤٤٥).

(٢) الدرر السنية (١/ ٢٠٥).

التمسكين بالسنة، والمتعلقين بالآثار^(١) ثم قال: (الذي اعتقده، وأدين الله به،
وأشهد الله عليه وملائكته والواقف عليه هذا، وهو المذهب الصحيح الذي درج
عليه السلف الصالحون، والخلف التابعون، وأبرأ إلى الله مما سواه)^(٢).

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن إبراهيم رحمهما الله:
(وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها،
ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما
ظاهر في أن الله سبحانه هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء... وفي الأحاديث
الصحيح والحسان ما لا يحصى إلا بكلفة)^(٣).

**المطلب الخامس: اعتقاد أن الهداية والعز والنصر مقرونة بالاتباع
للسنة، وأن الضلال مقرون بالإعراض عنها أو إنكار ما صح منها.**
قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (وإذا كانت سعادة الأولين
والآخرين هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار

(١) الدرر السنية (١/ ٣٥٤).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣٥٥).

(٣) الدرر السنية (١٣ / ٣٤ - ٣٥).

المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها، هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة؛ وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة. والرسول عليهم البلاغ المبين، وقد بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله عليه كتابه، مصداقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيماً عليه، فهو المهيمن على جميع الكتب، وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين، فأسعد الخلق، وأعظمهم نعيماً، وأعلاهم درجة أعظمهم اتباعاً له، وموافقة علماً وعملاً^(١).

وقال الإمام محمد رحمه الله: (ونعتقد أن أمة محمد ﷺ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة)^(٢).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: (فالواجب على من له مهمة في الخير وطلب العلم أن يبحث عن مذاهب السلف وأقوالهم في هذا الأصل العظيم، الذي قد يكفر الإنسان بالغلط فيه، ويعرف مذاهب الناس في مثل ذلك؛

(١) الدرر السنية (٣ / ٢١).

(٢) الدرر السنية (١ / ٨٨).

وأن يطلب العلم من معدنه ومشكاته، وهو ما جاء به محمد ﷺ من الكتاب والحكمة، وما كان عليه سلف الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿الْمَصَّ ۖ كِتَابٌ أُزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ (التيسير: ١-٣)، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ (الأنعام: ١٥٥)، فإذا وفق العبد لهذا، وبحث عن تفاسير السلف وأئمة الهدى، ورزق مع ذلك معلماً من أهل السنة، فقد احتضنته السعادة، ونزلت به أسباب التوفيق والسيادة، وإن كان نظر العبد وميله، إلى كلام اليونان، وأهل المنطق والكلام ومشايخه من أهل البدعة والجدل، فقد احتوشته أسباب الشقاوة، ونزلت وحلت قريباً من داره موجبات الطرد عن مائدة الرب وكتابه^(١).

وقال الشيخ عبداللطيف - أيضاً -: (والمقصود أن كل خير ونصر وعز وسرور حصل فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ، وتقديم أمره في الفروع والأصول)^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله: (وأصل ضلال هؤلاء هو الإعراض

(١) الدرر السنية (٤/ ٢٨٩).

(٢) الدرر السنية (١/ ٤٦٥).



عما جاء به الرسول ﷺ، من الكتاب والحكمة، وابتغاء الهدى من غيرهما، فمن كان هذا أصله فهو بعيد عن الخير^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمه الله: (فلا نجاة للخلق ولا سعادة ولا كفاية ولا هداية إلا باتباع محمد ﷺ واتباع ما جاء به ورفض ما خالفه وهجر من نكب عن سنته وإن كان الحبيب المواتيا، فالحكم لله العلي الكبير)^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: (فحقيق بمن نصح نفسه وأراد نجاتها أن تكون نصوص الشارع في صدره أعظم وأجل من مفهوم ما لفقه الملقون من العبارات المجملة).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله: (وأما قوله: (إن الله كتب التوراة بيده) فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ ضال، وإذا أنكره بعد معرفته بالحديث الصحيح فإنه يستحق العقوبة)^(٣).

(١) الدرر السنية (١٠ / ٢٤٧).

(٢) الدرر السنية (٨ / ٤٤٥).

(٣) الدرر السنية (٣ / ٣١).

المطلب السادس: تقديم سنة النبي ﷺ على قول كل أحد من الناس، والاعتبار بكلامه دون غيره ولو خالفه الأكثر، وتقديمها على العقل والقياس، وذم التقليد المحض.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (وقد تبين: أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب، والحكمة، ومعرفة ما أراد بذلك، كما كان عليه الصحابة، والتابعون، ومن سلك سبيلهم، فكل ما يحتاج إليه الناس فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً كافياً، فكيف أصول التوحيد والإيمان! ثم إذا عرف ما بينه الرسول نظر في أقوال الناس وما أرادوا بها، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح، الذي هو موافق للرسول؛ فإنه الميزان مع الكتاب، فهذا سبيل الهدى، وأما سبيل الضلال، والبدع، والجهل، فعكسه أن تبتدع بدعة بأراء رجال، وتأويلاتهم، ثم تجعل ما جاء به الرسول تبعاً لها، وتحرف ألفاظه، وتأويله على وفق ما أصلوه، وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول، ولا يتلقون منه الهدى، ولكن ما وافقهم منه قبلوه، وجعلوه حجة لا عمدة، وما خالفهم منه تألوه، كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه؛ أو فوضوه، كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، وكثير منهم إنما ينظر في تفسير القرآن والحديث فيما يقوله، موافقة على المذهب، وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس

الأمر اتباع نص أصلاً، كالذين ذكرهم الله من اليهود: الذين يفترون على الله الكذب، وهم يعلمون^(١).

وقال الإمام - وهو يعدد - فوائد صلح الحديبية: (التاسعة عشرة معرفة فضيلة التسليم للشارع فيما لم يدرك بالعقل)^(٢).

وقال بعد حكاية مذاهب للمبتدعة: (وأصل ضلال الكل تقديم القياس على النص، واختيار الهوى على اتباع الأمر)^(٣).

وقال في أحد أجوبته بعد كلام سابق: (أني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي ﷺ أمته، وأقول لهم: الكتب عنكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئاً؛ لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم، فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس)^(٤).

وقال الإمام في المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية:

-
- (١) الدرر السنية (٣ / ١٥).
 - (٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (ذكر بعض الفوائد التي في صلح الحديبية ملحق المصنفات ص ٥).
 - (٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (ملحق المصنفات، هذه مسائل ص ١٤).
 - (٤) الدرر السنية - (١ / ٧٨)، مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، الرسالة الرابعة ص ٣٢).

(إن دين المشركين مبني على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم)^(١).

وقال هو والإمام عبدالعزيز بن محمد رحمهما الله في جواب لهما: (وأما ما ذكرتم: من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى)^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: (بل الفرض والحثم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلم معنى ذلك في أي شيء كان، أن يعمل به ولو خالفه من خالفه، فبذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ، وأجمع على ذلك العلماء قاطبة إلا جهال المقلدين وجفاتهم، ومثل هؤلاء ليسوا من أهل العلم كما حكى الإجماع على أنهم ليسوا من أهل العلم أبو عمر بن عبد البر وغيره، قال الله تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا

(١) المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية مع شرحها للدكتور يوسف السعيد (١/١٥٨ - ١٧٧).

(٢) الدرر السنية (١/ ٨٥).

عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلِغُ الْمُبِينُ ﴿ (النور: ٥٤)، فشهد تعالى لمن أطاع الرسول ﷺ بالهداية، وعند جفاة المقلدين أن من أطاعه ﷺ ليس بمهتد، إنما المهتدي من عصاه وعدل عن أقواله ورغب عن سنته إلى مذهب أو شيخ ونحو ذلك، وقد وقع في هذا التقليد المحرم خلق كثير ممن يدعي العلم والمعرفة بالعلوم ويصنف التصانيف في الحديث والسنن، ثم بعد ذلك تجده جامدا على أحد هذه المذاهب، يرى الخروج عنها من العظائم... بل إن قرؤا شيئا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنما يقرؤون تبركا لا تعلموا وتفقهوا، أو لكون بعض الموقفين وقف على من قرأ البخاري مثلا، فيقرؤونه لتحصيل الوظيفة لا لتحصيل الشريعة، فهؤلاء من أحق الناس بدخولهم في قول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۚ خَلِيدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۚ ﴾ (طه: ٩٩ - ١٠١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۚ ﴾ (طه: ١٢٤)، إلى قوله: ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۚ ﴾ (طه: ١٢٧)^(١).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله عن إمام الدعوة: (ولا يرى إيجاب ما قاله المجتهد إلا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة، خلافاً لغلاة

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٤٦ - ٥٤٧).

المقلدين، ويوالي الأئمة الأربعة ويرى فضلهم وإمامتهم، وأنهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتطاول، ويوالي كافة أهل الإسلام وعلمائهم من أهل الحديث والفقه والتفسير، وأهل الزهد والعبادة، ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع أو قول مخترع، فلا يحدث في الدين ما ليس له أصل يتبع، وما ليس من أقوال أهل العلم والأثر^(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: (والقياس في مصادمة النص فاسد الاعتبار عند العلماء قديماً وحديثاً؛ فإن القياس إنما يصار إليه عند الضرورة إليه إذا عدم النص، ولم يوجد للحكم دليل في الكتاب والسنة، لا نصاً ولا ظاهراً، فحينئذ يجوز عند بعض العلماء، لدعاء الضرورة إليه)^(٢).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله (ومعاذ الله أن يوجب الشيخ على أحد متابعته أو متابعة غيره إلا رسول الله ﷺ وهذه رسائل الشيخ ومصنفاته ينهى عن ذلك ويشدد فيه، ويأمر بتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ وينكر ما اعتاده الناس من الغلو في رأي العلماء واجتهادهم، وتنزيل ذلك منزلة النصوص النبوية، وقد عقد باباً في كتاب التوحيد لهذه المسألة، قال رحمته الله: باب

(١) منهاج التأسيس (١ / ٦٢).

(٢) الدرر السنية (١٠ / ٢٥٤).

من أطاع العلماء والأمرء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله. واستدل بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١) وذكر حديث عدي بن حاتم...^(١)

وقال الشيخ عبداللطيف في بيان ما كان عليه الإمام: (ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدي رسول الله ﷺ وسنته في طقوسهم في العبادات والخلوات والأذكار المخالفة للمشروع، ولا يرى ترك السنن والأخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده، بل السنة أجل في صدره وأعظم عنده من أن تترك لقول أحد كائنا من كان، قال عمر بن عبدالعزيز: (لا رأي لأحد مع سنة سنّها رسول الله ﷺ)، نعم عند الضرورة وعدم الأهلية والمعرفة بالسنن والأخبار وقواعد الاستنباط والاستظهار يصار إلى التقليد لا مطلقاً، بل فيما يتعسر ويخفى، ولا يرى إيجاب ما قاله المجتهد إلا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة خلافاً لغلاة المقلدين)^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمته الله: (إنما نبذ وراء ظهره - يعني الإمام محمداً - كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وخالف أقوال أئمة الدين

(١) مصباح الظلام (ص ١٤٣).

(٢) منهاج التأسيس (ص ٦٢).

المجتهدين، وهو - والله الحمد - متبع لا مبتدع، وإنما أمانيه القيام بأوامر الله وشرعه ودينه، ودعوة الناس إلى ذلك، والجهاد على ذلك، ولم تسول له نفسه ما يخالف الكتاب والسنة، وإنما قام أشد القيام في اتباع الكتاب والسنة ورد ما خالفهما، وترك ما ألفه أعداء الله ورسوله الزنادقة من الأحاديث المكذوبة الموضوعية، وإذا لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله شيئاً اعتمد على أقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين، وذلك معروف في رسائله ومصنفاته ولا ينكره إلا مكابر^(١).

وقال - أيضاً -: (وأما دعوى التقليد لهما - أي للشيخين - فلا حقيقة لذلك، بل كان مقتديا بهما ومتبعا لهما على ما أوضحنا من الدليل من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة)^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمهما الله في بيان ما عليه الدعوة: (إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة، غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به وتركنا المذهب)^(٣).

(١) الضياء الشارق (ص ١٦٦).

(٢) تبرئة الشيخين الإمامين (ص ٩٢).

(٣) الدرر السنية (٤/ ١٥)، (٧/ ١٣٧)، وانظر: تاريخ نجد للألوسي (ص ٤٥).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: (ولا خلاف بين العلماء من المجتهدين أن القياس - وهو من الأدلة عند جمهور العلماء - إذا خالف نصاً أو ظاهراً من كتاب أو سنة ترك وفسد اعتباره)^(١).

وقال الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الله بن محمد رحمهما الله: (عقيدة الشيخ رحمته الله التي يدين الله بها، هي: عقيدتنا، وديننا الذي ندين الله به، وهو عقيدة سلف الأمة وأئمتها، من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرض أقوال العلماء على ذلك؛ فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله. وهذا: هو الأصل الذي وصانا الله به في كتابه، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء: ٥٩)، أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة، ليس هذا موضع بسطها، وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة، ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه، فاتبع الدليل، وترك

(١) القول الفصل النفيس (ص ١٥٦)، وانظر الدرر السنية (٢/ ٢٤٣).

مذهبه، كان هذا مستحباً، بل واجبا عليه إذا تبين له الدليل، ولا يكون مخالفاً لإمامه الذي اتبعه، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل، أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، عليهم السلام أجمعين... وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة، يخالف القول الذي نص عليه العلماء، أصحاب المذاهب، فنرجوا أنه يجوز العمل به؛ لأنهم رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة ومن بعدهم؛ ولكن لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله ﷺ، حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسألة؛ وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها، قديماً وحديثاً؛ والذي ننكر، هو التعصب للمذهب، وترك اتباع الدليل^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمته الله: (هذا وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماماً حق من أهل السنة، وكتبهم عندنا من أعز الكتب، إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمداً ﷺ، ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل، منها: طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس، فإننا نقول، به تبعاً للأئمة، ونرى الوقف صحيحاً، والنذر جائزاً، ويجب الوفاء به في غير المعصية)^(٢).

(١) الدرر السنية (١/ ٢١٩-٢٢١)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٣٢-٣٤).

(٢) الدرر السنية (١/ ٢٣٠).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: (فما ناقض أدلة الكتاب والسنة والمعروف صحتها من الكتب وبالأسانيد المعتبرة عند علماء المسلمين فلا يجوز الأخذ به، بل يجب تركه وعدم الالتفات إليه)^(١).

وقرر الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله أن ترك العمل بالحديث الصحيح إذا خالف المذهب من محدثات الأمور التي ما أنزل بها من سلطان، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٣)، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩)، ثم قال: والتقليد المفضي إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١)^(٢).

وأكد هذا الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمته الله فقال: (فمن قال: إن ما أودع في بعض الكتب المصنفة هو الذي يجب اتباعه فهو مخطئ يخاف عليه العقوبة في قلبه، ولازم هذه المقالة أنه إذا وجد عن المعصوم صلوات الله وسلامه

(١) القول الفصل النفيس (ص ١٥٦) و(٢٢١).

(٢) الدرر السنية (٤ / ٦٤ - ٦٥).

عليه ما يخالف بعض ما فيها أن الذي في هذه الكتب هو الواجب الاتباع دون ما جاء عن الرسول ﷺ، بل كثير منهم يصرحون بذلك ويلتزمونه، مع أنه يخالف للكتاب والسنة فهو مخالف لقول الأئمة الأربعة^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمه الله: (وإذا بان لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائنا من كان، بل نتلقاها بالقبول والتسليم؛ لأن سنة رسول الله ﷺ في صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد، فهذا الذي نعتقد وندين الله به)^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: (النصوص الثابتة عن رسول الله ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلا عن أن يكون مقدما عليها)^(٣).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله: التقليد ثلاثة أنواع: أحدها: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد، فهذا لا يجوز؛ وقد اتفق السلف والأئمة على ذمه وتحريمه. قال الشافعي، رحمه الله: أجمع المسلمون على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها

(١) الدرر السنية (٤/ ٧١).

(٢) الدرر السنية (٤/ ١٠٦).

(٣) الضياء الشارق (ص ٢٩٩).

لقول أحد من الناس.

النوع الثاني: التقليد مع القدرة على الاستدلال والبحث عن الدليل، فهذا مذموم أيضاً؛ لأنه عمل على جهل، وإفتاء بغير علم، مع قدرته وتمكنه من معرفة الدليل المرشد، والله تعالى قد أوجب على عباده أن يتقوه بحسب استطاعتهم، فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر، فاتوا منه ما استطعتم». فالواجب على كل عبد أن يبذل جهده في معرفة ما يتقيه مما أمره الله به ونهاه عنه، ثم يلتزم طاعة الله ورسوله؛ ولم يكلف الله عباده ما لا يطيقونه، بل الواجب على العبد ما يستطيعه من معرفة الحق، فإذا بذل جهده في معرفة الحق، فهو معذور فيما خفي عليه.

النوع الثالث: التقليد السائب، وهو: تقليد أهل العلم عند العجز عن معرفة الدليل؛ وأهل هذا النوع، نوعان أيضاً: أحدهما: من كان من العوام الذين لا معرفة لهم بالفقه والحديث، ولا ينظرون في كلام العلماء، فهؤلاء: لهم التقليد بغير خلاف؛ بل حكى غير واحد: إجماع العلماء على ذلك.

النوع الثاني: من كان محصلاً لبعض العلوم، وقد تفقه في مذهب من المذاهب، وتبصر في كتب متأخري الأصحاب كالإقناع والمنتهى، في مذهب الحنابلة، أو المنهاج ونحوه في مذهب الشافعية أو مختصر خليل ونحوه في مذهب

المالكية أو الكنْز ونحوه في مذهب الحنفية، ولكنه قاصر النظر عن معرفة الدليل، ومعرفة الراجح من كلام العلماء، فهذا له التقليد أيضاً، إذ لا يجب عليه إلا ما يقدر عليه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦). ونصوص العلماء على جواز التقليد لمثل هذا كثيرة مشهورة^(١).

وأئمة الدعوة يحفظون لعلماء الأمة مقامهم في العلم والإيمان وإن أخطؤوا، قال الإمام المجدد رحمه الله: (فينبغي للإمام أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطؤوا، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اتخاذهم أرباباً من دون الله إذا قيل قال الله قال رسول الله، قيل هم أعلم منا فهذا هو طريق الضالين)^(٢).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله: (واعلم رحمك الله: أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة، وهو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن يغمط مكانه وإمامته ومنزلته في

(١) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى (ص ٤٤).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ١٢).



قلوب المسلمين^(١).

وأما العقل فمردود إلى النقل، والنقل حاكم عليه، مع إيمانه بأن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح، وقد قرر هذا باستفاضة الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في الضياء الشارق^(٢).

المطلب السابع: وجوب الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة لوجود ما يفصل النزاع فيهما.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩): (فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله أي إلى كتاب الله، وإلى الرسول ﷺ، أي إلى سنته، علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع الناس فيه، وجد فيهما ما يفصل النزاع)^(٣).

وقال الإمام: (إذا اختلف كلام أحمد، وكلام الأصحاب، فنقول في محل

(١) النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين (ص ١٧٤).

(٢) انظر (ص ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٣١٨).

(٣) الدرر السنية (٨/٤).

النزاع: التراد إلى الله وإلى رسوله، لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام الأصحاب، ولا إلى الراجح من ذلك؛ بل قد يكون الراجح والمرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً؛ وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل، فالأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل الصواب يصدق بعضه بعضاً، لكن قد يكون أحدهما خطأ في الدليل: إما يستدل بحديث لم يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً؛ وبالجمله: فمتى رأيت الاختلاف، فرده إلى الله والرسول؛ فإذا تبين لك الحق فاتبعه^(١).

ولما سئل عن مسألة اختلفت فيها الرواية عن أحمد، ذكر الروايتين ثم قال: (إذا ثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها إلى الله والرسول) ثم ذكر تحرير المسألة فيما ظهر له^(٢).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله في رسالة أملاها مبينا منهج أئمة الدعوة: (ومن أصولهم: أنهم يقولون بوجوب رد ما تنازعت فيه الأمة إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ولا يقبلون قولاً مجرداً عن دليل ينصره، وبرهان

(١) الدرر السنية (٥ / ٥)، مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٣٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٩٥).

يعضده، بمجرد نسبته إلى شيخ، أو متبوع غير الرسول، لاسيما من خالف هدى القرون المفضلة، وما درج عليه أوائل هذه الأمة، فإنهم يشددون على من خالفهم^(١).

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: (فالواجب على المؤمن رد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله ﷺ، وأن يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، فيكون الله إلهه ومعبوده، والرسول إمامه ومتبوعه)^(٢).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله: (والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة، لا يجتمعون على ضلالة، وإذا تنازعوا في شيء رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، والواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩)، قال العلماء الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إلى السنة بعد وفاته، وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ١٠)^(٣).

(١) الدرر السنية (١/ ٥٠٣).

(٢) الدرر السنية (٨/ ٤١١).

(٣) الدرر السنية (١٠/ ٣٠٣ - ٣٠٤).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمته الله: (فالواجب فيما تنازع فيه العلماء رده إلى الله والرسول كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ١٠)، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء: ٥٩)، فإذا وجدنا مسألة قد اختلف العلماء فيها وجب علينا الرد إلى النصوص، فما وافق النصوص وجب الأخذ به، وما خالفها وجب رده إليها، وأما تركها لقول بعض العلماء والتعليل بأنهم أعلم منا بمعانيها فلا يجوز، بل هذا عين التقليد المذموم الذي أنكره شيخنا رحمته الله كما أنكره العلماء قبله)^(١).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمته الله: (والشيخ - يعني ابن تيمية - رحمته الله من الأئمة المجتهدين، لكن إذا خالف كلامه الحديث الصحيح وجب الأخذ بالحديث دون ما خالفه... ومعلوم أن الشيخ قد اطلع على هذه الأحاديث في النهي عن بيع الطعام قبل قبضه وأنه تأولها، لكن إذا لم نعلم وجه تأويله، ولم يتبين لنا رجحان دليله لم يجوز لنا أن نخالف هذه الأدلة الثابتة عن النبي ﷺ)^(٢).

وقال الشيخ عبداللطيف: (ثم اعلم: أن المحققين منعوا من قول: لا إنكار

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٤٩٧).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٤٩٦).

في مسائل الاجتهاد، وأوردوا عن الصحابة فمن بعدهم من الأئمة وعلماء الأمة من الإنكار ما لم يمكن حصره، قال شيخ الإسلام أبو العباس رحمه الله: قولهم: مسائل الاجتهاد لا إنكار فيها، ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم، أو العمل. أما الأول، فإذا كان القول يخالف سنة، أو إجماعاً قديماً، وجب إنكاره وفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإنه منكر بمعنى ضعفه عند من يقول: المصيب واحد، وهم عامة السلف والفقهاء؛ وأما العمل، إذا كان على خلاف سنة أو إجماع، وجب إنكاره أيضاً، بحسب درجات الإنكار، وكما ينقض حكم الحاكم إذا خالف سنة. وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ، فلا ينكر على من عمل بها مجتهداً، أو مقلداً^(١).

المطلب الثامن: الدعوة إلى السنة والوصية باتباعها، والتوجيه إلى معرفة الحكم بدليله.

قال الإمام محمد رحمه الله: (ولست - والله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم أو الذهبي أو ابن كثير أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وإلى سنة رسول الله ﷺ).

(١) الدرر السنية (٥ / ١٠١).

التي وصى بها أول أمته وآخرها^(١).

وقال الإمام - أيضا - في بعض رسائله: (فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم لو أخطؤوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، أما اطراح كلامهم، وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم، وأما اتخاذهم أربابا من دون الله إذا قيل قال الله قال رسوله قيل هم أعلم منا، فهذا طريق الضالين)^(٢).

وكتب الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمته الله لبعضهم فقال: (أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، ولزوم طاعته، وتقديم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما عداهما؛ فإن من ظفر بهما فقد نجا، ومن تركهما فقد ضل وغوى)^(٣).

المطلب التاسع: دعوة المخالفين إلى السنة وتذكيرهم وتعريفهم بها.
قال الإمام محمد في معرض رد له مذكرا خصمه بالسنة: (واذكر ما صح

(١) تبرئة الشيخين الإمامين (ص ٨٨ - ٨٩).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٩٧).

(٣) الدرر السنية (٨ / ٨٢).



عن رسول الله ﷺ أنه أشخص رجلا معه الراية إلى من تزوج امرأة أبيه ليقتله
ويأخذ ماله ... واذكر أنه قد هم بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة ...
واذكر قوله في أعبد هذه الامة وأشدهم اجتهدا: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل
عاد ...) (١).

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: (وأما هذا الذي ألقى هذه الشبهة إليكم،
فيجب تعريفه، وإقامة الحجة عليه بكلام الله تعالى وكلام رسوله وكلام أئمة
الدين) (٢).

وذكر الجبرتي رحمه الله المعاهدة التي تمت بين الإمام سعود بن عبدالعزيز
والشريف غالب والي مكة؛ إذ عاهده الثاني على اتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه
العزیز من إخلاص التوحيد لله، واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما
كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون، إلى آخر
القرن الثالث، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين
الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور،
والتصاوير، والزخارف، وتقبيل الأعتاب، والخضوع، والتذلل، والمناداة،

(١) الدرر السنية (١٠ / ٦٧).

(٢) الدرر السنية (٣ / ٣٥٧).

والطواف، والندور، والذبح، والقربان، وعمل الأعياد والمواسم لها، واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال، وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية، قال الجبرتي: (بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية - يعني علماء الدعوة - وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل من الكتب والسنة وإذعانهم لذلك)^(١).

المطلب العاشر: مطالبة المخالف بالسنة.

قال الإمام محمد ﷺ: (والقائل إنه يطلب الشفاعة بعد موته، يورد علينا الدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله أو من إجماع الأمة، والحق أحق أن يتبع)^(٢).

وقال الشيخ حمد بن معمر ﷺ: (فهذه سنة رسول الله ﷺ، وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل نقل عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها، فضلا عن أن يسألوا أصحابها جلب الفوائد، وكشف الشدائد؟) ثم قال: (فإن

(١) عجائب الآثار (٣/ ١١٦ - ١١٧).

(٢) الدرر السنية (١/ ٦٤).



كان عندكم في هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه، بل الذي صح عنهم خلاف ما ذهبتم إليه^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري رحمهما الله: (ونحن نطالب من قال ذلك بدليل من كتاب الله وسنة رسوله أو نقل من الخلفاء الراشدين والصحابة المهيدين ومن تبعهم من أئمة الدين)^(٢).

**المطلب الحادي عشر: الإنكار على من أخلى كتابه عن الاستدلال
بنصوص الكتاب والسنة في المسائل الشرعية، وخاصة مسائل
التوحيد.**

قال الإمام محمد رحمه الله: (مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام - مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد، وهو أصل الدين - تجد الكتاب من أوله إلى آخره، لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله ﷺ، اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه)^(٣).

(١) الدرر السنية (١٠ / ٢٨٢ - ٢٨٣).

(٢) الدرر السنية (٩ / ١٢٨).

(٣) الدرر السنية (١ / ٥٠).

وقال الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن رحمته الله: (ومن جعل السنة معياره، أدرك المأمول، وعرف جنایات المجازات، والعقول، على صريح المنقول، ومن تغذى بكلام المتأخرين، من غير إشراف، على كتب أهل السنة المشتهرين، ككتاب (السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب (السنة) للخلال، وكتاب (السنة) للالكائي، والدارمي، وغيرهم، بقي في حيرة وضلال) ^(١).

المطلب الثاني عشر: الإنكار على من تكلم في مسائل العلم من غير أن يعرف دلائل الكتاب والسنة عليها.

قال الإمام رحمته الله: (وأما العلم الذي بعث الله به محمداً عليه السلام، فلم يعرفوا منه خبراً، ولم يقفوا منه على عين ولا أثر، قد تراجعت بهم الظنون، ﴿فَتَقَطُّوْاْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ﴾ (المؤمنون: ٥٣) ومصادق هذا كله: أن الداعي لما أمرهم بتوحيد الله، ونهاهم عن عبادة المخلوقين، أنكروا ذلك عليه، وزعموا أنه جهالة وضلالة، مع كون هذه المسألة أبين في دين محمد عليه السلام من كون العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً؛ بل اليهود والنصارى والمشركون، يعلمون أن محمداً عليه السلام دعا إلى ذلك، وجادل عليه وقاتل عليه، ثم هؤلاء الذين

يزعمون أنهم علماء، اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك، وزعموا أنه دين جديد، ومذهب خامس، وأنهم لم يسمعه من مشايخهم ومن قبلهم، ولقد صدقوا في ذلك^(١).

المطلب الثالث عشر: الرد على من فسر النصوص بما لا تجتمع به.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في رده على بعض المخالفين: (وأما استدلالك بالأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم، وقول: من شذ شذ في النار، ويد الله على الجماعة، وأمثال هذا، فهذا - أيضا - من أعظم ما تلبس به على الجاهال، وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم؛ فإن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريبا، فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس؟! وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه»، وأحاديث عظيمة كثيرة، يبين أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريبا، ولو لم يكن في ذلك إلا قوله ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ١٧).

هل بعد هذا البيان بيان؟^(١) ثم بين الإمام رحمه الله بعد ذلك المعنى الصحيح للحديث بما نقله عن العلماء^(٢).

المطلب الرابع عشر: قياس أعمال الناس بالكتاب والسنة.

قال الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله: (وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات، والأقوال، والأفعال؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها قبل، وما خالف رد على فاعله كائناً من كان، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن: تصديقه فيما أخبر به، وطاعته، ومتابعته في كل ما أمر به^(٣).

وقال الشيخ حمد بن عبدالعزيز رحمه الله: (والفقيه الذي ينزل نصوص الكتاب والسنة على الواقع، فينفذ الحكم فيهم على وفق النص، ولا يقدم عادة

(١) الدرر السنية (١٠ / ٤٢ - ٤٣).

(٢) الدرر السنية (١٠ / ٤٣ - ٤٥).

(٣) الدرر السنية (١ / ٢٤٤ - ٢٤٥).



الناس أو حظوظ نفسه، أو الخوف من أذاهم فيداهن في دين الله فيهلك مع الهالكين^(١).

المطلب الخامس عشر: تعظيم كتب السنة وقراءتها والتفقه فيها، والوصية بذلك.

قال الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله: (ونحرص على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها)^(٢)، وقال: (فمن أراد تحقيق ما نحن عليه، فليقدم علينا الدرعية، فسيرى ما يسر خاطره، ويقر ناظره، من الدروس في فنون العلم، خصوصاً التفسير، والحديث؛ ويرى ما يبهره بحمد الله وعونه، من إقامة شعائر الدين، والرفق بالضعفاء والوفود والمساكين)^(٣).

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن إبراهيم رحمهما الله في نصيحة لهما إلى أبي الوفاء ثناء الله الهندي: (ونوصيك أيضاً بالإكباب على كتب أهل السنة وتفسيرهم، كالأمهات الست وغيرها من كتب الحديث، وتفسير

(١) الدرر السنية (٨ / ٤٢٥).

(٢) الدرر السنية (١ / ٢٢٨).

(٣) الدرر السنية - (١ / ٢٢٨).

ابن جرير وابن كثير والبغوي، وغيرها من تفاسير السلف من أهل السنة^(١).
وقال الشيخ عبدالله أبابطين رحمته الله: (ومن مزق من كتب أهل السنة شيئاً،
فإن كان الكتاب مشتملاً على آيات وأحاديث، وفعل ذلك امتهاناً له، فلا يعد
القول بكفره)^(٢).

وقراءة كتب السنة، واستجازتها، وإجازتها، لهم به عناية خاصة، بل إن
النهضة الحديثية في بلاد نجد وغيرها إنما انبعثت بقيام دعوة الإمام محمد بن
عبد الوهاب رحمته الله، وقد سبق في المبحث الأول ما يوضح هذا^(٣).

المطلب السادس عشر: التأليف والبحث والتحرير في الحديث
وفقهه واصطلاحاته، والكلام على الأحاديث قبولاً ورداً.
وهذه موجودة بكثرة في تضاعيف كتبهم. وكثرتها تغني عن ذكر أمثلتها،

(١) الدرر السنية (١٣/ ٥٣).

(٢) الدرر السنية (٤/ ٣٥٢).

(٣) وانظر للمزيد: الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر
المجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، رسائل الإمام محمد بن
عبد الوهاب الشخصية دراسة دعوية.

لكن أشير إلى أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ألف كتابه (مجموع الحديث) الذي يحتوي على (٤٦٠٠) حديث من المرفوع والموقوف على الصحابة، عدا آثار التابعين وأقوال العلماء، مع حسن السياق والاختصار والتحرير والتبويب، وله نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين، ومختصر زاد المعاد، ومختصر سيرة ابن هشام. وله تأليف جرى فيها على طريقة أهل الحديث في التصنيف ككتاب التوحيد، وكتاب فضل الإسلام، وكتاب أصول الإيمان، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب الكبائر.

وهناك أبحاث حديثية فقهية كثيرة منشورة في مؤلفات علماء الدعوة، فللشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله، بحث في العدد المعتبر للجمعة^(١) ومقدار صاع النبي ﷺ^(٢)، وبحث للشيخ حسن بن حسين رحمه الله خرج فيه جملة من أحاديث خصائص الجمعة وتكلم على أسانيدها^(٣)، وبحث له في حديث «فإن وراءكم أيام الصبر... للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً»^(٤)، وبحث للشيخ عبد الله بن محمد

(١) الدرر السنية (٥ / ١٠ - ٣٥).

(٢) الدرر السنية (٥ / ٢١٩ - ٢٢٤).

(٣) الدرر السنية (٥ / ٥٧ - ٦٠).

(٤) الدرر السنية (٨ / ٩١ - ٩٥).

ﷺ في صيام المسافرين^(١)، وبحث للشيخ حمد بن معمر ﷺ في البناء على القبور^(٢)، وبحث للشيخ عبد الرحمن بن حسن ﷺ في الرد على من أجاز البناء على القبور^(٣)، وبحث للشيخ عبد الله أبابطين ﷺ في حديث الصورة^(٤).

المطلب السابع عشر: العناية بثبوت الحديث عن النبي ﷺ لقيام الحكم عليه.

قال الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ: (والحكايات والمنامات لا يثبت بها حكم شرعي ولا يسوغ مثل هذا إلا في دين النصارى، فإن دينهم مبني على الحكايات والمنامات والأوضاع المخترعات، وأما دين الإسلام فهو محفوظ بالإسناد، فلا يثبت حكم شرعي إلا بكتاب الله ﷻ، وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ، وكان عليه عمل الصحابة ﷺ، واشتهر ذلك بنقل الثقات العدول المتفق على عدالتهم)^(٥).

(١) الدرر السنية (٥ / ٣١٨ - ٣٤٧).

(٢) الدرر السنية (٥ / ٩٠ - ٩٦).

(٣) الدرر السنية (٥ / ٩٦ - ١٢٥).

(٤) الدرر السنية (٣ / ٢٦٠ - ٢٦٤).

(٥) الصواعق المرسلة الشهابية (٦ / ٢).

وذكر الإمام محمد رحمه الله (أن المرسل الذي اختلف في العمل به هو مرسل التابعين، وأما مراسيل المتأخرين فأهل العلم مجمعون على أنه لا يثبت بها حكم)^(١).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: (الواجب على المكلفين الأخذ بما صح وثبت عن رسول الله ﷺ)^(٢)، وقال - أيضا -: (والأحاديث لا يقبل منها إلا ما رواه العلماء من أهل الحديث بالأسانيد المتصلة، التي ليس فيها من يتهم بالكذب أو النسيان أو غير ذلك من العلل التي ذكرها المحدثون)^(٣).

وسئل الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله عما يذكر في الحديث: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية»، وقوله في الحديث: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة: المرجئة والقدرية» الخ؟ فأجاب: الحديثان ليسا بثابتين عند أهل العلم، وعند أهل الحديث، وليس في الكتب الستة المعتمدة، المسماة دواوين الإسلام، وإنما يذكر هذا بعض المصنفين، الذين يروون

(١) الدرر السنية (٧ / ٣٦ - ٣٧).

(٢) الدرر السنية (٤ / ١٠٥).

(٣) القول الفصل النفيس (ص ٤٣).

الغث والسمين، ولا يميزون بين الصحيح، والضعيف، والحسن، والموضوع؛ فلا ينبغي للسائل أن يعبر بمثل هذه العبارة، في مثل هذه الأحاديث وما شاكلها، وإنما ينبغي له أن يقول: يذكر في الحديث، أو يروى في بعض الكتب، وأشبه هذه العبارة، التي يفعلها أهل التحقيق والعرفان، من أهل الفقه والحديث، وذلك لأنه لا ينبغي أن يجزم بأن رسول الله ﷺ قال إلا فيما ثبت^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمته الله: (المسند أقوى من المرسل، وذلك أن المسند ما اتصل سنده إلى رسول الله ﷺ، فإذا كان السند كلهم ثقات، وليس فيهم شذوذ، فأجمع العلماء على الاحتجاج به إذا لم يعارضه مثله أو أقوى منه، وأما المرسل فهو ما رواه التابعي عن النبي ﷺ... وكثير من أهل العلم لا يحتج بالمرسل إلا إذا اتصل وأسند من وجه صحيح)^(٢).

وذكر الشيخ عبد الله - كذلك - أنه ينبغي أن يقال في الأحاديث التي لا تثبت: يذكر في الحديث أو يروى في بعض الكتب وأشبه هذه العبارات، التي يفعلها أهل التحقيق والعرفان من أهل الفقه والحديث والإيمان، لأنه لا ينبغي أن يجزم بأن رسول الله ﷺ قال، إلا فيما ثبت إسناد، وصححه أهل العلم بهذا

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ١٩٣).

(٢) الدرر السنية (٤/ ١١٨)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٨٠٢).



الشأن^(١). بل يذكره بصيغة التمرّض^(٢).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: (الحديث الضعيف لا تقوم به حجة ولا تثبت به أحكام شرعية عند المحققين)^(٣). والأحاديث الموضوعة لا تثبت بها أحكام قاله ابن سحمان^(٤).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: (ولو جهد أعداء الله ممن خالف الوهابية في أصول الدين وفروعه أنهم استدّلوا على ما يذهبون إليه بحديث موضوع أو ضعيف لا يصح الاحتجاج به لما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فضلاً من الله ونعمة)^(٥).

والضعيف يجوز إيرادُه على جهة الاستشهاد والتبعية لغيره قال الشيخ حمد ابن معمر رحمه الله (ثم لفظ الأُطيط لم يأت به نص ثابت، وقولنا في هذه الأحاديث: إنا نؤمن بما صح منها، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال، واختلف العلماء في قبوله، وتأويله، فإننا لا نتعرض له بتقرير، بل

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (١٩٤).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (١ / ٢٠٠).

(٣) الدرر السنية (٨١ / ٤).

(٤) الضياء الشارق (ص ٥٥٢).

(٥) الصواعق المرسلة (١٩٧).

نرويه في الجملة، ونبين حاله، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر علو الله على عرشه، مما يوافق آيات الكتاب^(١).

ولإمام الدعوة وعلماؤها كلام كثير مبثوث في بيان أحكام الأحاديث، وتفسير مصطلحاته، وبيان مناهج المحدثين.

المطلب الثامن عشر: تحويل الجانب النظري للسنة إلى واقع عملي في حياة الناس.

لم تكن دعوة الإمام فكرة محضة أو جانباً نظرياً بعيداً عن العمل، بل كان هناك تعلم للسنة، وتعليم لها، ودعوة إليها، وعمل بها، وجهاد من أجل تحقيقها بأنواع الجهاد كله^(٢)، وما المعاهدة التي تمت بين الإمامين: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومحمد بن سعود أمير الدرعية آنذاك إلا إصرار على تحقيق مراد الله من بعثة نبيه محمد ﷺ بإخلاص العبودية لله، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، وفي هذا يقول المجدد رحمه الله (اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: الأولى: العلم. وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(١) انظر بتصرف كتاب الدرر السنية (٣/٦٦).

(٢) انظر: كتاب رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية دراسة دعوية.

الثانية: العمل به. الثالثة: الدعوة إليه. الرابعة: الصبر على الأذى فيه. والدليل قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١ - ٣). قال الشافعي رحمه الله: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم وقال البخاري رحمه الله: باب العلم قبل القول والعمل. والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (محمد: ١٩) فبدأ بالعلم قبل القول والعمل).

وذكر المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي رحمه الله أن الإمام سعود بن عبد العزيز لما حج بالناس سنة اثنتين وعشرين وألف مائتين، وقال لأمرير الريب المصري: (ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها بينكم؟ يشير بذلك القول إلى المحمل، فقال له: جرت العادة من قديم الزمان بها، يجعلونها علامة وإشارة لاجتماع الحجاج، فقال: لا تفعلوا ذلك، ولا تأتوا به بعد هذه المرة، وإن أتيتم به مرة أخرى فإني أكسره)^(١).

وقال المؤرخ المغربي أحمد السلاوي: (ت ١٣١٣ هـ): (حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى أبي إسحاق إبراهيم بن سلطان المغرب عام ١٢٢٦ هـ أنهم

(١) عجائب الآثار (٣/ ١٣٣).

ما رأوا من ذلك السلطان - يعني ابن سعود - ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، إنما شاهدوا منه ومن أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله ما به الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام، ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل جهارا من غير نكير^(١).

المطلب التاسع عشر: إنكار البدع، والتحذير منها، وترك ما لا دليل عليه.
مما أجمع عليه أهل العلم تحريم الابتداع في الدين، سواء أكانت البدع اعتقادية أم عملية أم قولية، وهذا الأصل معتمد عند أئمة الدعوة، كما تظاهرت عليه نصوص الكتاب والسنة؛ لتحذير الشرع من البدع، واعتقاد كمال الدين وتمام البلاغ من النبي ﷺ، ولأن البدعة لو كانت خيرا كان السلف أسبق إلى العمل بها.

وقد عقد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله بابا في كتابه (فضل الإسلام) (باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر)^(٢)، و(باب ما جاء أن الله

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٨ / ١٢١).

(٢) ص ١٣.

احتجز التوبة عن صاحب البدعة^(١)، و(باب التحذير من البدع)^(٢)، وترجم في كتاب الكبائر (باب من آوى محدثاً)^(٣).

وقال الإمام محمد رحمه الله: (ومن زاد في الدين بشيء، ما فعله الرسول ﷺ، وليس عليه الصحابة والتابعون فكأنما نقص)^(٤).

وقال الإمام: (ومن أعظم ما من الله به عليه ﷺ وعلى أمته إعطاؤه جوامع الكلم، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصر؛ وكذلك رسول الله ﷺ، فقد خصه الله بالحكمة الجامعة؛ ومن فهم هذه المسألة فهماً جيداً فهم قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)، وهذه الكلمة - أيضاً - من جوامع الكلم، إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله ﷺ وأصحابه، كما أوصانا به في قوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور! فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٥).

(١) ص ١٥.

(٢) ص ٢٢.

(٣) (١ / ٣٥٧) ضمن مجموعة الحديث.

(٤) الدرر السنية - (٣ / ١٣)

(٥) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٣١).

واستدل الإمام عبدالعزيز بن محمد على بطلان البدع بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، وقال: (فبعد أن أكمله، بفضلته ورحمته، فلا يحل لنا أن نخترع فيه ما ليس منه، ونقيس ما لا يقاس عليه)^(١).

وسئل الإمام عن التذكير يوم الجمعة فأجاب ببدعيته، فذكر له السائل أن من عنده لا يعرف الجمعة إلا به، قال الإمام محمد ﷺ: (وذكرت له أن رسول الله ﷺ أعلم منا بمصالح أمته، وهو سن الأذان، ونهى عن الزيادة)^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد ﷺ: (هذا ومما نحن عليه أن البدعة وهي: ما حدث بعد القرون الثلاثة، مذمومة مطلقاً، خلافاً لمن قال: حسنة، وقيحة؛ ولمن قسمها خمسة أقسام، إلا إن أمكن الجمع، بأن يقال: الحسنة ما عليه السلف الصالح، شاملة: للواجبة، والمندوبة، والمباحة؛ ويكون تسميتها بدعة مجازاً؛ والقيحة ما عدى ذلك، شاملة: للمحرمة، والمكروهة؛ فلا بأس بهذا الجمع)^(٣).

(١) رسالة الإمام عبدالعزيز الأول (ص ٤٦).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٨٦).

(٣) الدرر السنية (١ / ٢٢٤).

وقال الشيخ عبدالله - أيضا -: (والمقصود: بيان ما نحن عليه من الدين، وأنه عبادة الله وحده لا شريك له فيها، بخلع جميع الشرك، ومتابعة الرسول فيها، نخلع جميع البدع إلا بدعة لها أصل في الشرع، كجمع المصحف في كتاب واحد، وجمع عمر رضي الله عنه الصحابة على التراويح جماعة، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل خميس، ونحو ذلك، فهذا حسن، والله أعلم)^(١).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله في رسالة أملاها مبينا منهج أئمة الدعوة: (وكذلك ينكرون التعبد بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله من كل فعل أو قول تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه أصحابه مع قيام المقتضي الموجب له، لو كان مشروعا)^(٢).

وسئل الإمام محمد هل يعق عن الكبير؟ فأجاب: (العقيقة عن الكبير ما علمت لها أصلا في السنة)^(٣).

وقال الإمام المجدد عن زيادة أشهد أن عليا ولي الله بعد الشهادتين في الأذان والإقامة (وهذه بدعة مخالفة للدين، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولم يكن

(١) الدرر السنية (١ / ٢٢٩).

(٢) الدرر السنية (١ / ٥٠٣).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ١٠٩).

عليها إجماع ولا فيها قياس صحيح^(١).

وقال المجدد: (فكذلك تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين رسول الله ﷺ ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس إليه، سواء شرط على قسم الله أم لا)^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمهما الله: (أما سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره تفريج الكربات وإغاثة اللهفات والاستغاثة به في الأمور المهمات، فهو من المحرمات المنكرة باتفاق المسلمين، لم يأمر الله ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام)^(٣).

وقال الشيخ عبد الله - أيضا -: (وأما حي على خير العمل فليس بثابت ولا عمل عليه عند أهل السنة)^(٤).

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (رسالة في الرد على الرافضة ملحق المصنفات ص ٣٣).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٩٠).

(٣) الدرر السنية (١٠/ ٢٥٣)، وانظر - أيضا - كلاما بمعناه للشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمهما الله في كتابه القول الفصل النفيس (ص ١٦).

(٤) الدرر السنية (٤/ ٢٠٦).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: (وأما الدعاء بعد المكتوبة ورفع الأيدي فليس من السنة، وقد أنكره شيخ الإسلام؛ لعدم وروده على هذا الوجه)^(١).

وقال الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمته الله: (فهذا النبي ﷺ هل تجدي في عصره بناء على قبر صالح، أو ولي، أو شهيد، أو نبي؟ بل نهى عن البناء على القبور كما ثبت في صحيح مسلم وغيره، وكذلك أصحابه من بعده، فتحوا الشام والعراق وغالب أقطار الأرض، فهل تجدون أحدا منهم بنى على قبر أودعاه أو استغاث به، أو نذر له، أو ذبح له أو وقف عليه وقفا أو أسرج عليه؟)^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمته الله: (وأما السنة فطافحة بأنها - أي الجمعة - لا تجب إلا على جماعة من طريقتين: طريق الاستقراء وطريق المفهوم، أما الاستقراء فأظهر من أن يذكر؛ لأنه لم ينقل أن النبي ﷺ ولا أحدا من أصحابه ولا غيرهم صلاها وحده ولا أمر بها أحدا، وأما طريق المفهوم ففي أحاديث، منها حديث طارق الذي تقدم «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة» الحديث، فمفهوم التقييد بالجماعة يقتضي أنها لا تجب إلا على

(١) الدرر السنية (٣/ ٢٢٥).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣٠٥).

جماعة^(١).

وقال الشيخ سليمان - أيضا :- (وأما التوسل بجاه المخلوقين، كمن يقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ ونحو ذلك، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ وأكثر العلماء على النهي عنه)^(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله (فاعلم أنه لم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة أنهم كانوا يستعملون ذلك فيما بينهم - يعني قول: هنيئا لمن شرب -، فاتخاذ ذلك عادة يخالف ما كان عليه السلف والأئمة، ولو كان مشروعاً لسبق إليه من سلف من الأئمة)^(٣).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله: (فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان، أو بجاه فلان، أو بحرمة فلان فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة ولا التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز)^(٤).

(١) الدرر السنية (١٥ / ٥).

(٢) الدرر السنية (١٦٢ / ٣).

(٣) الدرر السنية (٢٢٣ / ٧).

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى - (١ / ٢١٦).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله جوابا لسؤال عن معانقة الناس بعضهم بعضا يوم العيد...: (لا أعلم أن ذلك سنة مشروعة مطلوبة، ولو كان ذلك سنة مأثورة مشروعة لكان أسبق الناس إليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان، ولنقل ذلك أهل العلم ورغبوا فيه، كما نقلوا سائر السنن والمستحبات، فإذا لم يكن ذلك على عهد رسول الله ﷺ، ولا فعله الصحابة رضي الله عنهم، كان هذا محرما مبتدعا إن كان على وجه القربة...) (١).

وسئل الشيخ عبد الله أبا بطين عن رفع اليدين حال القيام على القبر بعد الدفن، فأجاب بأن المسنون بأن يستغفر له ويسأل له التثبيت، وأما رفع الأيدي في تلك الحال فلا أراه؛ لعدم وروده (٢).

وقال الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري رحمه الله لما سئل عن قول بعضهم عند النداء: (جاءت الراجفة): يكتفي بالأذان؛ لأن النداء بقول جاء الراجفة لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا نعلم أحدا فعله من الصحابة ولا من غيرهم (٣).

(١) الدرر السنية (٧/ ٢٣٣).

(٢) الدرر السنية (٥/ ٨٥).

(٣) الدرر السنية (٤/ ١٢١).

المطلب العشرون: الدعوة إلى نصرته النبي ﷺ ونشر سنته.

ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مما استنبطه من قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (آل عمران: ٨١)

(أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته، بل لا بد من هذا وهذا)^(١).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالة بعث بها إلى والي مكة

الشریف أحمد بن الشریف سعيد: (فإذا كان سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء

إن أدركوا محمداً ﷺ على الإيمان به، ونصرته، فكيف بنا يا أمته؟ فلا بد من

الإيمان به، ولا بد من نصرته، لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحق الناس بذلك

وأولاهم به أهل البيت، الذي بعثه الله منهم، وشرفهم على أهل الأرض، وأحق

أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ)^(٢).

وقال الإمام عبدالعزيز بن محمد رحمه الله في رسالة له إلى بعض الأشراف:

(وأنتم أخص الناس باتباع محمد ﷺ، والحق عليكم أكبر منه على غيركم)^(٣).

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الرابع: التفسير ومختصر زاد المعاد

(ص ٤٧).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس: الرسائل الشخصية

(ص ٣١٢).

(٣) الدرر السنية (١/ ٢٨٥).

المطلب الحادي والعشرون: محبة أهل السنة.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله: (ومن عادة أهل البدع إذا أفلسوا من الحجة، وضاعت عليهم السبل، تروحووا إلى عيب أهل السنة وذمهم، ومدح أنفسهم... وأهل السنة والحديث في كل مكان وزمان، هم محنة أهل الأرض، يمتاز أهل السنة والجماعة بمحبتهم، والثناء عليهم، ويعرف أهل البدع والاختلاف بعيبتهم وشنائيتهم)^(١).

وقال - أيضا - في وصف المجدد: (ويوالي كافة أهل الإسلام وعلمائهم من أهل الحديث والفقه والتفسير، وأهل الزهد والعبادة)^(٢).

وقال الشيخ عبدالله أبابطين في بعض ردوده بعد كلام له: (والذي ينبغي لهذا وأمثاله إذ هجمت بهم ذنوبهم عن استبانة الحق، أن يمسكوا ألسنتهم عن عيب أهل السنة، والطعن عليهم، ويلجؤوا إلى الله في سؤال الهداية)^(٣).

(١) الدرر السنية (١٠٢/٥).

(٢) منهاج التأسيس (ص ٦٣).

(٣) رسائل وفتاوى أبابطين (١/ ١٠٧).

المبحث الرابع

من معالم فقه السنة في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

لا يجد الناظر في كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله أو علماء الدعوة تفسيراً لحديث ما ليس لهم فيه سلف من أهل العلم المعتبرين، ومن زعم ذلك فلقصراً اطلاعاً، أو مجازفة في الإطلاق وعدم تحريره، فالأمر عائد إليه وليس إلى علماء الدعوة، بل إن أئمة الدعوة تجنبوا التأويلات الشاذة والضعيفة، واعتمدوا المعروف من الأقوال في شرح الحديث، واستنباط أحكامه؛ وهذا كله راجع إلى جريهم على أصول الاستدلال والاستنباط وترتيب الأدلة المقرر عند أهل العلم؛ مما جعل منهمجهم منضبطاً، سالماً من التناقض، بعيداً عن الإغراب.

وفي هذا المبحث أذكر جملة من هذه المعالم؛ لما لها من أثر في نشر السنة؛ إذ إن سلامة المنهج في تأويل الحديث له أثر إيجابي في إحياء السنن، والدعوة إلى السنة، وتربية الناس عليها؛ لما في ذلك من ظهور الاعتدال، ورفع الحرج، ويسر الفهم، ويمكن إجمال ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: السنة مبينة للقرآن.

اشتمل ما تقدم عن أئمة الدعوة أنهم يرون حجية السنة، واستقلالها

بالشرع، وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم، وينبغي على هذا الأصل بيان السنة للقرآن، فما ورد في القرآن مطلقاً أو عاماً أو مجملاً، فالسنة تقيده وتخصصه وتفصله، بحسب ما هو مقرر في الأصول.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: (وهنا أصول، أحدها أن السنة والأحاديث النبوية هي المبينة للأحكام القرآنية، وما يراد من النصوص الواردة في كتاب الله في باب معرفة حدود ما أنزل كمعرفة المؤمن والكافر، والمشرک والموحد، والفاجر والبر، والظالم والتقي، وما يراد بالموالاة والتولي، ونحو ذلك من الحدود، كما أنها المبينة لما يراد من الأمر بالصلاة على الوجه المراد في عددها وأركانها وشروطها وواجباتها، وكذلك الزكاة؛ فإنه لم يظهر المراد من الآيات الموجبة معرفة النصاب، والأجناس التي تجب فيها من الأنعام والثمار والنقود ووقت الوجوب واشتراط الحول في بعضها، ومقدار ما يجب في النصاب وصفته إلا ببيان السنة وتفسيرها، وكذلك الصوم والحج، جاءت السنة ببيانها، وحدودهما، وشروطهما، ومفسداتهما، ونحو ذلك مما توقف بيانه على السنة، وكذلك أبواب الربا وجنسه ونوعه، وما يجري فيه وما لا يجري، والفرق بينه وبين البيع الشرعي، وكل هذا البيان أخذ عن رسول الله ﷺ برواية الثقات العدول عن مثلهم إلى أن تنتهي السنة إلى رسول الله ﷺ، فمن أهمل هذا

وأضاعه فقد سد على نفسه باب العلم والإيمان، ومعرفة معاني التنزيل والقرآن^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمته الله: (فالذي عليه المحققون من العلماء أن السنة لا تنسخ القرآن، لكن السنة تفسر القرآن وتبينه وتفصل مجمله؛ لأن الله امتن على أزواج نبيه بالكتاب والحكمة فقال: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب: ٣٤)، قال كثير من العلماء: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ولا يسمون ذلك نسخا، بل تفسيراً له وتوضيحاً وتشريعاً للأمة؛ لأن الله ضمن لنبيه ﷺ جمع القرآن في صدره، وبيان معناه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٢) فإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٤﴾ (القيامة: ١٧ - ١٩)^(٣).

وهنا مثال عملي بديع للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ (الماعون: ٤ - ٥)، قال: (ففسر السهو بالسهو عن وقتها - أي إضاعته - والسهو عما يجب فيها، والسهو عن حضور القلب، ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن

(١) الدرر السنية (١/ ٤٧٧ - ٤٧٨) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ١٢).

(٢) الدرر السنية (٤/ ١٢٤).



رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعا، لا يذكر الله فيها إلا قليلا» فوصفه بإضاعة الوقت بقوله: «يرقب الشمس» وإضاعة الأركان بذكره النقرة، وإضاعة حضور القلب بقوله: «لا يذكر الله فيها إلا قليلا»^(١).

قال أبناء الشيخ والشيخ حمد بن ناصر رحمهم الله لما ذكروا أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة: (والدليل الذي من القرآن قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ أَحْسَنُاْ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦) ثبت في صحيح مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن ذلك هو النظر إلى وجه الله)^(٢).

المطلب الثاني: تناول الأحاديث لجميع المكلفين الأولين والآخرين.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: (وبهذا يعلم أن خطاب الله وأحكام الكتاب والسنة تتعلق بجميع المكلفين من هذه الأمة، لا يختص به أول عن آخر، وهذا مع ظهور ما في الكتاب والسنة، فهو إجماع في الأمة سلفا وخلفا، ولا يرتاب في هذا أحد ممن ينتسب إلى الإسلام)^(٣).

(١) الدرر السنية (١٣ / ٦٠).

(٢) الدرر السنية (٣ / ٢٨).

(٣) الدرر السنية (٨ / ١٧٦).

وقال - أيضا -: (لأن خطاب القرآن والسنة يتعلق بكل فرد من الأولين والآخرين، بلا نزاع بين الأمة، إلا الرافضة نازعوا في قوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة: ١٠٣) أن هذا الحكم خاص به، وهو باطل عند أهل السنة والجماعة، وهذا وإن خرج مخرج الخصوص، فهو عام، وأدلته أكثر من أن يحتملها هذا المحل)^(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن - أيضا - في معرض ردله: (ومن قال من الأمة: إن خطاب الله في كتابه وخطاب رسوله في سنته إنما يتعلق بمن نزل بسببهم دون غيرهم، هذا لا يقوله أبلد الناس، وأجهلهم بالشرعية وأحكامها، بل ولا يتجاسر أن يقوله أحد ممن يجادل بالباطل صونا لنفسه عن التجهيل والتضليل؛ لأن هذه على الجهالة والضلالة من أيّن دليل، ولما يلزم قائله من تعطيل الشريعة...) ^(٢).

المطلب الثالث: الأخذ بظواهر النصوص ما لم يدل دليل على أن ظاهرها غير مراد، والوقوف حيث وقفت.

قال الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن رحمته الله: (وقد علم: أن ما كان في الكتاب

(١) الدرر السنية (٨/ ١٨٧).

(٢) الدرر السنية (٨/ ١٨٤).

والسنة لا يخالف ظاهره باطنه، فقد عرفوا دليله، ووضحوا سبيله؛ إما بأن يكون عقلياً ظاهراً، مثل قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٣)، فإن كل أحد يعلم من عقله أن المراد: وأوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها، وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ فإنه قد علم بالضرورة أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، أو سمعياً ظاهراً، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف عن الظاهر، كالمعية الخاصة، والعامة؛ فإن الإجماع من الصحابة والتابعين انعقد على أن المراد به العلم، لأن الله بدأها بالعلم، وختمها به. وقد أجمع العقلاء أنه لا بد من دليل سمعي أو عقلي، يوجب الصرف عن الحقيقة إلى المجاز، وإن ادعي ظهور الدليل، فلا بد من دليل مرجح لحمله على ذلك. ومن الموانع: الاشتراك في اللفظ، ومن أراد هذا وجده في مظانه^(١).

وقال الإمام المجدد رحمته الله على حديث «طعام الواحد يكفي الاثنين...»: (فلا أعلم له معنى غير ظاهره)^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمته الله: (الذي ينبغي للمؤمن تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به من الأمور الغائبة، وإن لم يعلم كيفية ذلك، كما

(١) الدرر السنية (٣/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٣٩).

مدح سبحانه المؤمنين بذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ① وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ② أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿البقرة: ٣ - ٥﴾ ③.

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله: (العلم كل العلم في الوقوف مع السنة، وترك ما أحدثه الناس من العبادات المبتدعة) ④.

المطلب الرابع: رعاية الحدود والمصطلحات الشرعية في فهم النصوص كلفظ التحريم والكراهية، والإسلام والإيمان.

بين الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله أن من أسباب ضلال من ضل في مسألة دعاء الأموات، والاستغاثة بهم: هو عدم معرفة المسلمين في اصطلاح الرسول ﷺ ⑤.

وقال الإمام محمد في جواب له: (فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك، وهي

(١) الدرر السنية (١/ ٢٥١).

(٢) الرسائل المفيدة (ص ١٢١).

(٣) منهاج التأسيس (ص ٨٥).



أن ألفاظ التحريم والكرهية، وقوله: لا ينبغي، ألفاظ عامة تستعمل في المكفرات، والمحرمات التي هي دون الكفر، وفي كراهية التنزيه التي هي دون الحرام^(١).

المطلب الخامس: لزوم طريقة السلف الصالح في الفهم، والمعروف عند العلماء، وعدم الاستقلال بالفهم.

قال الإمام المجدد رحمه الله: (وأهل السنة هم المتبعون لآثاره ﷺ وآثار أصحابه)^(٢).

وقال الإمام في رسالته إلى علماء البلد الحرام: (وأنا أشهد الله وملائكته، وأشهدكم أني على دين الله ورسوله، وإني متبع لأهل العلم، غير مخالف لهم)^(٣). وقال - أيضا -: (أنا في مخالفتي هذا العالم، لم أخالفه وحدي، فإذا اختلفت أنا وشافعي مثلاً في أبوال مأكول اللحم، وقلت القول بنجاسته، يخالف حديث العرنيين، ويخالف حدث أنس: أن النبي ﷺ صلى في مراتض الغنم؛ فقال هذا

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٦٦).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (رسالة في الرد على الرافضة ملحق المصنفات ص ٣١).

(٣) الدرر السنة (١/ ٥٨).

الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي؟ قلت: أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتبعته، بل اتبعت من هو مثل الشافعي، أو أعلم منه قد خالفه، واستدل بالأحاديث. فإذا قال أنت أعلم من الشافعي؟ قلت: أنت أعلم من مالك وأحمد؟ فقد عارضته بمثل ما عارضني به، وسلم الدليل من المعارض، واتبعت قول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (النساء: ٥٩)، واتبعت من اتبع الدليل في هذه المسألة من أهل العلم، لم أستدل بالقرآن، أو الحديث وحدي، حتى يتوجه علي ما قيل، وهذا على التنزل^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمته الله: (وباتباع السلف الصالح، والأخذ بهديهم وسلوك طريقهم والسكوت عما سكتوا عنه، يزول عن المؤمن شبهات كثيرة وبدع وضلالات شهيرة، أحدثها المتأخرون بعدهم)^(٢).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمته الله: (فمذهبنا مذهب السلف، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك، والشافعي، والثوري، والأوزاعي، وابن مبارك، والإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم، كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل

(١) الدرر السنية (١/ ٤٤).

(٢) الدرر السنية (٣/ ٣٢).

ابن عبد الله التستري، وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رحمه الله، فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة، قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن، والحديث، وهكذا مذهب سائرهم... ومذهب شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون، فإنه يصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، ولا يتجاوز القرآن، والحديث؛ ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين، الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن، نفيًا وإثباتًا، وهم أشد تعظيمًا لله، وتنزيهًا له، عما لا يليق بجلاله، فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه. ولا يقال: هي ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا يعرف المراد منها، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، بل هي آيات بينات، دالة على أشرف المعاني وأجلها، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك. فكان الباب عندهم بابًا واحدًا، قد اطمأنت به قلوبهم، وسكنت إليه نفوسهم، فأنسوا من صفات كماله، ونعوت جلاله، بما استوحش منه الجاهلون المعطلون، وسكنت

قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، فصفاته لا تشبه الصفات، فما جاءهم من الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول وقابلوه بالمعرفة والإيمان، والإقرار؛ لعلمهم بأنه سبحانه لا شبيه لذاته ولا لصفاته^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن محمد رحمته الله في بيانه لما عليه الإمام محمد وأتباعه: (ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله، بالتفاسير المتداولة المعتبرة، ومن أجلها لدينا: تفسير ابن جرير، ومختصره لابن كثير الشافعي، وكذا البغوي، والبيضاوي، والخازن، والحداد، والجلالين، وغيرهم. وعلى فهم الحديث، بشروح الأئمة المبرزين: كالعسقلاني، والقسطلاني، على البخاري، والنووي على مسلم، والمنائوي على الجامع الصغير. ونحرص على كتب الحديث، خصوصاً: الأمهات الست، وشروحها؛ ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون، أصولاً، وفروعاً، وقواعد، وسيراً، ونحواً، وصرفاً، وجميع علوم الأمة)^(٢).

وقال الشيخ عبد الله - أيضاً -: (وأما ما يكذب علينا: ستراً للحق، وتلبساً على الخلق، بأننا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا، من دون

(١) الدرر السنية في الكتب النجدية - (ج ٤ / ص ٥١) (ص ٥٥).

(٢) الدرر السنية - (١ / ٢١٥).

مراجعة شرح، ولا معول على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا: النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله، حتى أنزل عليه ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩) مع كون الآية مدنية، وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل، وأنا مجسمة، وأنا نكفر الناس على الإطلاق أهل زماننا، ومن بعد الستائة، إلا من هو على ما نحن عليه. جوابنا في كل مسألة من ذلك، سبحانه هذا بهتان عظيم؛ فمن روى عنا شيئاً من ذلك، أو نسبته إلينا، فقد كذب علينا وافترى.

ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا، علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا، أعداء الدين، وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك، الذي نص الله عليه، بأن الله لا يغفره ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).^(١)

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: (فشرح الله صدر شيخنا فضلاً من الله ونعمة عظيمة من بها تعالى في آخر هذا الزمان، فعرف من الحق ما عرف شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه؛ بتدبره الآيات المحكمات وصححي

البخاري ومسلم، والسنن والمسانيد والآثار، ومعرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ والتابعون وأتباعهم وما عليه سلف الأمة وأئمتها، والأئمة من أهل الحديث والتفسير والفقهاء كالأئمة الأربعة ومن أخذ عنهم؛ فتبين له التوحيد وما ينافيه، والسنة وما يناقضها^(١).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله: (وهذا كتاب الله وتفسير الأئمة له، وسنة رسول الله ﷺ مدونة بشروحها، المبينة للمقصود منها، وفي ذلك حل للمشكل وكشف الاشتباه، والشفاء لكل داء، والكفالة بالفلاح والهدى، والنجاة من المهالك والردى، وهؤلاء علماء المسلمين الذين هم أعلم الناس بمعنى ذلك، ورثوه عن أئمتهم الذي تخرجوا عليهم وأخذوا عنه، وربوهم به كما يربي الوالد الولد، وقد عدلهم سبحانه، وجعل لهم القول في الدنيا والآخرة، فهؤلاء هم الذين يؤخذ عنهم معاني نصوص الكتاب والسنة ويرجع إليهم فيها، وأما الجهال فلا يلتفت إليهم في معاني نصوص الكتاب والسنة لعدم درايتهم وروايتهم وتخرجهم على العلماء)^(٢).

وقال الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمته الله: (فالناصح

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٢٠).

(٢) الدرر السنية (٩/ ١٧٦ - ١٧٨) باختصار.



لنفسه الطالب نجاتها، المتبع للحق، يأخذ دينه من أصله، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ... وهذا كتاب الله بين أيديكم، وتفسيره موجودة، وأحاديث رسول الله ﷺ كذلك، وشروح العلماء الربانيين، وما فسروا به القرآن والأحاديث^(١).

وقال الشيخ عمر بن محمد بن سليم: (والكتب - أيضا - فيها الصحيح والضعيف، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، فإذا لم يؤخذ العلم عن العلماء النقاد الذين من الله عليهم بفهم الكتاب والسنة، ومعرفة ما عليه السلف الصالح والأئمة وقع في الجهل والضلال، وفي الصحيح عن عبد الله ابن عمرو مرفوعا: (إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعا من العلماء، ولكن يقبض الموت بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(٢).

وذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله أن علي بن الحسين بن علي والحسن بن الحسين بن علي (لم يفهما من نهي النبي ﷺ بقوله: «لا تتخذوا قبوري عيدا» إلا نهي أمته عن اعتياد المجيء إلى قبره وملازمته؛ لأن الصلاة عليه تبلغه

(١) الدرر السنية (٩ / ٢٧٥).

(٢) الدرر السنية (٩ / ١٦٨).

ﷺ من المصلي وإن كان بعيدا عن قبره ... والذي فهمه هذا السيدان الجليلان هو الذي فعله السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ فإن الثابت عنهم المتواتر أنهم كانوا إذا دخلوا المسجد صلوا على النبي وسلموا، واكتفوا بذلك عن المجيء إلى قبره ﷺ، وذلك لعلمهم بما شرعه الله ورسوله، وكان ابن عمر ﷺ إذا قدم من سفر سلم على النبي ﷺ ثم على أبي بكر ثم على أبيه ثم انصرف، فهذا حال الصحابة رضي الله عنهم، وهم أشد الناس تمسكا بالسنة، وأعلم الناس بما يجوز وما لا يجوز^(١).

ومن ذلك - أيضا - استدلال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله بأن المراد بتوسل الصحابة بالنبي ﷺ في قول عمر ﷺ: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فستقينا) توسلهم بدعائه في حياته، وأما بعد موته فلا يشرع طلب الدعاء منه، قال: (لأن عمر عدل إلى العباس ولم ينكره منكر ولم يذهب إلى القبر الشريف أحد من أفاضل الأمة وأكابرها، مع أن قبره ﷺ بين ظهرانيهم، وهذا اتفاق منهم على تصويب عمر ومتابعته)^(٢).

(١) الدرر السنية (٥/ ١٠٧ - ١٠٨).

(٢) منهاج التأسيس (ص ١٢٤).

المطلب السادس: تفسير الأحاديث بما يوافق أصول أهل السنة والجماعة، وإنكار التفسير المخالف لذلك.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: (فلو قدر أن أحدا قال في حق مسلم صحيح الإسلام: إنه كافر، فأهل السنة لا يكفرونه بذلك؛ لأن هذا ذنب من الذنوب، وقد عرفت تأويلهم للحديث، وأن الأخذ بالظواهر المخالفة لأصول السنة وما عليه الصحابة والتابعون وعلماء الأمة هو رأي الخوارج)^(١).

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمته الله: (ثم تجد المتسبين إلى عقيدة الأشعرية قد صرحوا في عقائدهم ومصنفاتهم من التفاسير وشروح الحديث بالتأويل الذي أنكره إمامهم، وبين أنه قول المعتزلة والجهمية، وينسبون هذا الاعتقاد إلى الأشعرية، وهو قد أنكره ورده، وأخبر أنه على عقيدة السلف من الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم)^(٢).

المطلب السابع: الاعتماد على ما قرره أهل العلم في الاستدلال والاستنباط.
جرى أئمة الدعوة على ما قرره أهل العلم في طرائق الاستنباط من

(١) الدرر السنية (٨/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) الدرر السنية (٣/ ١٢٥).

الكتاب والسنة والاستدلال بما فيها، كبيان السنة بالقرآن^(١)، وبيان السنة بالسنة^(٢)، والأخذ بعموم الحديث ما لم يرد ما يخصه^(٣)، وتقديم المنطوق على المفهوم^(٤)، والاستدلال بدلالة التنبيه^(٥)، والاستدلال بالقرائن على فهم المراد بالحديث^(٦)، إلى آخر ما هو معروف. وهو واضح في كتابتهم، وكثرته تغني على إيراد شواهد.

المطلب الثامن: رد المتشابه إلى المحكم.

ذكر الإمام المجدد رحمته الله أربع قواعد (يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب الذي يسمى علم السلوك، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام والأحكام الذي يسمى علم الفقه أو في علم الوعد والوعيد أو في غير ذلك من

(١) الدرر السنية (٣٦٧/١) (٤٧٣/١ - ٤٧٤) (٨/ ٢١٠)، منهاج التأسيس (ص ٧٧).

(٢) الدرر السنية (٦/ ١٠) (٥/ ٢٦٧ - ٣٠٦).

(٣) الدرر السنية (٥/ ٩٥) (٥/ ١٦٢) (١٠/ ٣٥٠)، منهاج التأسيس (٣٠٤).

(٤) الدرر السنية (٧/ ٣٩٣).

(٥) الدرر السنية (١٠/ ٢٨١)، منهاج التأسيس (٢٨٦ - ٢٨٧).

(٦) منهاج التأسيس (ص ٩٣ - ٩٤)، الدرر السنية (٥/ ١٠٧ - ١٠٨).

أنواع علوم الدين^(١).

وهذه القواعد - باختصار - تحريم القول على الله بلا علم، والثانية: أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو، لا يحل لأحد أن يجرمه أو يوجبه، أو يستحبه أو يكرهه، والثالث: أن ترك الدليل الواضح، والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ، والواجب على المسلم اتباع المحكم، فإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، والرابعة أن النبي ﷺ ذكر أن الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات. قال الإمام: (فمن لم يفتن لهذه القاعدة، وأراد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل)^(٢).

وقال الإمام - أيضا -: (وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد، بل كله حق، يصدق بعضه بعضا، والواجب على المؤمن في مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله، ويقول كما أمر الله: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧) فإذا تبين له الحق فليقل به وليعمل به، وإلا فليمسك، وليقل: الله ورسوله أعلم؛ فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم؛ ليعلم من يقف حيث وقفه الله، ومن يقول على الله بلا علم)^(٣).

(١) الدرر السنية (٤ / ٦).

(٢) انظر: الدرر السنية (٤ / ٦).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٣٤).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمهما الله: (ولا خلاف بين العلماء أن المتشابه يرد إلى المحكم وإن كان صحيحا، فكيف إذا كان ضعيفا أو موضوعا، فلا يجوز الاحتجاج به في معارضة ما ثبت بالكتاب والسنة)^(١).

وقال الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمهما الله: (ولسنا بحمد الله نتبع المتشابه من التنزيل، ولا نخالف ما عليه أئمة السنة من التأويل)^(٢).

وذكر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمهما الله أن التمسك بالمتشابه هو طريقة النصارى المثلثة عباد الصليب^(٣). وقال في رده على من استدل ببعض النصوص على جواز دعائه عليه السلام: (وليس مع هؤلاء إلا التمسك بالمتشابه من غير فقه ونظر في المعنى المراد)^(٤).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمهما الله: (ولا ريب أن عدول هذا المستدل عن الآيات المحكمات وصحيح الأخبار ترك للمحكم واتباع للمتشابه كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

(١) القول الفصل النفيس (١٥٦).

(٢) الدرر السنية (١ / ٢٩٠).

(٣) منهاج التأسيس (٨٢).

(٤) منهاج التأسيس (ص ١٧٠) وانظر - أيضا - القول الفصل النفيس (١٤٣).

وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۖ ﴿٧﴾ (آل عمران: ٧)، وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»^(١) ونقل عن الحافظ ابن عبد الهادي قوله: (فإن العمل بالمتشابه من الآيات والأحاديث وغيرها من الأدلة لا يجوز إذا أفضى إلى رد محكم، بل يجب العمل بالمحكم ورد المتشابه إليه)^(٢).

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: (فالنصوص الصريحة في إثبات صفات الرب على ما يليق بجلاله... ونفي النقائص والعيوب عنه معلومة مقررة، وما أشكل من بعضها على بعض الناس يكفيه الإيمان به، مع القطع بأنه لا يخالف ما ظهر له ولا يناقضه)^(٣).

ومن المستحسن هنا إيراد ما بينه الإمام المجدد رحمه الله في كشف الشبهات مما يوضح الاعتماد على هذا الأصل حتى في باب المجادلة والمناظرة فقد قال: (وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله

(١) المورد العذب الزلال، المطبوع مع القول الفصل النفيس (ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

(٢) الدرر السنية (٥/ ٢٦٨).

(٣) الدرر السنية (٣/ ٣٥٧).

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ﴾ (آل عمران: ٧)، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»، مثال ذلك إذا قال بعض المشركين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢)، وأن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله. أو ذكر كلاما للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجأوه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَتُؤَلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ﴾ (يونس: ١٨) هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه. وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله. وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله؛ فلا تستهن به؛ فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥)^(١).

المطلب التاسع: ترتيب الأدلة واعتقاد عدم التعارض بينها ودفع ما يوهم ذلك.

قال الإمام محمد رحمه الله: (فلا يجوز أن تضرب الأدلة بعضها ببعض، ويترك بعضها، بل كلها حق يصدق بعضها بعضاً)^(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: (وأما البدع التي حدثت في هذه الأمة؛ فإن سببها أن أهلها أخطؤوا في فهم الكتاب والسنة في بعض الأصول، وصاروا هم وأهل السنة في طرفي نقيض؛ لخفاء الأدلة عليهم، وعدم التوفيق بينها في محل النزاع، كما جرى من الخوارج)^(٢).

وسئل الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله إذا جاء خبران عن النبي ﷺ أحدهما يدل على الأمر والآخر يدل على النهي أيهما أرجح؟ فأجاب: (الراجح ما صح سنده عن النبي ﷺ بنقل العدول الثقات الضابطين، فإن قدر اتحادهما في الصحة، فإن أمكن معرفة الآخر منهما أخذ بالآخر؛ لأنه هو الناسخ، وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعل رسول الله ﷺ أو قوله، فإن لم يمكن معرفة ذلك، وأمكن الجمع بينهما فذاك، فإن لم يكن ذلك أخذ بالأحوط، والذي عليه

(١) الدرر السنية (٧ / ٣٦).

(٢) القول الفصل النفيس ص ٣٥.

الأكثر من العلماء والفقهاء^(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: (ومن أصول أهل العلم التي لا يمكن لأحد أن ينازع فيها أنه إذا تعارض دليلان وصار أحدهما أصح من الآخر أخذ بالصحيح وترك ما دونه، كما إذا تعارض الصحيح والحسن فكيف إذا عارض الصحيح الضعيف والمنقطع أو الموضوع والمعضل أو الحكايات المكذوبة والهفوات المنسوبة إلى من لا تقوم بقوله حجة؟ فيتعين الأخذ بالصحيح عند جميع العلماء^(٢)).

وقال الشيخ عبدالرحمن - أيضا -: (والذي تقرر عند العلماء من أهل الحديث والفقهاء أن الصحيح يقضي على الضعيف ولا يعارض به أصلا^(٣)).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله لما ذكر أحد القولين في مسألة مختلف فيها: (وهو قول ضعيف مبني على آثار مرسله، تردها النصوص القرآنية، والأحاديث الصحيحة الصريحة النبوية^(٤)). وقال عن القول الراجح:

(١) الدرر السنية (١١٨/٤ - ١١٩).

(٢) القول الفصل النفيس (١٥٦ - ١٥٧).

(٣) الدرر السنية (٢٤٦/٤).

(٤) الدرر السنية (٣٧٣/٨).

(وحدثهم حديث عائشة وهو متفق عليه، وحديث عبدالرحمن بن حبيب وهو حديث صحيح مرفوع... والقائل بالجواز احتج بمرسل الزهري، وقد عرفت ما في المراسيل إذا عارضت كتاباً أو سنة)^(١).

وذكر الشيخ حمد بن معمر رحمه الله في مسألة من سجد للسهو بعد السلام هل يتشهد؟ قال: (والقول الثاني: يسلم ولا يتشهد، وهو الذي عليه العمل واختيار الشيخ تقي الدين رحمه الله؛ لأن التشهد لم يذكر في الأحاديث الصحيحة، بل الأحاديث الصحيحة تدل على أنه لا يتشهد، وحديث عمران فيه ضعف)^(٢).

وسئل الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عن مكث الإمام بعد السلام مستقبل القبلة، حتى يفرغ من التهليلات العشر كما يستفاد من حديث ابن غنم، فأجاب بأن في إسناده من لا يحتج به، ولو كان إسناده مما يحتج به لكان معارضاً بالأحاديث الصحيحة، فأخرج البخاري عن ابن عمر: «صلى لنا رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء ثم انصرف...» الحديث. وساق أحاديث^(٣).

وذكر الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله حديث مقاتل بن حيان: (كان

(١) الدرر السنية (٣/ ٣٦٧).

(٢) الدرر السنية (٤/ ٣٣٦).

(٣) الدرر السنية (٤/ ٤١٥).

رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ...) ورده بأنه حديث معضل، والأحاديث الصحيحة على خلافه^(١).

وسئل الشيخ: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: عن حديث هند، وحديث «لا تخن من خائك» فأجاب: (هذه تسمى مسألة الظفر، فمن الناس من منع مطلقاً، واستدل بقوله: «ولا تخن من خائك»، ومنهم من أباح مطلقاً، واستدل بحديث هند، ومنهم من فصل، وقال: حديث هند له موضع، والآخر له موضع، فإن كان سبب الحق ظاهراً لا يحتاج لبينة، كالنكاح والقراية، وحق الضيف، جاز الأخذ بالمعروف، كما أذن لهند، وأذن للضيف إذا منع أن يعقبهم بقدر قراه، وإن كان سبب الحق خفياً، وينسب الأخذ إلى خيانة أمانته، لم يكن له الأخذ وتعريض نفسه للتهمة والخيانة، ولعل هذا أرجح الأقوال، وبه تجتمع الأدلة^(٢).

ووجه الشيخ عبد الله بن محمد رَحِمَهُ اللهُ ما أشكل على بعض السائلين في كيفية الجمع بين نهيه ﷺ عن البناء على القبور، وأمره بتسوية القبور المشرفة، وبين ما في حديث قبر عثمان، بأنه ليس بينهم معارضة؛ لأن المراد إعلام القبر بعلامة يعرف بها كحصاة ونحوها بلا تعلية ولا بناء، وهذا لا بأس به عند

(١) الدرر السنية (٥/ ٢٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ١٠١).

أهل العلم^(١).

وجمع الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله بين قوله ﷺ للوفد الذين قالوا: أنت سيدنا، وفيه: (السيد الله) وبين أمره للغلام أن يقول لسيدته: (سيدي وسيدتي) بأنه يحتمل أن الرخصة خاصة بالعبد والأمة، لما لسيدتهما من السيادة الخاصة، وأما العامة في مقام المدح والثناء فتختص بالمنع، ثم قال: (وهذا الجمع فيه إعمال النص في مورده، ولعله أولى الأقوال)^(٢).

وجمع الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله بين حديث «من سن في الإسلام سنة حسنة» وحديث «كل بدعة ضلالة» وما في معناه بأن المراد بالأول إذا كان باب من الخير متروكا فعمل به إنسان وفتحه، واقتدى به غيره كان كمن سن سنة حسنة، كحال الأنصاري الذي بادر بصرة الدراهم فتتابع الناس بعده بالصدقات، فهو محمول على ماله أصل في الشرع، ويردا بالبدعة هنا البدعة اللغوية، والمراد بالثاني ما ليس له أصل^(٣).

(١) الدرر السنية (٥/ ٨٩ - ٩٠).

(٢) منهاج التأسيس (٣١١).

(٣) الدرر السنية (٨/ ١٠١ - ١٠٣).

المطلب العاشر: التوقف في تفسير الحديث إذا لم يتبين معناه.

قال الإمام محمد رحمته الله: (فالذي يسوغ بل يجب ما وصفت لك، وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله، ورد ما تنازع فيه المسلمون إليه، فإن علمه الله شيا فليقل به، وإلا فليمسك، ويقول: الله أعلم، ويجعله من العلم الذي لا يعرفه، فلو بلغ الإنسان في العلم ما بلغ كان ما علمه قليلا بالنسبة إلى ما لم يعلمه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)^(١).

وسئل الإمام محمد عن معنى عقد اللحية في حديث «أن من عقد لحيته..» فقال: عقد اللحية لا أعلمه، لكن ذكر في الآداب كلاما يقتضي أنه شيء يفعله بعضهم في الحرب على وجه التكبر)^(٢). وقال - أيضا -: (أما ما ورد في الفضل في حفظ القرآن هل المراد حفظه مع فهمه فلا يحضرنى جواب يفصل المسألة، ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء إلا أشياء خاصة لا عامة)^(٣). وقال على حديث «الشؤم في ثلاث»: (فهذا أشكل على من قبلنا حتى إن عائشة كذبت، وقالت: هذا كلام أهل الجاهلية، ولكنه صح، وقد تكلموا في

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٣٤).

(٢) الدرر السنية (٤/ ١٥١).

(٣) الدرر السنية (١٣/ ٢٢).

تفسيره، ولم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله^(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله حين سئل عن حديث: وأما معنى الحديث فلم يتبين لي فيه ما تطمئن إليه النفس، وسأبحث عن معناه، وأكتب لك الجواب مبسوطاً إذا فتح الله تعالى إن شاء الله، ونقول: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢)^(٢).

وسئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد، عن قوله عليه السلام: «إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، يؤتى بالموت على صورة كبش، فيذبح بين الجنة والنار، فيقال: يأهل الجنة خلود في النعيم بلا انقضاء، ويأهل النار: خلود في الجحيم بلا انتهاء» ومعلوم أن الموت عدم الروح التي بها حركة، الجسد، وهذا شيء معنوي، فإن الذبح لا يحصل إلا في الأعيان الجسمانية ذات الأرواح، فإذا كان يؤتى به على صورة كبش، كما ذكره الشارع، كيف كان صورته قبل؟ وهل تحدث له روح عند ذلك؟

فأجاب: الذي ينبغي للمؤمن تصديق الرسول عليه السلام في كل ما أخبر به من الأمور الغائبة، وإن لم يعلم كيفية ذلك، كما مدح سبحانه بذلك المؤمنين، بقوله

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الثالث الفتاوى والمسائل ص ٣٨).

(٢) الدرر السنية (٨ / ٢٧٤).

تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ عَلَى
هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣﴾ (البقرة: ٣ - ٥)، وقد مدح الله سبحانه
أهل العلم: بأنهم يقولون في التشابه ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ ﴿٤﴾
(آل عمران: ٧)، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «ما علمتم منه فاعملوا به
وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه» إذا علمت ذلك: فاعلم أن شرح الحديث، ذكروا
فيه أقوالاً، والله أعلم بصحتها). ثم ذكر الأقوال، ثم قال: (ويكفي المؤمن
اللييب الإيمان بالله ورسوله، فيما لا يتبين له حقيق معناه، وظاهر الحديث بين لا
إشكال فيه عند من نور الله قلبه بالإيمان، وشرح صدره بالإسلام)^(١).

وسئل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين عن النرد، فأجاب بقوله:
(وأما النرد المنهي عنه فهو لعبة ما أعرف صفتها، ولفظ الحديث الذي ذكرتم
«من لعب بالنردشير» والنردشير هو النرد، وأضيف في الحديث إلى أشير، يقال:
إنه اسم ملك من ملوك فارس صنع له هذه اللعبة فأضيف إليه)^(٢).

(١) الدرر السنية (١/ ٢٥٠-٢٥٢).

(٢) الدرر السنية (٧/ ٢٤٥).

المطلب الحادي عشر: ترك الإفتاء بموجب الحديث لشذوذ، أو كونه على خلاف أقوال أهل العلم.

سئل الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله عن رجل أفتى أن من لم يطف يوم العيد، وأراد أن يطوف بعده فعليه أن يحرم بعد رميه جرة العقبة والذبح والحلق، فقال: (الذي أفتى عفا الله عنه لحديث بلغه، ونحن ما جسرنا على الفتيا به؛ لأجل أنه خلاف أقوال العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم)، ثم ذكر حديث أم سلمة رضي الله عنها، وقال: (رواه أبو داود بإسناد صحيح، قال البيهقي: لا أعلم أحدا من القدماء قال به، قال النووي: فيكون الحديث منسوخا دل الإجماع على نسخه)^(١).

وقال الإمام عبدالعزيز بن محمد رحمه الله: (الحديث الصحيح إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به)^(٢).

المطلب الثاني عشر: مراعاة المقاصد الشرعية عند العمل بالسنة النبوية.
قال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: (واهجر إنما شرع لما فيه من

(١) الدرر السنية (٥ / ٣٧٨ - ٣٨٨).

(٢) رسالة الإمام عبدالعزيز الأول (ص ٤٦).

المصلحة، وردع المبطل، فإذا انتفى ذلك، وصار فيه مفسدة، وقد أمر الله بالدعوة إليه على بصيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ٨)، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿ (الحج: ٧٨) والجهاد بالحجة والبيان، يقدم على الجهاد بالسيف والسنان، وقد مر ﷺ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمنافقين، واليهود، وفيه عبد الله بن أبي رأس المنافقين فسلم ﷺ ونزل عن دابته، ودعاهم إلى الإسلام، وذلك حين ذهب إلى سعد بن عباد يعوذه في منزله، والقصة مشهورة^(١).

المبحث الخامس

آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في نشر السنة

كان للدعوة آثار إيجابية في تعزيز الانتماء إلى الإسلام والسنة على الوجه الصحيح، وإيقاظ المسلمين لدراسة كتب السنة وعلومها، والعناية بالدليل وترجيح ما رجحه من أقوال أهل العلم، وليس هناك أدنى شك بأن هذه الدعوة تعد ركنا من أركان النهضة الحديثة، التي عمت في القرون المتأخرة، كما أن للدعوة أثرا في إحياء كثير من السنن التي أضحت العمل بها مهجورا، أو ضعيفا، وفي رد كثير من البدع العلمية أو العملية التي كانت سائدة في المجتمعات.

وهناك آثار إيجابية كبيرة وكثيرة جدا لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، يزداد ظهورها مع مرور الزمن، وحاجة الناس إلى المنهج السلفي المبني على الكتاب والسنة، الخالص من شوائب الشرك والبدع والمحدثات، لاسيما وقد تبدى لكثير من الناس فشل كثير من الدعوات والجماعات التي ترفع شعار الدعوة إلى الإسلام والسنة، لكنها لم توفق إلى الاهتداء بهدي السلف الصالح رحمهم الله في العلم والعمل؛ لضعف الاعتماد على الكتاب والسنة، أو فهمهما على مقتضى الأصول الكلامية، أو تطويع أدلتها لرواسب فكرية، أو محاولة

استمالة العواطف الشعبية برفع شعار الكتاب والسنة لتحقيق مكاسب سياسية أو حزبية، دون أن يكون هناك تمسك بهما، وعض عليهما بالنواجذ، أو إعمال لدلالة الأدلة، ونقلها من مجرد التنظير المحض إلى العمل المحقق.

لقد قرأ المنصفون من أهل العلم، في كتب أئمة الدعوة ورسائلهم، فلم يرو حكماً إلا مقروناً بدليله الشرعي، ولم يجدوا فيها إلا دعوة إلى الله ورسوله ﷺ، وتجرداً عن الدعوة إلى النفس أو إلى إمام أو عالم أو حزب، قرأوا فلم يقفوا إلا على استشهاد بالآيات والأحاديث والآثار، والنقل عن العلماء المحققين، والاستنباط المنضبط الجاري على سنن العلماء، قرأوا فلم يروا إلا تقريراً للسنة، وتعظيماً لها، وانتصاراً لله ولرسوله ﷺ، أو رداً لبدعة محدثة ليس عليها أثارة من علم.

لهذا لم يكن أمام المنصف إلا الاعتراف بفضلها، والشهادة بتأثيرها التأثير الإيجابي، الذي هو إعادة الأمة إلى ما كان عليه الصدر الأول، قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: (وقد اتفق الواقفون على تأثير ذلك الإصلاح من مؤرخي الشرق والغرب على أنه يشبه نشأة الإسلام الأولى، وأنه لولا الموانع التي اعترضته لجدد للإسلام مجده الديني والدنيوي معاً)^(١).

وهناك دراسات كثيرة بينت أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله^(١)، ومنها أثر الدعوة في الاتباع والسنة، وهناك خلاصات دونها بعض

(١) انظر لمعرفة تأثير دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب: تأثر الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لمجموعة من الباحثين، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ضمن أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي لأحمد بن عطية الزهراني، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلاقتها بأهم حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح العبود، أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي لمسلم الجهني، الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى (ص ١٠٥ - ٣٠٨)، السلفية والمجتمعات المعاصرة ص ٦١ - ١٥١، حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث (ص ١٧١ - ٢٣٤)، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، لمحمد كمال جمعة، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب في جنوبي الجزيرة العربية، للدكتور عبدالله أبوداهش، بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢/ ٢٩١ - ٥٠٣)، الإمام محمد بن عبد الوهاب: حياته، آثاره، دعوته السلفية للدكتور محمد السكاكر (٢٩٧ - ٣٣٠)، الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المذهب السلفي (ص ١٩١ - ٢٠٠)، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (ص ٢٤١ - ٢٤٣)، تراجم المبدعين من علماء المسلمين (٣٩٧ - ٤٠٠)، التطور التاريخي للدولة السعودية في دورها الأول (٤٨ - ٥١)، قادة الفكر الإسلامي عبر قرون (٢٦٣ - ٢٦٩)، =

المعاصرين عن أثر الدعوة، نقتبس في هذا المبحث منها جملة توضح بمجموعها آثار الدعوة السنية السلفية التي دعا إليها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله:

قال المؤرخ اليمني لطف الله جحاف (ت ١٢٤٣ هـ) رحمته الله لما ذكر حال الحجاز سنة (١٢١٢ هـ): (وفيها وصلت الأخبار بصلاح طريق حاج اليمن بسبب صاحب نجد، واشتهر بين الناس أن أهل الحجاز تشرعوا، وتركوا كثيرا من منكراتهم، ولزموا الأمانة، وتطهروا بالديانة، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وهجروا الزنا والربا، وكانوا من قبل لا يدينون دين الحق، يتحدث عنهم الحاج بكل مكروه ذي اعوجاج)^(١).

وقال علامة المغرب الشيخ تقي الدين الهلالي رحمته الله: (لا يخفى أن الإمام الرباني الأواب محمد بن عبد الوهاب رحمته الله قام بدعوة حنيفة جدت عهد الرسول الكريم والأصحاب، وأسست دولة ذكرت الناس بدولة الخلفاء الراشدين، وقهرت الشياطين، وأحيت ما اندثر من علوم كتاب الله وسنة

= حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث (ص ٢٨ - ٣٧)، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث (ص ١٩٩ - ٢٠٩)، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: تاريخها، مبادئها، أثرها (ص ٧٣ - ٩٨).

(١) درر نحور الحور العين (ص ٤٠٣).



النبي الكريم) (١).

وقال العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله عن دعوة الإمام محمد: (وأخذت تمتد بسرعة عظيمة، حتى أصبح لها من الأتباع والأنصار من لا يحصون كثرة... والسر في هذا الامتداد وهذه القوة يرجع إلى جمال هذه الدعوة وبساطتها، وأنها في غير حاجة إلى أدلة جديدة ولا براهين مخترعة؛ فإنها إنما تعتمد على صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية... وكان من أهم ما خدم به الشيخ ابن عبد الوهاب أن رفع عن قلوبهم غشاوة الجهل، وكابوس التقليد الأعمى، لكل ناعق على غير هدى ولا بصيرة) (٢).

وقال الشيخ محمد بن خليل هراس رحمه الله لما سئل هل هناك طائفة دينية تسمى الوهابية؟ فأجاب: (ليس هناك طائفة بهذا الاسم، وإنما هو لقب يشنع به أهل الباطل على أنصار الحق والتوحيد بنسبتهم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهو إمام كبير من أئمة الإصلاح الديني، ظهر في بلاد نجد فدعا إلى تجريد التوحيد، وإحياء مذهب السلف، وناصره آل سعود في دعوته حتى قضى

(١) تقديم الشيخ تقي الدين لكتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه ص ٥.

(٢) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني (ص ٣١).

على جميع البدع الشركية كدعاء المقبورين والغلو في تعظيم المخلوقين، وأعاد ربوع نجد كلها إلى حظيرة التوحيد الخالص، ﷺ وأجزل مثوبته^(١).

وقال العلامة المحدث الشيخ ناصر الألباني ﷺ عن الدعوة السلفية: (ثم جدد هذه الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ في نجد، حينما كانت في ظلام دامس، وحينما كانت الوثنيات تسيطر على البلاد، فتثقف بثقافة شيخ الإسلام وأخذ عنه، وقرأ كتبه، وأخذ ينشرها ويدعو إليها، ونال من جراء ذلك الأذى الكثير، وحرب العوام، ولكن وفقه الله ﷻ مع من أيده من الأمراء السعوديين الأوائل، كان من ذلك أن ظهرت هذه الدعوة وأثرت في المسلمين، ووصلت إلى بلدان كثيرة، وما تزال منها بقية في بلاد السعودية وغيرها)^(٢).

وقال الشيخ علي الطنطاوي ﷺ: (إن هذه اليقظة التي عمت نجدا، ثم امتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة إلى ما حولها، ثم امتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد الإسلام، ليست إلا حسنة من حسناته عند الله إن شاء الله)^(٣).

وقال الشيخ عبدالله بن بسام ﷺ: (منذ عرفنا علماء نجد حتى قيام

(١) النبراس من فتاوى الإمام العلامة محمد خليل المراس ص ٦٣.

(٢) دروس للشيخ الألباني (٣٨ / ٥) مفرغ على الشبكة الإسلامية.

(٣) محمد بن عبد الوهاب (ص ١٢).



الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله فإن علمهم يكاد ينحصر في الفقه، أي في المسائل الفروعية الفقهية، والمذهب السائد لديهم هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله، فعلمهم لا يكاد يخرج عن تحقيق هذا النوع من العلم، فعلم التفسير والحديث والتوحيد مشاركتهم فيها قليلة جدا، وعلوم اللسان لا يهتمون منها إلا بعلم النحو في مختصرات كتبه التي يتعلمون فيها ما يقوم ألسنتهم عن اللحن، وما عدا هذا فيعتبرون تعلمه مضيعة للوقت ومشغلة عما هو أولى منه، ويندر منهم من يتعدى الفقه إلى غيره من العلوم فيشارك في تحصيله مشاركة قليلة... فلما انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله تغير هذا الاتجاه، وتنوعت الثقافة، وتعددت العلوم، فصارت العناية بالتوحيد لاسيما توحيد الألوهية، وصار الاهتمام بكتب التفسير السلفية كابن جرير وابن كثير والبغوي ونحوها، وصار الالتفات إلى الحديث وأمّهاته وشروحها، كما درست أصول هذه العلوم، وصار الاهتمام بالفقه وموضوع الدرس منه هو فقه الإمام أحمد بن حنبل، إلا أنه إذا كان القول المشهور فيه ضعيفا، والرواية الأخرى عنه التي يقول بها بعض الأئمة الثلاثة أو كلهم أصح أخذ بالقول الراجح الذي يعضده الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة^(١).

(١) علماء نجد خلال ستة قرون (١٧/١).

وقال الدكتور التهامي نقرة: (ومن يدرس رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله وخطبه في التوحيد والشرك يجد دعوته فيها مدعومة بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، وبما يقوي الإيمان، ويصلح العقيدة، ويدحض الشبهات، لاستناده في الاستدلال إلى الكتاب والسنة، وكفى بهما حجة على الضالين والمفترين، وعمله بما يدعو إليه، وكفى به أسوة للمقتدين)^(١).

وقال الأستاذ عبدالفتاح الغنيمي: (لقد كان لهذه الدعوة الإسلامية التصحيحية أثرها البعيد المدى والواسع النطاق في العالم الإسلامي، حيث تركت دعوة التوحيد والإيمان التي ناصرها رجال الشيخ من الموحدين آثارها الطيبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي... في المغرب، ومصر، والعراق، وبلغت الشرق الأقصى في الفلبين والملايو واندونيسيا والهند، ويمكن القول أن حركة التوحيد والعدل كانت تعمل لأجل إيقاظ الشعور الإسلامي من جديد، والعمل على وحدة المسلمين وتكتلهم، واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتوحيد الجهود الإسلامية من أجل طرد الاستعمار من البلاد الإسلامية إلى بسط نفوذها عليها، وتحرير الأمة الإسلامية من الآثار الأجنبية)^(٢).

(١) محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد، منشور ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب (١/ ٦٤).

(٢) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا، منشور ضمن بحوث ندوة دعوة=

وقال الأستاذ نجيح عبدالله واصفا أثر هذه الدعوة: (وقصارى القول أن هذه الدعوة تدعو إلى الإسلام على صورته التي وضعها صاحب الشريعة، فكانت بذلك توظف العقول النائمة، وتحرك الهمم الراقدة، وتعيد إلى القلوب حرارة الإيمان، وتطهر النفوس من أدناس الخرافات والأوهام، فحق ما يقال: إنها هي الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية في العصر الحديث)^(١).

وقالت الدكتورة آمنة محمد نصير: (أول ما يطاتلنا من أثر لابن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي أنه جدد المعنى الشمولي للإسلام باعتباره عقيدة تعالج سائر جوانب علاقة الإنسان بالله تعالى ثم بالكون والحياة، هذه العلاقة التي تدور حول محور أساسي هو توحيد الله تعالى في ربوبيته وإلهيته، وهو التوحيد الذي يستلزم طاعة الله بالتزام أمره واجتناب نهيه. إن المدار في معرفة الأمر والنهي على تبليغ الرسول المعصوم ﷺ عن ربه، وإنه ما من أمر يتوقف عليه صلاح المسلم في علاقته بربه ثم علاقته بالناس إلا ودل الرسول عليه، وإن من أحدث في هذا الأمر ما ليس عليه رسول الله ﷺ فهو رد، وبهذا المعنى الشمولي تتميز دعوة

=الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢ / ٣٤٧).

(١) تأثر الدعوات الإصلاحية في اندونيسيا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، منشور ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢ / ٣٩٥).

محمد بن عبد الوهاب رحمته الله عن كل دعوة اجتزأت جانباً من جوانب الإسلام، واكتفت به عن غيره، سواء كان هذا الجانب متعلقاً بصلاح النفس البشرية وكبح أهوائها وشهواتها مما كان مجالاً لاهتمام العباد والزهاد والمتصوفين، أم كان متعلقاً بحماية أرض الإسلام ومقدساته مما كان مجالاً لاهتمام بعض العلماء أيام الحروب الصليبية والتترية وحتى الغزو الاستعماري الحديث... وإذ قامت دعوة محمد بن عبد الوهاب رحمته الله على أساس طبيعة الإسلام الشمولية والتي تخاطب الإنسان إلى آخر الزمان، فقد عملت الدعوة على تجديد الفكر الإسلامي ليكون وافياً لوصف الشمول الممتد إلى يوم القيامة، ومن هنا أحييت سنة الاجتهاد، ودافعت عن مشروعيته واستمراره ولزومه، ونددت بالجمود والتقليد، وحثت العلماء على الالتزام برسالتهم برد ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله، وأنه لا قول لقائل مع وجود النص القطعي في حجيته ودلالته...^(١).

وأختم هذه النقول بعبارة دونها الأستاذ أمين سعيد - وما جانب الصواب - بقوله: (والإجماع معقود على أن الدعوة شملت العالم الإسلامي بعد العربي، وهزته هزة عنيفة، فكثر عدد أنصارها ومؤيديها، وزاد تبعاً لذلك تأثيرها،

(١) الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة د. آمنة نصير (ص ٢٢٢ -

وعمت منافعها وفوائدها^(١).

وقد عبر الشيخ محمد بن هادي بن بكر العجيلي (ت قريباً من ١٢٢٠هـ) عن مشاعر الاغتراب بهذه الدعوة السلفية، شأنه شأن كل من كان حريصاً على الاتباع، وفي هذا يقول: (ولم تزل الدعوة تهزل في آفاق الأرض وتجري، وتبكر في جميع الأقطار وتسري، فلما انتهى إلينا ذلك النداء، وطرق الأسماع، لم يسعنا إلا الانتظام في سلك من سمع وأطاع، والاعتراف بأن ذلك هو الحق لا محالة، وأن الذي نحن عليه عين الخطأ والضلالة...، ولبينا تلك الدعوة، وأجبناها بالقلوب والأرواح، ومالت إليها العقول)^(٢).

(وقد أعجب بهذه الدعوة سيدي محمد بن عبدالله سلطان مراكش (١٧٥٧ - ١٧٩٠م) عن طريق الحجاج المغاربة، فقام بإتلاف آلاف الكتب الأشعرية، ودمر بعض الزوايا، ومنها زاوية بوجاد، واعتاد أن يقول في مجالسه: إنني مالكي المذهب، وهابي المبدأ)^(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن الجبرتي رحمه الله بعد أن ذكره رسالة موجهة من

(١) تاريخ الدولة السعودية (ص ٢٩).

(٢) الظل الممدود (ص ٢٢).

(٣) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (ص ١١٨).

الإمام عبدالعزيز بن محمد لشيخ الركب المغربى فى الحج، وفىها بيان ما هم عليه من التوحيد والسنة: (أقول إن كان كذلك فهذا ما ندين الله به، وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين)^(١).

وبعد هذه الإلماحة اليسيرة حول أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أشير إلى أمر مهم، ينبغى أن يكون القارئ منه على ذكر منه حين يطلع على الكتابات التى ذكرت أثر الدعوة على الدعوات والحركات والأشخاص، وهو أن بعض الكتاب والباحثين تجاوز عند ذكره لأثر الدعوة إلى دعوات وحركات وشخصيات شاركت الدعوة فى المبدأ وهو إرادة الإصلاح، ولكنها خالفت دعوة الشيخ فى المنهج السلفى السنى الذى سلكه الإمام، أو خالفت فى تطبيقاته. هذا فضلا عن التجاوز الذى حصل بعد بعض الدعوات التى لا تستند إلى الدين الإسلامى من الحركات الاجتماعية والسياسية، بسبب دعوتها إلى الإصلاح فى مجالها، ولكن وفق قانون بشرى.

(١) عجائب الآثار (٢/ ٥٩١).

قائمة المراجع

- (١) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، لعلي المحافظة، ضمن كتاب (الوهابية: المؤسس، الفكر، الحركة) لمجموعة من الباحثين والمؤرخين والكتاب، مطبعة النجاح بالدار البيضاء.
- (٢) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها للشيخ محمد حامد الفقي، تحقيق أحمد التويجري، دار السنة ط١، ١٤٢٧هـ.
- (٣) أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي لمسلم الجهني، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤٠١هـ.
- (٤) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب في جنوب الجزيرة العربية، للدكتور عبدالله أبوداهش، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.
- (٥) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، للشيخ أحمد السلاوي الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٦م.
- (٦) أصول الإيمان للإمام محمد بن عبد الوهاب، راجعه الشيخ إسماعيل الأنصاري، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط٢، ١٤٢٦هـ.

- (٧) الأصول الثلاثة وأدلتها للإمام محمد بن عبد الوهاب، علق عليه وصححه محمد منير الدمشقي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ١٤٠٤ هـ.
- (٨) الأصول الثلاثة وأدلتها للإمام محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٩ هـ.
- (٩) أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، لمحمد بن أحمد العقيلي، ط ١، دار القلم بجدة، ١٤١٣ هـ.
- (١٠) أعلام العراق للشيخ محمد بهجة الأثري، الدار العربية للموسوعات، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.
- (١١) الإمام محمد بن عبد الوهاب: مفكر، ومصلح، ومجدد، د. زاهية الدجاني، دار الكتاب العربي بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- (١٢) الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المذهب السلفي لعبدالحليم الجندي، دار المعارف بالقاهرة.
- (١٣) انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، لمحمد كمال جمعة، دار الملك عبدالعزيز ط ٢، ١٤٠١ هـ.
- (١٤) بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٢، ١٤١١ هـ.
- (١٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.



- (١٦) تأثر الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لمجموعة من الباحثين، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ضمن أسبوع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب..
- (١٧) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسين خلف الشيخ خزعل، دار ومكتبة الهلال.
- (١٨) تاريخ الدولة السعودية، تأليف أمين سعيد، دار الكاتب العربي.
- (١٩) تاريخ نجد، المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام للشيخ حسين بن غنام، تحقيق ناصر الأسد، ومقابلة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، مطابع شركة الصفحات الذهبية، الرياض، ط ٣، ١٤٠٣هـ.
- (٢٠) تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري، مكتبة مدبولي بالقاهرة.
- (٢١) تراجم المبدعين من علماء المسلمين للعربي بن عمار، الدار العربية للموسوعات، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- (٢٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، علق عليه الشيخ عبدالمحسن العباد ط ١، ١٤٢٤هـ.
- (٢٣) التطور التاريخي للدولة السعودية في دورها الأول، لعبدالله بن محمد الشهيل، النادي الأدبي بالرياض، ١٤٢٣هـ.
- (٢٤) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق د. عبدالرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

- (٢٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله، المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ.
- (٢٦) حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث، للدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١م.
- (٢٧) حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث للدكتور عبدالله العجلان، ط١، ١٤٠٩هـ.
- (٢٨) الحركة الوهابية للشيخ الدكتور محمد خليل هراس، تحقيق أحمد التويجري، دار السنة، ط١، ١٤٢٧هـ.
- (٢٩) الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، للدكتورة مي العيسى، دار الملك عبدالعزيز ١٤١٧هـ.
- (٣٠) الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، للدكتور أحمد البسام، دار الملك عبدالعزيز ١٤٢٦هـ.
- (٣١) الدرر السنية والأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ.
- (٣٢) درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين، مكتبة الإرشاد بصنعاء، تحقيق إبراهيم المقحفي، ط١، ١٤٢٥هـ.
- (٣٣) الدرعية للأستاذ عبدالله بن خميس، ط١، ١٤٠٢هـ.
- (٣٤) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيه في شبه القارة الهندية، للشيخ أبي المكرم بن عبد الجليل، دار السلام بالرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.

- (٣٥) دعوة الحق، عبدالله بوقس، الدار السعودية للنشر، ١٣٩٢هـ.
- (٣٦) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: تاريخها، مبادئها، أثرها، لمحمد بن عبدالله السلطان، المطبعة السلفية بالقاهرة، ط١، ١٤٠١هـ.
- (٣٧) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعلاقتها بأهم حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، لنوال الشريف طلال هزاع، رسالة ماجستير بقيم التاريخ بجامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.
- (٣٨) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي لأحمد بن عطية الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.
- (٣٩) الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، للدكتور محمد كامل ضاهر، دار السلام ببيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- (٤٠) الدولة السعودية الأولى للدكتور عبدالرحيم عبدالرحيم، دار الكتاب الجامعي بالقاهرة، ط٦، ١٤١٨هـ.
- (٤١) رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية دراسة دعوية، لعبدالمحسن الباز، دار أشبيليا بالرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- (٤٢) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، جمع وتحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية ببيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- (٤٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن، تقديم وتصحيح عبدالرحمن الرويشد، دار العلوم للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧م.

- (٤٤) رسالة الإمام عبدالعزيز الأول، مؤسسة النور، ط ٣.
- (٤٥) السلفية والمجتمعات المعاصرة، للدكتور محمد فتحي عثمان، دار القلم بالكويت، ط ٢، ١٤٠١هـ.
- (٤٦) السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور علي عبدالحليم محمود، شركة مكتبات عكاظ، ط ١، ١٤٠١هـ.
- (٤٧) السنة لمحمد بن نصر المروزي، خرج أحاديثه وعلق عليه سالم السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٤٨) سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمين سعيد، دار الملك عبدالعزيز، ١٣٩٥هـ.
- (٤٩) شرح أبي المعالي الألوسي، تحقيق د. يوسف السعيد، دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض
- (٥٠) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد (نفثات صدر المكمد وقوة عين الأرمم لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد) للشيخ محمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤ / ١٤١٠هـ.
- (٥١) الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة د. آمنة محمد نصير، دار الشروق، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- (٥٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

- (٥٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء المشرق والمغرب للشيخ محمود مهدي استانبولي، ١٤٠٠هـ.
- (٥٤) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد بشير السهسواني، تصحيح الشيخ عبدالله الجبرين، مطابع دار نجد، الرياض ط ٥، ١٣٩٥هـ.
- (٥٥) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، للشيخ سليمان بن سحمان، تحقيق عبدالسلام آل عبدالكريم، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٥، ١٤١٤هـ.
- (٥٦) الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، للشيخ محمد بن هادي العجيلي، تحقيق د / عبدالله أبوداهش، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- (٥٧) عجائب الآثار في التراجم والأخبار للشيخ عبدالرحمن الجبرتي، دار الجليل، بيروت.
- (٥٨) عصر محمد علي لعبدالرحمن الرافعي، دار المعارف، ط ٥، ١٤٠٩هـ.
- (٥٩) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح العبود، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط ٣، ١٤١٧هـ.
- (٦٠) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- (٦١) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد للشيخ إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري، تحقيق كوركيس عواد وياسين باش، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

- (٦٢) عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر، حققه عبدالرحمن آل الشيخ، داره الملك عبدالعزيز ط ٤، ١٤٠٢ هـ.
- (٦٣) غاية الأمان في الرد على النبهاني لأبي المعالي الألوسي، مكتبة العلم بجدة.
- (٦٤) فضل الإسلام للإمام محمد بن عبد الوهاب، مراجعة وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري، مكتبة المعارف بالرياض.
- (٦٥) قادة الفكر الإسلامي عبر قرون، لعبدالله بن سعد الرويشد، نشر رابطة الأدب الحديث.
- (٦٦) القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، دار الهداية، الرياض، ١٤٠٥ هـ.
- (٦٧) كشف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور البهوتي، راجعه وعلق عليه الشيخ هلال مصيلحي، عالم الكتب ١٤٠٣ هـ.
- (٦٨) كشف الشبهات للإمام بن عبد الوهاب، المطبعة السلفية بالقاهرة، ط ٥، ١٤٠١ هـ.
- (٦٩) اللجام المكين والزمَام المتين، للشيخ محمد بن أحمد الحفظي، تحقيق د / عبدالله أبوداهش، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- (٧٠) لمحات عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للدكتور عبدالله التركي، دار هجر، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- (٧١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٣٩٨ هـ).

- (٧٢) مجموعة التوحيد، المعروف بـ (مجموعة التوحيد النجدية)، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩ هـ.
- (٧٣) مجموعة الحديث، المعروف بـ (مجموعة الحديث النجدية)، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩ هـ.
- (٧٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد، أشرف على طبعه عبد السلام آل عبد الكريم، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.
- (٧٥) محمد بن عبد الوهاب، للشيخ علي الطنطاوي، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٣٨١ هـ.
- (٧٦) محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث للأستاذ محمد بهجة الأثري، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤ هـ.
- (٧٧) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه، تأليف مسعود الندوي، ترجمة وتعليق عبد العليم البستوي، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩ هـ - ١٩٨٤ م.
- (٧٨) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر بن بدران، تحقيق د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.
- (٧٩) المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب، درسها وحققها وشرحها د. يوسف السعيد، دار المؤيد، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- (٨٠) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، تحقيق د. عبدالعزيز الزير آل حمد، ط ١، ١٤٢٤ هـ.

- (٨١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب للشيخ حسين النعمي، تحقيق محمد عبدالله مختار، دار المغني بالرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- (٨٢) معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، لمصطفى عبدالكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
- (٨٣) المملكة العربية السعودية تاريخ وواقع للدكتور حمدي الطاهري، دار الإشعاع للطباعة.
- (٨٤) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، دار الهداية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- (٨٥) النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين للشيخ حمد بن معمر، تحقيق عبدالسلام آل عبدالكريم، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- (٨٦) النبراس من فتاوى الإمام العلامة محمد خليل المراس، دار لا شريعة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- (٨٧) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار، للعلامة محمد بن علي الشوكاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأخيرة.
